

شرح حائية ابن أبي داود

الدرس الأول

عنوان الدرس: مقدمة في فضل طالب العلم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ)

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً)

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم. وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار. ثم أما بعد إخوتي الكرام: فالحمد لله ثم الحمد لله ثم الحمد لله على المنة وعلى عظيم النعمة. أشكر الله أولاً فإن الله جل في علاه يحب ذلك، فقد قال الله جل في علاه: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) فقد أثبت النعمة مع الزيادة. ولما ذكر الزيادة دل ذلك على تضمين ثبوت النعمة لأنه قال: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ) والزيادة لا تكون إلا بعد ثبات النعمة، أنا أتكلم عن بعد ثبات النعمة فانتبهوا معي لأن هذا سيكون المنوال بيننا ان شاء الله.

فأنا أحمد الله جل في علاه أن أتى بي إلى كرام أمثالكم وإلى أناس أعلم جيداً بالتجربة بأنهم من أنقى الناس قلوباً، أسأل الله جل وعلا أن تكونوا فوق ما نظن بكم ولكم الحرص العظيم. وأنا تشرفت بأن أحل ضيفاً على أكارم أمثالكم وأسأل الله جل في علاه أن يديم المحبة بيننا، وأن يجعل التعاون بيننا وبينكم على رضى الله جل في علاه، وعلى ابتغاء وجه الله جل في علاه. ثم أثنى بالشكر لإخوتي الأفاضل الأماجد الذين قد أكرموني بالمجيء إلى هذه البلاد طيبة وإلى الإخوة الأماجد أجلس معهم، فأسأل الله جل في علاه أن يشكر لهم.

ثم أقول مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أهلاً وسهلاً ومرحباً بطلبة العلم، فهم الأئمة المفقودة النادرة في هذا الزمان. والعلماء هم الأماجد الأكارم وهم خير الناس على الإطلاق وطلبة العلم يسيرون على الدرب. قد قال الله جل في علاه:

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)، لذلك سأستشرف الكلام بمقدمة تثبت فضل طالب العلم.

كأنكم لا تعرفون أقداركم، طالب العلم كما قلت لؤلؤة مكنونة وهي نادرة في هذا العصر. الناس في وادي وأنتم في وادٍ آخر، أنتم تسировون على درب النبي صلى الله عليه وسلم على درب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، على درب معاذ رضي الله عنه وأرضاه، على درب أبي موسى الأشعري علي ابن أبي طالب. هؤلاء الأفاضل هؤلاء الذين ورثونا هذا العلم الذي به النجاة والذي به الرفعة والمكانة بل والنصرة، وراية الإسلام لن تكون خفاقة عالية إلا بالعلماء. لا سيما وأن الله جل في علاه أناط زوال الدنيا بموت العلماء وإقامة الدنيا التي تقوم الدنيا بالدين، إقامة الدنيا لا تكون أيضاً إلا بالعلماء لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه قال: (لا تقوم الساعة حتى يُرفع العلم ويظهر الجهل، وإن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ، وفي رواية: (لم يبق عالمٌ) ما الفرق بينهما؟ لم يبق عالمٌ: إذا أسند الفعل للعالم الذي مات. لم يبق عالماً: الله جل في علاه هو الذي لم يبق عالماً. (اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا).

لذلك نقول مقدمة في فضل طلب العلم لكنها ستكون وجيزة لأن الوقت ضيق. والكلام في الحائية يعني لن يطول إن شاء الله، لكن أنا ملزم أن أقدم للإخوة الأفاضل في كل مسألة تأسيساً للطالب المبتدي وتذكيراً للمنتهي حتى نصل إلى نهاية هذه المنظومة الماتعة التي تضمنت كثير من عقائد أهل السنة والجماعة.

أقول إختوي الكرام لنا أحاديث ثلاثة ولنا آيات ثلاث في فضل العلم نقف عندها بعض الوقت. لأن الإنسان إن لم يعرف قدر ما هو فيه لا يمكن أن يسعى له، ولا يمكن أن نرى الهمة الراقية السامية للحفاظ على مثل هذا الفضل. الفضل عظيم جداً، وطلب العلم هو أشرف ما يمكن أن يتقدم به المرء بين يدي الله جل في علاه، عبادة لله كما قال علماؤنا باتفاق (بأن فضل العلم على فضل العبادة مشهود). فإن المرء إذا قام يتعلم مسألة من الليل خيرٌ له من أن يقوم الليل من بعد العشاء إلى الفجر. مسألة واحدة، لأن هذه قاعدة مطردة: (النفع المتعدي أفضل عند الله جل في علاه وأعظم في الأجر من النفع الذاتي).

وأعظم النفع المتعدي هو العلم. بل هو أعظم الصدقات. إذا رأيت بأن الجواد الكريم له الخطوة والمكانة العالية عند رب البرية فقل أعظم الصدقات على الإطلاق صدقة العلم، وليس هذا من كيسي ولكن لا نتكلم إلا بدليل في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه قال: (كان رسول الله أجود الناس). إذاً تكلم عن الجود والجود من العطية،

فاذاً الجود هنا يفسره ابن عباس: (كان الرسول صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يدارسه جبريل بالقرآن). هذا العلم فصدقة العلم أعظم من صدقة المال. وهذا جاء صريحاً عن أبي هريرة ولكن في حديثٍ متكلمٍ فيه.

قال الله جل في علاه سائلاً العباد: **(قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)**. الإجابة أنا أجبت عليها كثيراً لكني سأوجز الآن بهذه الإجابة لكن أسمعها منكم. هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ أجيبوا؟ لا يستونون، لا والله لا يستونون. أقول نعم لا يستونون والواقع يصدق ذلك ولا يكذبه. عالمٌ أنجاه علمه وجاهلٌ قد قتله جهله، عالمٌ شرفه علمه وجاهلٌ قد شأنه جهله، عالمٌ قد كفاه في الدنيا علمه، وجاهلٌ قد ذاع وشاع أمره في الدنيا صباح مساء وليل نهار ولم يكتفي من الدنيا بل صار فقيراً جداً لمن بيده الدرهم والدينار.

عالمٌ أنجاه علمه، في قصة بني اسرائيل كما بين النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: رجل قتل تسعة وتسعين نفساً. إنه لجريء قد استباح الدماء المحرمة وهذه أعظم ما تكون عند ربنا الجليل جل في علاه. (لزوال السماوات والأرض أعظم عند الله من أن يسفك دم امرئٍ مسلم). هنا حديث موقوف ومرفوع: (جاء ابن عباس فدخل إلى الكعبة فنظر إليها فطاف) وجاء مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم.

والموقوف أصح ما الفرق بين المرفوع والموقوف؟؟ المرفوع: إذا رُفِعَ للنبي صلى الله عليه وسلم، إذا نسب للنبي صلى الله عليه وسلم فهو الحديث المرفوع، حتى لو فيه إعضال، لو فيه انقطاع ما فيه مشاكل. الموقوف: الذي أوقفه راويه على الصحابي.

فهو جاء موقوفاً عن ابن عباس وجاء مرفوعاً، والموقوف أصح لكنه كما قلنا لا يكون إلا بالاجتهاد. نظر فقال: (أنتِ الكعبة شرفك الله وعظمك. وإن حرمة دم المسلم عند الله أعظم منك وأشرف) لا سيما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهذا في السنن بسند صحيح: (لو تكالب أهل السماوات وأهل الأرضين على سفك دم امرئٍ مسلم لأكبهم الله في النار ولا يبالي). والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دماً حراماً. فإذا أصاب دماً حراماً بلّح). هو على مشارف الهلكة على حفرةٍ من النار.

فقتل تسعة وتسعين نفساً، هذا جريء على الدماء. فذهب فقال: دلوني. هذا الرجل كان فقيهاً لذلك وفق للتوبة والأوبة ومن فقهه. أنا أسألكم أين فقهه؟ رجل يقتل تسعة وتسعين نفساً وكان فقيهاً حقاً والله. لذلك ترى أن النجاة في الفقه حتى ولو كان عاصياً ولو عاث في الأرض فساداً فإنه في مآل أمره إلى النهاية السعيدة لأنه قد تفقه في دين الله جل في

علاه. لذلك هنا استأنس بقول الإمام أحمد عندما قال: (والعالم الفاسق أنفع للأمة من العابد الجاهل ولو كان فاسقاً ففسقه على نفسه وعلمه للبشر)، يتعلمون به كيف يتعبدون لله جل في علاه ان تعبد الله على بصيرة. وإلا فمن تعبد الله على الجهل أساء أكثر مما يصلح، بل يمكن أن يشرك بالله جل في علاه دون أن يدري. لكن كان فقيهاً وفقهه تراه الآن من الذي سيأتي.

قال: دلوني على أعلم. هنا الفقه الآن لأنه كأنه يقول أمري أنا يؤول إلى العلماء. قال: دلوني على أعلم أهل الأرض. هذا فقه، دقة فقه فدلوه على عابد غرهم بعبادته. لذلك إمامنا إمام دار الهجرة وهو الإمام مالك قال: (لا تأخذ العلم من ثلاثة). وذكر منها عابد. لماذا؟ العابد تقي نقي، يسجد لله جل في علاه. قال: (عابدٌ غرته عبادته، فانشغل بها عن العلم). فهذا لا ينفع في العلم بحال من الأحوال. ولذلك ترى أكثر أهل الوهم هم الذين انشغلوا بالعبادة عن العلم. ولذلك الشافعي قال: (الفقيه حقاً هو الذي يقدم العلم على العبادة). التي هي عبادة النفل يعني ليس عبادة الفرض.

فالغرض المقصود فدلوه على عابد غرهم بعبادته. هم يرون منه السجود والقيام والتسبيح والذكر والجود والكرم. لكن لا يفقه كيف يفصل في غُضل المسائل. فلما ذهب إليه فقال: قتلت تسعة وتسعين نفساً. كأنه يقول يا جريء قتلت تسعة وتسعين نفساً. وتريد توبة؟ لا توبة لك. جهله ظهر أين جهله؟ قلنا علامة فقه القائل أنه سأل قال: دلوني على أعلم أهل الأرض، هو هذا الصحيح. لذلك الله جل وعلا قال: **(فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ)** والله ما طُبق في دنيا الناس إلى يوم الناس هذا إلا واحد في المئة. أكثر الناس يذهبون لمن ذاع صيته وشاع، ولا يذهبون إلى العالم المتقن. لا يعرفونه، لا يعرفون الراسخ في العلم. فهذه مصيبة كبرى. بداية النجاة أن تميز بين العالم وبين غيره.

فلذلك قال: دلوني على عالم، كانت علامة لفقهه وعلمه. أما العابد جاءت الدلالات البيّنات الواضحات على جهله أولها أنه قال: قتلت تسعة وتسعين نفساً وتريد توبة؟ لا توبة لك. قَنَطه من رحمة الله جل في علاه. وهذا أعظم الجهل والله جل في علاه قد فتح باب التوبة معروضاً على العباد إلى أن تشرق الشمس من مغربها والله جل في علاه يحب التوبة يحب توبة العبد. ويوفق العبد للتوبة سبحانه جل في علاه.

فتوبة العبد محفوفةٌ بتوبتين: توبة قبلية وتوبة بعدية. التوبة القبلية التوفيق أوزع في قلبك ان تتوب **(ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)** إذا ما تابوا إلا بالتوبة عليهم فهي توبة قبلية. وتوبة بعدية وهي قبول هذه التوبة من الله **(هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ)** فأنه جل وعلا يقبل التوبة. ولذلك الحديث الطويل في صحيح مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فمن تاب تاب الله عليه).

فهنا قَطَّطه من رحمة الله فظهر جهله. فماذا كانت النتيجة؟ أكمل به المئة. قال: تسعة وتسعين من مئة الأمر هين. فقتله. فهنا جاهل قتل جهله أطاح به جاهل وأدخل نفسه فيما لا يعنيه ولا يستطيعه ولا يتقنه، تقحَّم النار على بصيرة ومات مقتولاً.

ثم بعد ذلك قال الفقيه مرة ثانية قال: دلوني على أعلم أهل الأرض هذا ليس بأعلم أهل الأرض. فدلوه على عالم هنا تأتي النتيجة عالمٌ انجاه علمه. قال: إني قتلت مئة نفس. أنت تتحفز الآن لو كانت الإجابة كإجابة السابق أنه سيقتل سيقتل ولو كانت الإجابة بعلم سينجو. فأجاب بعلم فقال ومن يمنعك من التوبة. ظهر علمه هنا الآن:

❖ أنه لم يقنطه من رحمة الله.

ثم ظهر علمه الذي أنجاه الله به بأنه قال له: أما أرضك وقومك فهم أهل فساد فارحل من هذه الأرض واذهب إلى أرض كذا فيها أناس صالحون تتعبد الله معهم. هنا الرجل ظهر علمه أيضاً في نقطتين جليلتين:

❖ النقطة الثانية بأنه قد بين له أن صاحب ساحب. والمرء على دينه خليله فلا بد من الهجرة. وهذا الذي استقاه الإمام ابن القيم عندما تكلم في العشق وقال: (وأعظم دواء العشق أن يرحل من مكان المرأة التي يعشقها). فقال أن ترحل من المكان الذي فيه المعاصي لا أحد يأمره بالمعروف ولا ينهاه عن المنكر ولا يرجو طائعاً نقيماً يأتسي به.

قال: اذهب إلى الأرض كذا

❖ والثالثة أنه علم أن الحسنات يذهبن السيئات. وهذه علامة عظيمة جداً على علم هذا الرجل. إذاً عالمٌ انجاه أنجاه علمه.

والشافعي جاء مكبلاً بالسلاسل ودخل على هارون الرشيد وكاد يُقتل لأنهم قد اتهموه زوراً وبهتاناً بالكلام على أهل البيت، القصة المشهورة عن الإمام الشافعي. ما الذي أنجاه علمه. بأمرين اثنين:

❖ الأمر الأول بشفاعه محمد بن حسن الشيباني. قال: (لو قتلت مثل هذا لانحرم الناس من علم عظيم).

❖ الشافعي هو كتلة علم ودخل الإمام الشافعي بحلو كلامه لما ذكر الأمير بجّل الأمير وبين انه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. وهنا يربطهم النسب. لأن الشافعي مطلبي فبين له فلما سمع كلامه انهال عليه بالهدايا والعطايا وعلم أن الرجل حقا قد ملئ علماً فلذلك تركه فأنجاه علمه. وأيضاً قد أعطى هذا المال والهبة التي أخذها هدايا ما خرج من باب السلطان إلا وانتهى كل المال الذي أخذه. لكن الغرض المقصود أنجاه علمه. عالمٌ أنجاه علمه.

وأما جاهل قد قتله جهله. ترى بأقوام حتى من الصحابة ما كانوا قد أتقنوا المسألة عندما رحلوا وكانوا في سفرة فشج رجل منهم. حديث الشجة مختلف في إسناده وإن كان بعض المعاصرين يحسنونه. فقال الرجل الذي شج قام من الليل يريد الاغتسال فهو قام جنباً أراد أن يغتسل ليرفع الجنبابة. فقام يغتسل ليصلي فقام فاغتسل. هو ذهب إلى الصحابة فقال لهم أرأيتم ما أنا فيهم هذا الجرح؟ أريد أن أغتسل وأنتم ترون ما أنا فيه. فقالوا طبعاً معروف أنه إذا لم يجد الماء يتيمم. فقالوا أنت مجروح. ونعلم أن الماء يضر لكنهم قالوا ما لك بد من الماء لأن الله جل وعلا قال في كتابه (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) والطهارة لا تكون إلا بالماء.

قال: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا). فقال: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً) شرط هنا. ما الحكم الذي يترتب على هذه الآية؟ ما المفهوم من هذه الآية؟ قال الله جل وعلا: (فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا) التيمم لا يكون إلا بعد فقدان الماء. فهم قالوا له: أنت لست فاقداً للماء. الماء موجود لابد من الاغتسال.

كلام عين عوراء كلام فيه نوع صحة. أنت لا تتيمم إلا بفقدان الماء لكن عندنا طريقة فقهية يقولها العلماء (الفاقد للماء أو الواجد للماء يكون فاقداً حقيقة وفاقداً حكماً). يعني الماء موجود لكن ما أن يستعمله هذا الفقه التام الكامل الآن.

❖ فإن كان فاقداً للماء حقيقة بالإجماع عليه أن يتيمم

❖ فإن كان فاقداً للماء حكماً؟

هم قالوا ان كنت فاقداً للماء حكماً لأنك مريض لا تستطيع استعمال الماء ليس لك إلا أن تستعمل الماء. فاستعمل الرجل الماء وهذا خطأ لأنه فاقده حكماً. انا لو وجدت بئر ماء وجدت الأسد أمامه وأريد أن أتوضأ، أتيمم أم أتوضأ؟ أتيمم لأنني سأقتل نفسي.

عندي الآن مبررات خمس. لمقاصد الشريعة مبررات خمس منها حماية النفس. قال الله جل في علاه: (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ). إذاً هو لا يجوز له ومحظور عليه أن يقتل نفسه. وهذا أمر أعظم وعنده بديل. فيذهب إلى البديل فهم لم يتصوروا هذه المسألة. العلم تقاصر. وطبعاً في بعض الصحابة وهم أفضل الناس على الإطلاق فلا يحسب أحداً أنني أنتقص من قدر الصحابة أعوذ بالله من غضب الله. الصحابة هم أفضل الناس على الإطلاق وخير الناس على الإطلاق. بل أنا أدين الله بالخطأ الفاحش الذي وقع فيه الإمام العلم الإمام ابن عبد البر عندما قال: (نعم. جملة الصحابة خير من جملة من جاء بعدهم. لكن ممكن آحاد التابعين يكون أفضل من آحاد الصحابة) وهذا خطأ بين. خطأ فاحش فادح.

لأن الله جل وعلا قد زكى الصحابة من فوق سبع سماوات النبي صلى الله عليه وسلم قال صريحاً دون أدنى احتمالية: (أصحابي أصحابي لا تسبوا أصحابي لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً لم يبلغ مد أحدهم ولا نصيفه). هذا نص صريح لا أحد يمكن أن يصل إلى هؤلاء الأخيار الأبرار. ولذلك ليلة واحدة ينظر فيها الصحابي لوجه النبي صلى الله عليه وسلم أو يكتب الوحي خير من أمة جاءت بعده. فأنا لا انتقص من الصحابة. لكنني أبين أيضاً أن في الصحابة من كان عالماً ومن كان جاهلاً. هذا فضل الله يؤتيه من يشاء على أنه الجميع قد اتفقوا على منزلة واحدة وهي منزلة رفيعة هي منزلة الصحبة. لكن يتفاوتون في العلم، كما أنهم يتفاوتون في الفضل يتفاوتون في منازل العلم.

أما قال النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث وإن كان فيه بعض الشذوذ لكن يعني العلماء يحسنونه. الحق أنه إلى التحسين قال: (وأعلم أمتي بالحلال والحرام هو معاذ). فإذا تتفاوت المنازل فمنهم العالم ومنهم الجاهل. هم جهلوا المسألة برمتها أو قل كلية المسألة وإن كانوا قد علموا شطراً منها قالوا: (لا نجد لك بدأً من الإغتسال لأنك واجد للماء ولا تتيمم إلا بفقدان الماء) فلما أمروه بذلك ذهب فاغتسل فمات. فماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ هنا جاهلٌ جر على نفسه القتل بجهله.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (قتلوه قتلهم الله). النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يدعو ودعاء النبي بالإجماع ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم مستجاب. النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي دعا قال: (قتلوه قتلهم الله) فدعا عليهم لأنهم أفتوا بغير علم. رأيتم الفارق؟ البون الشاسع والفرق الواسع بين العالم وبين غير العالم؟ فهنا هؤلاء قد استجروا على أنفسهم دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم أفتوا بغير علم.

أيضاً نقول عالمٌ قد شرفه علمه: الإمام الثوري يقول: (هذا العلم شريف. من أراد به الدنيا أخذها ومن أراد به الآخرة أخذها). فهذا العالم يزينه علمه كما قال إبراهيم عليه السلام: **(وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ)** وهذا ما كانت إلا للعالم بعد النبي. الأنبياء جعل الله لهم لسان صدق في الآخرين. ومن نحى نحو هؤلاء قد بلغ هذه المرتبة لأن القاعدة الفقهية عند العلماء: (الوكيل ينزل منزلة الأصيل) والعالم وكيل النبي فجعل الله له لسان صدق في الآخرين كالإمام الشافعي أنت تترضى عنه إلى يوم الناس هذا. الإمام أحمد ابن حنبل كما قال إسحاق ابن راهويه: (نصر الله هذه الملة بأبي بكر يوم الردة وبالإمام أحمد يوم المحنة).

فالغرض المقصود الآن لسان الصدق في الآخرين لا تكون إلا للعلماء. وهذا صرح به الإمام علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه يقول: (ويكسبه جميل الذكر بعد الممات). كم وكم من الخلفاء كم وكم من الملوك؟ كم وكم من الأمراء الذين ملكوا الدنيا

بأسرها قد ماتوا وقد مات معهم ذكرهم؟ وكم وكم من العلماء وإن كانوا مغمورين في أعوامهم أو في سنين دهرهم وهم الآن يذكرون ويترضى عنهم لأنهم قد حملوا إرث النبي صلى الله عليه وسلم كما قال أبو هريرة: (أنتم الآن تنتشغلون بالصفق بالدرهم والدينار وتتركون إرث النبي يوزع في المسجد) فدخلوا يهرعون إلى هذا الإرث ووجدوا الذكر وحلق القرآن فسألوا أبا هريرة فقال: (هذا هو إرث النبي صلى الله عليه وسلم). مصداقاً لقوله: (إنما العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكن ورثوا العلم. فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

عالمٌ شرفه وعلمه. أنت ما زلت إلى يوم الناس هذا تقول ابن تيمية قال. حتى والله أضل الناس وأشد الناس بدعةً إذا أراد أن يكسب قوله قوةً حتى يدخل على الأغمار الأغرار لا يستدل إلا بمثل ابن تيمية رضي الله عنه وأرضاه. هذا الرجل العظيم الذي له الأثر العظيم في الأمة الإسلامية أكسبه الله جل وعلا على الذكر الجميل لأنه قد حمل إرث النبي صلى الله عليه وسلم. وكان من العلماء الذين ينافحون عن عقيدة السلف. وكذلك الإمام السيوطي. الإمام الحافظ ابن حجر.

الإمام النووي كما قال السخاوي: (أما النووي فهو بركة)، النووي مات على الأربعين. ثلاثة وأربعين سنة. مات على الأربعين وملاً الدنيا علماً. لذلك أنظر إلى ذكره إلى يوم الناس هذا. أنظر إلى كتبه وبركة الكتب. ما من بيتٍ إلا وفيه كتاب رياض الصالحين. فهذا عالمٌ شرفه وعلمه بهذا العلم. وهذا العلم شريف من أراد به الدنيا أخذها ومن أراد به الآخرة أخذها. أما الجاهل فتراه يفر من أن يوسم بالجهل دلالة على ظلمة الجهل. هذه من فضل أمر العلم.

الآية الثانية التي فيها أيضاً فضل العلم قول الله جل في علاه: **(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)** وهذه الدرجات تتفاوت كما بين النبي صلى الله عليه وسلم في تفاوت درجات الأنبياء أيضاً تتفاوت درجات العلماء.

الحافظ ابن رجب الحنبلي. لو فتح الباري لابن رجب الحنبلي تم لا يمكن أن ينظر أحد في فتح الباري للحافظ ابن حجر دون هذا الكتاب. هذا الكتاب من أمتع الكتب. وكان الحافظ ابن رجب الحنبلي أثقل بكثير من الحافظ ابن حجر. الحق ابن رجب الحنبلي كان كتلة علم عظيمة جداً. ابن رجب الحنبلي كان رجلاً فذاً في علم العلل والرجال والحديث، وأيضاً في الفقه وله كتاب اسمه القواعد الفقهية. ثقيل جداً على كثير من المعاصرين. هذا رجل كان فحلاً حقاً وكان يوافق ابن تيمية في كثير من الآراء لكن استجد له بعد الإطلاع على سنة النبي صلى الله عليه وسلم بعض الآراء التي خالف فيها ابن تيمية.

فلما خالف ابن تيمية حاربوه. حاربوه لأنه خالف ابن تيمية المصيبة الكبرى التي نعيش فيها في هذه الزمانات وهذه الأونات هي التعصب لشخص ما. والتعصب لشخص ما هذه بدعة مقبلة. التعصب إن كان للحق فهو ممدوح. لكن التعصب عمال على بطل كما يقولون لشخص ما هذا لا يجوز ابن تيمية يقول: (من نصب شخصاً غير رسول الله) معنى ذلك أنك لابد ان تنصب شخصاً واحداً توالي عليه وتعادي عليه هو الرسول صلى الله عليه وسلم. التعصب للرسول صلى الله عليه وسلم، التعصب للسنة كما سيأتي في ختام الحائية:

ما العلم إلا قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فقيه

قول العلم قال الله قال الرسول قال الصحابة حتى في هذه النزاع الشديد جداً بين العلماء. لأن الكثير من الأصوليين لا يعتدون بقول صاحب ولا يقول بحجة. كثير من الأصوليين يرون بأن قول صاحب ليس بحجة. لأن الله جل وعلا قال: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا).

فلذلك نحن نقول تنصيب شخص معين والموالاتة والمعاداة عليه لا يجوز. الموالاتة والمعاداة على كتاب الله وسنة نبيه هذا المنهج الصحيح، هذا منهج السلف. قال ابن تيمية: (من نصب شخصاً غير رسول الله صلى الله عليه وسلم يوالي عليه ويعادي عليه فهذا له حظ ونصيب. من قول الله جل في علاه: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ). العلم قال الله، قال رسوله.

عامّة نقول وإن كنا من الشافعية ونرى أن هذا المذهب هو أقرب المذاهب إلى السنة لكننا نقول ابن رجب الحنبلي تفوق بكثير في علم العلل والرجال على الحافظ ابن حجر. ولو تم هذا الكتاب لاستغنيا به عن كتب كثيرة جداً في هذا الباب. الحافظ ابن رجب يقول: (والعلماء مراتب أرقاها وأسماءها وأعلاها هو المحدث الفقيه، الذي جمع الله له بين علمين جليلين: علم الفقه وعلم الحديث).

الحق علم الحديث يقوي الحجة وعلم الفقه هو المقصود الأسمى لأن الله جل وعلا قال: (فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ) أولي الأبصار. أيضاً يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (نَضَرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتي فَوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا). هذا الحافظ المحدث. قال: (رُبَّ حَامِلٍ فقه وهو ليس بفقيه، رُبَّ حَامِلٍ فقه إلى من هو أفقه منه). لذلك لما دعا لابن عباس دعا له بالحفظ وتثبيت وهذا من أعظم الأدعية التي جاءت عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل).

لذلك ابن تيمية يقول: (إذا جاءك الحديث فلك فيه طريقان: إثبات سنده وفهم متنه). وفهم المتن هو رأس الأمر هذا بالنسبة للكلام على فضل العلم. عندنا أيضاً قول الله جل وعلا أنه ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلب الزيادة إلا من العلم.

لا أريد أن أطيل بهذه المقدمة لأنني لو وقفت معها أيام لن أنتهي لأنني كما قلت لكم أقول الزمان الآن أحوج ما يكون إلى عالم وإلى طالب علم متقن. فنسأل الله جل وعلا أن تشرق شمسكم على أهل الإسلام وإن الله يستعملكم لدينه فإن الله إذا أحب عبداً استعمله لدينه. قال الله جل وعلا: (وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ).

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس الثاني

عنوان الدرس: تمسك بحبل الله واتبع الهدى

نبدأ إن شاء الله بالحائية، وهذه المنظومة منظومة مائعة جداً ضمت لنا كثير من صفات أهل السنة والجماعة. فنحن كما قلنا طريقة الشرح للوقت اليسير الذي بين أيدينا بأننا سنأتي بأصول المسائل تذكيراً للمنتهي وأيضاً تأصيلاً للمبتدئ.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، قال المصنف رحمه الله:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى

ولا تكن بدعيّاً لعلك تفلح

ودن بكتاب الله والسنن التي

أتت على رسول الله تنج وتربح

(تمسك بحبل الله)، هنا أمر. طبعاً قراءة الكلام في ترجمة ابن أبي داود لأنه في كلام عليه وكلام مطروح، فالأولى نحن نقول بين أيدينا هذه المنظومة العظيمة التي قد ضمت كما قلنا أصول من أصول أهل السنة والجماعة واعتقاد أهل السنة والجماعة، هذا الذي يشغلنا وهذا الذي يهمننا.

هو يقول: (تمسك)، يأمر، والحق أنه في بعض النسخ ابتدأ بالتسمية. وهذه براءة الاستهلال، وهو من روائع الاستهلال أن تبدأ بالبسملة أو الحمدلة أو تجمع بين الخيرين بالبسملة وبالحمدلة اقتداءً بكتاب الله جلَّ في علاه، وأيضاً ائتماراً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. أما ابتداءً بكتاب الله جل في علاه، فالله جل وعلا ابتدأ كتابه بالبسملة. وأما بالنسبة للإئتمار بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وهذا حديث حسن لغيره، قال: (كل أمرٍ ذي بالٍ لم يبدأ فيه ببسم الله أبتَر) وفي رواية (فهو أجذم). وأيضاً نرى بعض المصنفين كان إذا ابتدأ، ابتدأ بالبسملة. وكان إذا ابتدأ بعضهم ابتدأ بالحمدلة كمنظومة البيقونية (أبدأ بالحمد مصلياً). فالحمد أو البسملة هذه من روائع البيان، أنه يقتدي بكتاب الله جل في علاه.

لكنه قال: (تمسك بحبل الله) أمر، الآن أملك والأمر عند الأصوليين على مراتب ثلاثة:

◆ أمر من أعلى لأدنى

◆ وأمر من أدنى لأعلى

◆ وأمر من مساوي.

🌸 الأمر من أعلى لأدنى هو أمر الله لعباده، هذا الذي يلزم ويجب على الإنسان أن ياتم بهذا الأمر. قال الله جل وعلا: **(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ)**، من أعلى لأدنى هو من الرب جل في علاه لعباده، وهذا يلزم الإنسان أن ياتم بهذا الأمر وأن يطبقه.

🌸 من أدنى لأعلى هو من العبد للرب. وهذا رجاء ودعاء **(رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)**. آمين، هذا اسم من الأسماء بمعنى استجب فهذا أمر فيه الدعاء والرجاء.

🌸 وأما بالنسبة للمساوي فهو التماس. قرينك إذا قال لك أعطني القلم ليس أمر يلزم الوجوب، هذا التماس. لكن هنا الأمر من المساوي وهو يلزم الوجوب. كيف ذلك؟ قال: (تمسك بحبل الله) هذا أمر يلزم الوجوب لأنه وافق أمر الله جل في علاه. إذا المسألة وإن كان في الظاهر أنها من مساوي لكن في التأصيل أنها من الأعلى للأدنى من الرب جل في علاه.

يقول (تمسك بحبل الله واتبع الهدى)، فهنا جمع بين الحبل وبين الهدى. حبل الله هنا هو كتاب الله جل في علاه، هو كلام الله جل في علاه، هو القرآن. لذلك أتبعه في البيت الذي يليه بأنه قال: (ولا تغل في القرآن بالوقف) فإذا هو يتكلم عن حبل الله جل في علاه وهو الكتاب، كتاب الله جل في علاه.

فهو كلام الله المنزل من فوق سبع سموات، تكلم الله به وسمعه جبريل ونزل به إلى الرسول الأمين. وهو معجز قد تحدى الله به جل في علاه بآياته البلغاء الفصحاء فلم يستطيعوا أن يأتوا بمثله ولا بآية من مثله. الغرض المقصود هو يقصد بالحبل هنا كتاب الله جل في علاه، وهذا موافق اقتباس من قبل الله جل في علاه **(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا)** هذا يعتبر كما قال البلاغيون انه من الاقتباس من الكتاب ومن السنة. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تركت

فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي. كتاب الله وسنتي). فهنا يقول: تمسك بكتاب الله جل في علاه لأن كتاب الله جل في علاه هو فيه الحكم والأحكام وفيه العبر وفيه العظات وهو يتكلم عن الله جل في علاه يعرفك الله جل في علاه. فأنت لا يمكن أن تتجو إلا بحسن التعرف على الله جل في علاه.

بل دائماً أقول لطلبة العلم بوابة العلم إتقان العقيدة. أن تلج إلى بوابة العلم فتكون مرفوع الرأس بين العلماء لا بد من إتقان العقيدة. بوابة العلم إتقان العقيدة. وسوياء قلب العقيدة التعرف على الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی. فالكتاب يحوي لك ذلك. أيضاً كتاب الله جل في علاه حتى لا نتكلم بفقه الواقع ونقول للناس الذين يتكلمون بالكتاب والسنة وبالأصول وبالفصول. هؤلاء يجهلون فقه الواقع. أقول إخوتي الكرام من اعتز بدين الله جل في علاه أعزه الله، وما من نازلة في السماوات ولا في الأرض، وما من نازلة إلا وفي كتاب الله حلها علمها من علمها وجهلها من جهلها. إذاً كتاب الله جل في علاه يشمل كل شيء، كل شيء في هذه الدنيا من أمور الدنيا أو من أمور الدين، علمها من علمها وجهلها من جهلها.

كما قال الإمام الشافعي رحمه الله على الإمام الشافعي عندما قال: (ما نزلت نازلة إلا في كتاب الله حلها. علمها من علمها وجهلها لها جهلها) مصداق ذلك في كتاب الله جل في علاه قال: **(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)**. علماء الأصول يقولون (كل نص في العموم)، كل شيء في كتاب الله نعم حتى رغيف العيش في كتاب الله. ما من شيء إلا في كتاب الله جل في علاه. وطبعاً القصة مشهورة جداً عن محمد عبده، لما سئل في فرنسا: أنتم تزعمون أن كل شيء في الكتاب المنزل عليكم انتني كيف يصنع الخباز رغيف العيش من كتاب الله جل في علاه؟ قال: نعم والله. كيف يصنع الخباز رغيف العيش في كتابنا مسطور. قال: كيف ذلك؟ فأنتي بالخباز فسأله كيف يصنع رغيف العيش. فقال أين هذا بكتاب ربكم؟ فقال قال الله جل وعلا **(فاسألوا أَهْلَ الذِّكْرِ)**. هي المسألة في التأصيل أن تسقط الدليل على الواقع. وحقاً ما من نازلة إلا في كتاب الله جل في علاه. انت بأي نازلة أبين لك أنها من كتاب الله جل في علاه. أو جهلت ذلك أقول نرجع إلى العالم المتقن الراسخ. يبين ذلك.

لذلك قال: (تمسك بحبل الله). لأنه لا نجاة ولا عز ولا شرف ولا قيادة ولا سيادة ولا ريادة إلا بكتاب الله جل في علاه. لذلك عمر بن الخطاب عندما كان النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته ودخلوا عليه فقال: (انتوني بكتاب أكتب لكم) يريد يكتب لأبي بكر. فحدث الضجيج عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (قوموا من عندي). فقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه: (لا حاجة لنا بالكتاب فكتاب الله بين أيدينا). لذلك لما دخل النبي صلى الله عليه وسلم على عمر بن الخطاب ووجد في يده ورقة أو صحيفة من التوراة فغضب وتمعر وجهه النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن عمر بن الخطاب هو الملهم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم (لو سلكت فجاً لسلكت الشيطان فجاً غير الذي سلكته)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟) أنتم شاكون فيما أتيت به؟ (أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟ والذي نفسي بيده لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)

وهذا سيأتي في ختام الحائية الكلام على أن العض بالنواجذ على سير الصالحين من درب المتقين المخلصين المخلصين إمامنا وسيد المرسلين ثم بعد ذلك الصحابة الأكرمين رضي الله عنهم وأرضاهم. ولذلك عمران بن حصين كان يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الحياء لا يأتي إلا بخير). فقام كعب فقال له: نعم في الحكمة أن الحياء كذا والحياء كذا. قال: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن حكمتك أنت وغضب عليه غضباً شديداً. لأن المسألة أن تقف معظماً إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم.

(تمسك) أمر ولا بد من الجزم. (تمسك بحبل الله) يعني بكتاب الله جل في علاه. كما قلنا لا قيادة ولا عز ولا شرف إلا بكتاب الله. قال الله جل وعلا (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) سورة الأنبياء هنا معناها شرفكم. سيادتكم. قيادتكم. ألمني جداً ثم ألمني جداً ثم ألمني جداً عندما سمعت قال: واحترم القانون. نعم نحترم القانون. نعم أين احترام كتاب الله؟ لم أسمع هذه الكلمة فقتلتني. أنا أحترم من أمرني الله جل في علاه أن أحترمه. وما أمرني الشرع أن أحترمه. أين احترام كتاب الله جل في علاه؟ والتمسك بكتاب الله عندنا في الصعيد أو في الأرياف أو في المدن التمسك الآن بكتاب الله وهو ذاع وشاع هو التعليق على الجدران وعلى صدور الأطفال وفي السيارات. هذا هو التمسك بكتاب الله. والتمسك بكتاب الله عندما يطلب السُرادقات. والتمسك بكتاب الله عندما يأتي المرء عند المقابر فيعطي الرجل أجرة. هذا التمسك بكتاب الله جل في علاه. وهذا والله هجران أيما هجران.

ولذلك اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم من أمته بهجران هذا القرآن. قال الله جل وعلا (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا). وهجران القرآن على مراتب: هجران قراءة أو هجران سماع أو هجران تطبيق أو هجران استشفاء. هذا الكتاب فيه كل الخير، الخير كل الخير. التحكيم والحكم وأيضاً فيه الهداية، وأيضاً كما قلنا فيه الشفاء، بل وفيه الرزق. خاصة الله هم أهل القراءة، فمن رام العلو في الأرض فعليه بالقرآن، فمن رام كفاية الرزق فعليه بالقرآن. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من انشغل بالله كفاه الله كل الهموم). والله ثم والله ما رأيت حافظاً للقرآن قد ضيعه الله بحال من الأحوال تكريماً لهذا الكتاب وإن كان يريد به الدنيا فسيأخذ الدنيا وإن كان هو أول من يزوج به في النار. لكن تكريماً لهذا القرآن، تكريماً لهذا الكتاب.

❖ فهجران الكتاب هجران تحكيم، والله جل في علاه يبين أنه لا حكم إلا لله جل في علاه (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ)، لا حكم إلا لله جل في علاه بحال من الأحوال وكل ما عن من مستجدات تجدها في كتاب الله جل في علاه.

❖ والهجران الثاني هجران القراءة، التلاوة (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً)، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: (اقرأوا القرآن فإن لكم بكل حرف حسنة. ولا أقول ألف لام ميم حرف ولكن أقول الف حرف ولا م حرف وميم حرف). وأيضاً أنت لن تتعبد الله جل في علاه بخير مما خرج من ربنا جل في علاه وهو الكتاب.

الغرض المقصود هذا التمسك بكتاب الله جل وعلا فيه الشرف وفيه العزة وفيه المكانة، لا يمكن لأمة أن ترتفع قد نحت كتاب ربها خلف ظهرها. لذلك نقول كثير من الناس تعالت الأصوات للمثقفين يقولون نحن النخبة وهم ليسوا بنخبة بحال من الأحوال، أكثرهم لا يستطيع أن يتوضأ الوضوء الصحيح، ويقول نحن النخبة ويجعل كتاب ربه جل في علاه خلف ظهره، ولاه ظاهرياً وهذا لا يجوز بحال من الأحوال. كتاب الله يقدم، وكتاب الله هو الحاكم، وكتاب الله جل في علاه كما قلنا وفيه العز والشرف. لذلك أمر المصنف: (تمسك بحبل الله).

قال: (واتبع الهدى) الهدى يقصد به هدى النبي صلى الله عليه وسلم. لذلك أنت ترى تنوعت الأسماء لمسمى واحد وهي السنة. فالسنة في الكتاب أطلق عليها الحكمة قال الله جل وعلا: (وَأَذْكُرَنَّ مَا يُنْتَلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) وقال الله جل في علاه (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ). فالحكمة هي سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال الإمام الشافعي، غير من واحد من علماء السلف قد قالوا: (الكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة).

وهنا سماها المصنف الهدى، هذا بالأثر هذه التسمية بالأثر، لأنك لن تهتدي إلا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم. الهدى كل الهدى في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والخير كل الخير في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله قد أغلق كل باب إلا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم. بل أناط حقيقة الإيمان بالهدى باتباع الهدى، باتباع النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال الله جل في علاه: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا). إذاً لا أهواء، لا وجد، لا ذوق، لا آراء رجال ولا فقهاء، ما هي إلا سنة النبي العدنان صلى الله عليه وسلم. ولا يمكن أن يستقيم لك إيمان بحق إلا أن تتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم، لا تتحرك إلا بدليل، لا تأخذ برأسك إلا بدليل. لذلك الإمام الزهري كان يقول كلاماً من ذهب. قال كلامين من ذهب:

❖ الكلام الأول قال: (من الله الرسالة. ومن الرسول البلاغ. وعلينا السمع والطاعة).

❖ الكلام الثاني قال: (كنا نقول نقلاً عن سلفنا الصالح أن السنة سفينة النجاة) هي سفينة النجاة. فأنت لن تنجو إلا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك أبدع المصنف عندما قال: (واتبع الهدى). فلا هدى إلا بسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والضلالة كل الضلالة والهلاك كل الهلاك في غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الذي

رسمه الله خطأً عظيماً في كتابه عندما قال: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ). لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى). قال: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).

وهذا هو التمسك بالهدى لأن التمسك بالهدى هو الذي يصل بك إلى النجاة وعدم التمسك بالهدى يصل بك إلى التردى، الردى والهلاك. فلذلك قال: (كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى)، كل أمتي قد تمسك بالهدى لذلك نجا. قال: (إلا من أبى) إذاً من أبى هو الذي لم يتمسك بالهدى وقدم الشيخ والذوق والوجد على النبي صلى الله عليه وسلم. يعني كما قال قائلهم أنتم تحدثون ميت عن ميت، أما نحن نتحدث عن نأخذ من الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي. خليه يحدث كيفما شاء لكن لا نجعل له صوتاً يسمع بحال من الأحوال، قال: (واتبع الهدى) وهذا مصداق واقتباس من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وسنتي).

قال: (ولا تكن بدعياً) هذه مسألة عظيمة جداً جداً. قال: (ولا تكن بدعياً لعلك تفلح) فأناط الفلاح بعدم البدع. والله وهذا أيضاً اقتباس لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وكل بدعة) عندنا في هذا الكلام مسألة البدعة فأنا كل هذا بإيجاز لا استرسال فيه بحال من الأحوال كما قلنا نذكر المنتهي ونوصل للمبتدئ. نتكلم عن مسائل ثلاثة في مسألة البدع: أولاً تعريف البدعة ذم البدعة واللوازم التي يلتزم بها المبتدع. ثم بعد ذلك شبهات قد طرحت على الساحة على هذه البدعة لتروج للبدعة على أنها يلفها الأحكام الخمسة.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من أراد أن يتمثل الناس له قياماً فليتبوأ مقعده من النار)، السنة ألزم. السؤال: الأحكام خمسة أم سبعة أم تسعة؟ خمسة. أجاب طالب: الاستحباب والندب.

الشيخ: ما الفرق بينهما؟ الاستحباب هو الندب. وأنا قلت هي موجودة في كتاب الله لإخواني في قصة يوسف عليه السلام. الرجل رأى الرؤيا قال: (يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ). قالوا: (أَصْغَاتِ أَحْلَامٍ) أجابوا بعدها (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ). الإمام مالك يقول: (من لم يتدرب على لا أدري تصاب مقاتله) يضيع. ولذلك كان السلف جميعاً يعلمون الطلبة أول ما يتعلم الطالب لا أدري، حتى لا يتجراً، لا يتقحم النار على بصيرة. هو قالها في محلها عندما قال: لا أدري. فجزاه الله خيراً انتسى بآبن عمر لما سئل خمس أسئلة فما أجاب إلا عن واحدة فقال: (الحمد لله الذي وفق ابن عمر إلى أن يقول فيما لا يدري لا أدري).

هو الوجوب والاستحباب، والاستحباب هو الندب والفرق بينهما أصولياً أمر يسير. بعد ذلك التحريم وبعد ذلك الكراهة. ثم يأتي في الوسط الإباحة، هو ليس من الأحكام التكليفية لكن أدخل

لأن بالنية ممكن ينقلب إلى استحباب أو ينقلب إلى كراهة أو محرم. هذه الأحكام التكليفية الخمسة.

سألنا الأحكام التكليفية لِمَ؟ قلنا بأن هنام من يروج للبدعة على أنها يلفها الأحكام الخمسة. من الذي قال بذلك؟ رجل من الفحول، لنعلم أن لكل فاضل ذنب يزل. لكن هل نأخذه بالزلة أم ننتظر لنرى؟ وهذا ليس الذي نتكلم عنه. سلطان العلماء العز بن عبد السلام هو الذي قال بأن البدعة يلفها الأحكام الخمسة قد تكون مستحبة مباحة، وطبعاً الغزالي وغير الغزالي. طبعاً هذا الكلام شذوذ، وهذا الكلام لا يمكن أن يقبل بحال من الاحوال. حتى ما نقل عن الشافعي فيه كلام، أنه قال: (البدعة: بدعة حسنة وبدعة سيئة) وهذا ليس سنبينه.

عامّة قال: (ولا تكن بدعيّاً) وهذا نهى. وقلنا النهي مراتب ثلاثة، كالأمر مراتب ثلاثة:

❖ من أعلى لأدنى

❖ ومن أدنى لأعلى

❖ ومن مساوي.

هنا المساوي يأخذ حكم الأعلى لأنه رصيده التأصيل العام هو نهى الله جل في علاه، (لا تكن بدعيّاً) وهذا النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي نهاك عن ذلك. لِمَ لا تكن بدعيّاً؟ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله من أحدث فيها حدثاً. لعن الله من آوى فيها محدثاً). ولذلك ورد في السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله حجز التوبة عن كل مبتدع) أعوذ بالله من الخذلان.

البدعة هدامة، قال ابن حزم في كتابه الماتع وهو كتاب المحلى. وهو تصدر الباب بأنه قال: (ما برزت بدعة إلا وتهدمت سنة). ولذلك لا بد من محاربة البدعة محاربة مستميتة، ما ظهرت بدعة إلا وقد تهدمت سنة. لذلك قال إبراهيم بن أدهم وهو من السلف وغيره، قال: (لئن أدخل في المسجد فأجد فيه شعلة النار تحرقه خيرٌ لي من أن أجد فيه بدعة). بعد ذلك يُبنى لكن إذا بني على بدعة انتهى الأمر. ولذلك الإمام الثوري في صحيح سنن الدارمي وغيره، قال الثوري قال: (البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية) لأن صاحب البدعة يؤصّل لها ويفصل وينافح ويحارب عليها. أمّا العاصي عندما يعلم بأنه قد تعدى الحدود مع الله جل في علاه يؤوب وينكسر ويتوب إلى الله جل وعلا، (ومن تاب تاب الله عليه).

لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة). عندي إشكال: الإشكال هو أنه قال: (حجز التوبة عن كل صاحب بدعة)، ومع أنه قال: (من تاب تاب الله عليه). كيف نجمع بين الحدين؟

الإجابة: أقول قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة) مع أن الله يحب التوبة، حجز التوبة عنه ما دام على بدعته، فإن رجع وتاب وأناب تاب الله عليه. هذا هو الصحيح.

إذاً نقول بأن البدعة مذمومة: ذمها الله في الكتاب، وذمها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة، والصحاب الكرام والسلف والأخيار قد ذموا البدعة:

قال الله جل وعلا: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) في سياق الذم الآن. (إِلَّا) هنا استثناء منقطع يعني لكن فعلوا ذلك ليبتغوا فضل الله (إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا).

وأما السنة فكثير. وطبعاً كل أمر في الكتاب بالتزام سنة النبي صلى الله عليه وسلم هو نهي عن الحيد عنه بالبدعة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وإنه من يَعِشْ مِنْكُمْ بِعَدِي فسيرى اختلافاً كثيراً) كأن واقفاً قام ترتعد فرائسه وتهتز أركانه ويرتجف قلبه. وما النجاة يا رسول الله؟ الاختلاف بعدك إذاً ضياع. اختلف عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ضياع. النبي صلى الله عليه وسلم أجاب له فقال: (فعلكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي. عضوا عليها بالنواجذ).

احفظوا هذه الجملة لأنها ستأتي معنا في الرد على الشبه (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين). إذاً سنة الخلفاء الراشدين هذه سنة مستقلة يجب العمل بها عند كثير من الأصوليين. لكن هو قال: (وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة). قال: (كل) هذا رد على الشافعي إذا قلنا بأن الشافعي قال: إن البدعة تقسم إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة. لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (كل) وكل نص في العموم. إذاً ما في بدعة إلا وهي ضلالة. قال: (وإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة). وفي رواية النسائي زيادة: (وكل ضلالة في النار). يبقى معنى الرواية أن نقول: (الكل) نص في العموم وسماها ضلالة ثم جعل مآلها إلى النار، ولو كانت حسنة ما كان مآلها إلى النار. وهذا حسم للمد وقطع للنزاع، لكن جاء المشوشون.

عامّةً نكمل ذم البدعة. وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن الله من أحدث فيها حدثاً. لعن الله من أوى فيها محدثاً). وأيضاً قد بين النبي صلى الله عليه وسلم بأن المبتدع في الدنيا يهجر. وأنه في الآخرة أيضاً لا يفوز كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ترثون عليّ الحوض وليُخجلن أقوامٌ من بين يدي) يختطف أقوام. السؤال لِمَ والأمة تحتاج إلى شرابٍ من يد النبي صلى الله عليه وسلم شربة هنية شريفة لا نظماً بعدها أبداً؟ اللهم اسقنا جميعاً هذه الشربة الشريفة. فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ربي أصحابي أصحابي). هذا الذي يأخذ به الروافض الخبيثاء، الرافضة أخبث أهل الأرض وأنا عندي الرافضة ألعن من اليهود

والنصارى. أدين الله بذلك. هؤلاء أخذوا هذا النص (أصحابي أصحابي) واعتلوا على هذا الكرسي ليزنوا الصحابة ويقولوا الصحابة كفروا إلا ثلاثة عشر واحد بكلام بئس تعيس من هؤلاء الخبثاء ألعن من الشيطان عندي.

فهؤلاء الخبثاء أخذوا بهذه الجزئية قال: (أصحابي أصحابي) في رواية قال: (أصحابي أصحابي) الرواية الثانية التي يخفونها كثيراً ونحن نعض عليها قال: (أمتي أمتي) المسألة ليست قاصرة على الصحابة. وأيضاً مسألة الصحابة سببها الآن لا نترك هذا المجال بحال من الأحوال لهؤلاء الرافضة الذين قال فيهم عامر بن شرحبيل الشعبي: (هؤلاء أخبث من اليهود والنصارى، قد فضلوا اليهود والنصارى بخصلة قيل لليهود من أهل الكتاب من خير الناس فيكم؟ قالوا: أصحاب موسى عليه السلام من صحب موسى. وقيل للنصارى من خير الناس فيكم؟ قالوا: من صحب عيسى. فقيل لهؤلاء الخبثاء الرافضة من شر الناس فيكم؟ قالوا: الذين صحبوا محمداً صلى الله عليه وسلم). إذاً اليهود والنصارى أفضل منهم في هذا القول.

عامّة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أصحابي أصحابي) أو (أصحابي أصحابي) في الرواية الثالثة قال: (أمتي أمتي). فقيل: (يا محمد إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (بعداً بعداً) في رواية (سحقاً سحقاً لمن بدل بعدي).

فقام القائمون وقالوا أنتم تفترون. لا غلو ولا جفو، والوسط العدول أخیار. قلنا ما عندكم، قالوا عندنا بأن البدعة: بدعة حسنة وبدعة سيئة، ولا تقفون سداً منيعاً للإبداع وعندنا الأدلة. قلنا هاتوا الأدلة نحن من الإنصاف بمكان نسمع لغيرنا فإن وجدنا الدليل حقاً راجحاً سمعنا وأطعنا وإن وجدنا الضعف يلوح ضربنا على الرأس ليرجع إلى دائرة الحق. قالوا:

❖ عندنا الدليل الأول قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه (نعمة البدعة). قد قام ودخل المسجد فوجد أن الناس يصلون في المسجد جماعات أوزاعاً متفرقين ماذا تستفيدون فقهياً من هذا؟

كان حق لنا أن نعرف البدعة أولاً

❖ البدعة في اللغة: هي الطريقة المخترعة على غير مثال سابق الله جل وعلا قال: (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ) يعني فطرها على غير مثال سابق.

❖ وفي الاصطلاح لها تعريفات كثيرة. أوجز هذه التعريفات ومن أمتع هذه التعريفات عندي تعريفان:

❖ التعريف الأول أن تقول التعبد لله بغير دليل. هذا التعريف يقسم ظهر المبتدعة.

البدعة هي التعبد لله بغير دليل. هذه مهمة جداً لأنه سيخرج لنا الأمور الدنيوية. أمر الدنيا الإبتداع فيه الإحداث فيه هذا ليس فيه ثمة شيء، التقدم حتى من الدين، هذا التقدم من الدين لا نحاربه. إنما قال (التعبد) لما قلنا في التعريف التعبد قيدنا المسألة على أمور الشرع، على العبادات. فالإبداعات في مسألة المعاملات لا شيء فيها. لذلك قال علماؤنا الأصل في العبادات الحرمة والأصل في المعاملات الحل.

فنحن نقول إذاً هي التعبد لله جل في علاه بغير دليل، وهذه مهمة جداً. إذاً إذا تكلمت عن العبادة فقل أين الدليل. إذا رأيتك تقوم بعبادة ما وجب أن تأتيني بالدليل حتى أقول العبادة صحيحة. فالبدعة التعبد لله بغير دليل. طبعاً هذا قيد يبين لك أنك إن تعبدت بدليل فلك الحق في ذلك.

❖ والتعريف الثاني تعريف الشاطبي هو من أمتع التعريفات أيضاً لكنه موسع قال: (هو طريقة في الدين مخترعة) قيد يعني يبين لك أنها على غير مثال سابق. لكن البدعة: بدعتان بدعة إضافية وبدعة أصلية كما سنبين. قال: (طريقة في الدين مخترعة، يضاهي بها الشرعية، يقصد السالك بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله جل وعلا)

هي طريقة في الدين، إذاً الدنيا طلعت أيضاً قيد، أي شيء في الدنيا لا نقول إن القلة حرام ولا الثلاثية حرام. طريقة في الدين مخترعة يعني لم يأتي بها النبي صلى الله عليه وسلم، أي التعبد بغير دليل. مخترعة يضاهي بها الشرعية كأنها تشاكل الشرعية صلاة كصلاة صوم كصوم كالصلاة الرجبية، شابها العبادة لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأتي بها. كالصلاة كالصوم في يوم معين يلتزم به. يوم الخميس نجمع أنفسنا كلنا أن نصوم جماعة وندعو على الكافرين جماعة كما يحدث في كثير من الرسائل التي يتحدث من بعض إخواننا. الغرض المقصود بأنه يأتي بشيء أصله في الدين لكنه لم يأتي به الدليل. يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله. أنت أعلم أم الله؟ هذا الذي فعله أهل الكتاب (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا). هذا التعريف في البدعة وقلنا ذم البدعة من الكتاب والسنة.

ثم قام قائم لنا يعترض ويقول: هناك غلو عندنا البدعة بدعتان بدعة حسنة وبدعة سيئة. وأتوا بالدليل:

❖ وأول الأدلة التي يستدلون بها هو قول عمر. لا سيما وأن عمر ملهم. لا سيما وأن عمر قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (لو كان نبي بعدي لكان عمر). وعمر هو نفسه الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا بالذين بعدي أبي بكر وعمر) عند من حسن هذا الحديث. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن يتبعوا أبا بكر وعمر يرشدوا) إذاً الرشد موافقة للسنة

سنة مستقلة وافق القرآن عمر هو الذي قال: (نعمة البدعة). إذاً عندنا نعم البدعة وبئس البدعة. عندنا البدعة بدعة حسنة وبدعة سيئة هذا أول دليل يتمسكون به.

❖ الدليل الثاني. يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد) قالوا عندنا منطوق ومفهوم:

🌸 المنطوق. قال: (من أحدث في ديننا ما ليس) الحكم مردود. مفهوم مخالفة: من أحدث في ديننا هذا ما هو منه فهو مقبول. يبقى نصلي بعد ما نتوضأ مقبول. أو نصوم كل خميس رجب مقبول لأن في صيام. هذه الشبهة الثانية.

❖ الشبهة الثالثة قالوا وعندنا الواقع يثبت ذلك. بلال قد اخترع عبادة وأقرها النبي صلى الله عليه وسلم. اخترع عبادة الإجتهد موجود فيها واسع في هذا الباب لأنه يقرر هذه القاعدة أن يأتي بعبادة منها. بلال دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: (ماذا تفعل يا بلال؟ إني أسمع دف نعليك في الجنة). فماذا تفعل؟ قال: (والله ما توضحأت وضوءاً إلا). أين الدليل الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقد صلاها وأحدثها بلال. طبعاً يقولون أنتم تحترفون الزوغان والروغان إن كانت لكم فهي حلوة وإن كانت عليكم فهي مرة، فستقولون خاص ببلال وانتهى الموضوع. قالوا لا نحن نعصد

هذا الصحابي الجليل الذي سمعته الملائكة وهو يقول. النبي صلى الله عليه وسلم يقول: سمع الله لمن حمده، فقال: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه إلى الآخر. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من القائل بهذا الذكر الآن؟ قال: أنا يا رسول الله. وجدت كذا وكذا من الملائكة سبعون ملكاً يبتدرونها يكتبونها، أيهم يسبق في الكتابة. هذا الذكر لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الصحابي. قالوا إذاً له أن يجتهد في الدين.

فالمسألة على ما قلناه بأنه لو كان منه لقلنا بذلك. سامحوني أن أعظم لكم النظر في هذه المسألة لأنها ذاعت الآن وشاعت، لأننا نحن مقبلون على عصر وإن كان فيه الخير لكن يبطن بتمنيع لأصول ثوابت، وتمنيع الثوابت يهيم الدين وإن لم يلحظه المبتدئ. لكن الحق نحن ندخل على عصر الآن سيكون فيه بعض التمنيع للأصول والثوابت، فلا بد من الحفاظ على هذه الثوابت وهذه يتمسكون بها جداً.

وقال قائلهم هذا القول، قالها تصريحاً: أما المفهوم فلنا والمنطوق لكم. قال: إذا اخترع من الدين فهو مقبول وليس بمردود ولا تحجر واسعاً والمجتهد يرتفع عند ربه جل في علاه، وقد اجتهد بلال وغيره من الصحابة عندما فعلوا ذلك. هذه الشبهة التي عند القوم.

نجيب عن الشبه حتى ندحض هذه المسألة ونقول (ولا تكن بدعياً) ونختم القول في هذا البيت كيف أبدع المرء؟ متى يكون مبتدعاً؟ متى أهجره؟ متى أذمه؟ متى لا أعرف له فضله؟ هذا إن شاء الله نبينه في ختام البيت. لكن نقول

❦ الشبهة الأولى التي يستدلون بها عمر بن الخطاب. بأن عمر قال: (نعمة البدعة) الإجابة فيها من وجوه ثلاثة:

❧ الوجه الأول ننظر في أصل فعل عمر كان بدعة أم سنة؟ الذي فعله عمر جمع الرجال على أبي وجمع النساء على أبي موسى الأشعري، فجمع الناس صفوفاً في قيام الليل في رمضان على إمام واحد. وهم كانوا في عصر أبي بكر وصدرأ من خلافة عمر بن الخطاب كانوا يصلون جماعات أوزاعاً في المسجد. إذاً هذا أصل فعل عمر، ننظر في أصل فعل عمر هل هو من البدعة أم لا؟

نحن قلنا البدعة طريقة في الدين مخترعة على غير مثال سابق. ننظر يا إخواني الكرام، جاء رمضان فاجتمع الناس في المسجد. صلى النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً الليل جماعة على رجل واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم. والليلة الثانية أيضاً صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، والليلة الثالثة صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم. ثم توقف النبي، النبي صلى الله عليه وسلم بين لنا العلة، قال: (خشيت أن تفرض عليكم). يعني المسألة أناط التفرقة بعة، والعلة خشية أن تفرض ولما يموت النبي جبريل لا ينزل، فالعلة قد انتهت إذاً يرجع الحكم كما كان. الأفضلية أن تصلي بهم جماعة كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم. أصل فعل عمر كان، الحمد لله هذا أول رد عليهم، أصل فعل عمر كان سنة وكان هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأحيا سنة.

❧ الوجه الثاني ننتزل معكم بأن نقول والذي فعل ذلك هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك. نقول لكم الآن عمر بن الخطاب ليس كأحد الرجال، سنته سنة متبعة ومستقلة. فليست بدعة أيضاً لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين). وعمر من الخلفاء الراشدين، وهو من أعظمهم. فعمر بن الخطاب من الخلفاء الراشدين الذي قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم (وسنة الخلفاء) جعلها سنة وجعلها متبعة، إذاً ليست بدعة أيضاً هذا الرد الثاني.

❧ الرد الثالث ننتزل، عمر ليست له سنة متبعة والنبي صلى الله عليه وسلم لم يصلي والإشكال عندكم أنه قال: (نعمة البدعة). ننظر هل الاحتمالات تعترى هذه اللفظة أم لا؟ إن لم تعترى الاحتمالات هذه اللفظة نأخذ بها. وإن كانت الاحتمالات تعترى هذه اللفظة عندنا قاعدة وضابط أصيل عند علماء الأصول يقولون: (الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال).

فننظر (نعمة البدعة) قد يعتريها نعمة البدعة اللغوية، لأن أبو بكر لم يفعل ذلك. فنظر إلى سابقه من الزمن فقال: (نعمة البدعة هذه) لأن أبو بكر لم يفعل وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم فعل فهو نظر إلى الزمان القريب. بدعة لغوية ليست البدع الاصطلاحية التي ترمون إليها. الاحتمال وارد أم غير وارد؟ ممكن يعترض المهم أنك تقر بأن الاحتمال وارد.

الاحتمال الثاني أن مسألة البدعة التي قالها عمر بن الخطاب لا يقصد البدعة بل يقصد المشاكلة. المشاكلة: واحد سرق مني جنيه، أنا وجدته في يده فخطفته منه. فلما كلمني أقول له: أنا قد أخذته منك كما أخذته مني، أنا سرقتك كما أنت سرقتك. مشاكلة: أو قل صفعك على وجهك أساء إليك فأنت ضربته على وجهه. فقال لك: أنت أسأت إلي، قلت: أسأت لك كما أسأت إلي. هل أخذ الحق إساءة؟ هو أخذ حق لكن هو من باب المشاكلة. وهذا أصله في القرآن، قال الله جل وعلا: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) أخذ الحق سيئة؟ الله مدح من يأخذ بحقه في القرآن في ختام سورة الشعراء قال: (وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ) قال: (إِلَّا الَّذِينَ) أكمل الآية الشاهد سيأتيك (إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا) مدح هنا.

يقول: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) ليس هذا ذمًا، أخذ الحق ليس هذا ذمًا. إذا لما قال (وَأِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ) هذا من باب المشاكلة لأن أخذ الحق ليس عقاباً وليس سيئة. فقال: وهذا أصل القرآن اقتباس من القرآن. فقال عمر: أنتم تقولون بدعة؟ لو كانت بدعة يبقى نعمة البدعة هذه. مع أنها ليست ببدعة، لكن أويديكم أنها وإن كانت بدعة فنعمة البدعة هذه فتكون من باب المشاكلة لشدة تحقير المخالف، وهو أيضاً شدة الغلبة عليه. فقال: وإن كانت بدعة. وهي ليست ببدعة. نعمة البدعة هذه لأنها مركوزة على سنة كانت عن النبي صلى الله عليه وسلم. إذاً أول شبهة انتهت.

❖ الشبهة الثانية: المفهوم المنطوق. قلنا له تعال أنت أصولي، فنحن الآن في مسرح الأدلة معك كالكبير الأصولي الذي يقول مفاهيم لا بد أن تصحح ولا بد أن يصحح ما عنده أولاً. فنقول بأنك قلت المنطوق ما ليس منه فهو مردود، فإذا ما كان منه فهو مقبول. قلنا نعم أنت الآن تستدل بالمفهوم. والرد عليك بالوجهين:

الوجه الأول: عندنا منطوق يقابل المفهوم. والقاعدة الأصولية (المنطوق أقوى من المفهوم) لأن المفهوم لا عموم له عند بعض الأصوليين وأن المفهوم يعتريه ما يعتريه من الاحتمالات. أما المنطوق فهو ظاهر قول النبي صلى الله عليه وسلم. قال كيف ذلك؟ قلت أنت تقول بالمفهوم إن أحدثت من الدين يعني مشابه للدين فهو مقبول، وهذا مفهوم فهمك أنت. والآن النبي ليس فهماً بل تصريحاً قال: (وكل محدثة بدعة). إذاً أنت أحدثت منه أو ليس منه يكون بدعة، وهذا كلام النبي، إذاً المنطوق يرفض المفهوم فلا نأخذ بالمفهوم. المفهوم مردود لوجود المنطوق إذاً لا يستطيع أن يستدل علينا بهذا. ما الفرق بين المفهوم والمنطوق؟ المفهوم فهم والمنطوق قول، والقول أقوى من الفهم. رددنا عليه في ذلك.

❦ الثالثة: بلال. هذه المعضلة الكبرى. بلال توضأ فصلی، اجتهد فيما يشابه الدين، صحيح نحن نقر بهذا. نقر بأنه اجتهد، نقر لكن نحن نقول له الآن نحن معك بهذا الإجهاد انتنا بمن يجتهد كاجتهاد بلال فيأتي الوحي فيقر اجتهاده ونأخذ به. نحن معك، لا نحيد انتنا بمثل بلال وأنى لك (أصحابي أصحابي) فهي المسألة خاصة بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. لم خاصة بصحابة رسول الله؟ قلنا:

❧ أولاً لأن الله زكاهم من فوق سبع سموات فاجتهادهم أقرب إلى الصواب.

❧ والأمر الأهم بأن اجتهادهم ملفوفٌ بوحى إما إقرار وإما انكار. فصلاة سنة الوضوء رجعت إلى التشريع لأنه فيها سنة تقريرية. ونحن معك الآن انتني بمن يجتهد اجتهاد بلال فيأتي جبريل فيقره ونحن نأخذ وأنى له ذلك؟ إذاً المسألة قاصرة على الصحابة انتهى الموضوع.

وقف رأسه المذبح وقف قال انتظر عندي آخر ما يمكن أن اتمسك به. قلنا ما عندك؟ قال عندي دليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سنّ سنة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها) هذا كلام جميل جداً. قال: (من سنّ) يرد عليك في مسألة التخصيص للصحابة. قال (من) ومن عند الأصوليين من الأسماء المبهمة التي تعم، أي أحد سنّ سنة حسنة يعني عندي حسنة وسيئة. قلنا ممتاز ونحن معك، لكن لا أنظر بعين عوراء، لأصل للحقيقة لا بد بعينين جميلتين وأنظر لجميع ملابسات الحديث. والحديث كما قال البخاري يفسره الحديث.

أنظر في السباق والسياق وانظر في واقعة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سنّ سنة حسنة في الإسلام). القصة معروفة وهنا الرجل، لما دخل على النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم متقلدي النمار ووجد فيهم الفقر الشديد. فتمعر وجه النبي فقال: تصدق رجل بصاع بره بصاع تمر. فجاء الناس فجاء رجل فأخذ كومة فوضعها إلى النبي. فالسياق معي الآن الرجل أتى بكومة وهذا لم يكن فيه تعليم، ما فيه دلالة على أن الزكاة تكون بكومة. إذاً اخترعها، هو يقول ذلك السياق معي لأن الرجل أتى بكومة ووضعها أمام النبي حينها قال صلى الله عليه وسلم: (من سنّ سنة حسنة في الإسلام). هو أبدع الآن فالرد عليهم من وجوه:

❧ الوجه الأول: بأننا لو تنزلنا وأنه أبدع فيما فعل واخترع اختراعاً. أقره النبي أم ما أقره؟ فرجعت المسألة على السنة التقريرية أم لا؟ إذاً رجعت على السنة التقريرية وهو تشريع من النبي صلى الله عليه وسلم. وانتهى الأمر مع أن هذه ليست الإجابة السديدة.

❧ الإجابة السديدة أن نقول بأن أوامر النبي صلى الله عليه وسلم أو العبادات ذات هيئات توقيفية وعبادات ليست لها هيئات توقيفية. وهذه مساحة الشرع، أنا عندي في العبادات أركان الإسلام: حج وصلاة وزكاة وصوم. بين الله في كتابه أمر الصوم، قال صلى الله عليه وسلم:

(صلوا كما رأيتموني أصلي) هنا هيئة توقيفية. قال: (خذوا عني مناسككم) إذا الحج توقفي. قال: (زكوا كما رأيتموني) لا، هنا حديث موضوع. ولو رمى في وسط مسلم فهو مسلم فاسق لأنه كذب على رسول الله، ما قال (زكوا كما رأيتموني أركي). إذا الزكاة ليست لها هيئة توقيفية.

أنت أصلاً مبتور أمرك من الأول لأن الزكاة ليست لها هيئة توقيفية. قال ماذا ستفعل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سن سنة)؟ دعك من الفعل الآن والسياق القول (من سن سنة حسنة) قلنا يفسر بحديث آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أحيا سنة) في الرواية الأخرى في السنن كما قال البغوي وغير البغوي: (من أحيا). إذا (من سن) هنا معناها من أحياها. إذا ما ابتدئها، لأن عندي محاذير كثيرة جداً تقف عندي سداً منيعاً أن أخترع شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ) والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى). إذا الأصل بالابتداع الحصر، فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة) يعني من أحيا سنة حسنة كانت قد ماتت (فله أجرها وأجر من عمل بها) إلى آخر الحديث.

إذا انهارت الشبه عن هذا الذي قد ابتدئ ونقول (ولا تكن بدعيًا لعلك تفلح). قلنا لا تكن بدعيًا وعلما ذم البدعة وعلما أن البدعة ليست بدعة حسنة وبدعة سيئة، كل بدعة ضلالة، كل حدث بدعة والبدعة ضلالة والضلالة في النار. يبقى لنا من المبتدع الذي بإنصاف وبدين من المبتدع الذي لا بد أن أبين بدعته؟ لا بد أن أنهر الناس عن الاجتماع عليه؟ لا بد أن أشد الوطئ عليه؟

أقول المبتدع: كل من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مبتدع. لكني أقول هناك من ابتدئ في دين الله جل في علاه على تأويل واجتهاد وعنده آلة الإجهاد وهو قد انتشر صيته بين الناس أنه يحافظ على السنة ويحارب من أجل السنة، ويريد نشر السنة لكنه اجتهد فوق في بدعة. فمثل ذلك لا بد أن أنفر من البدعة التي وقع فيها وأبينها أنها بدعة. أما هو فلا أبدعه حتى أنه بعدما علم أنها بدعة أتأكد أنه قد رضي بهذه البدعة عندي سبيل لأبدع الشخص، لأن هذه مسألة أعراض كما قال علماؤنا ابن دقيق العيد وغير ابن دقيق العيد قال: (أعراض الناس حفرة من حفر النار) ليست بالهيئة لا سيما العلماء.

لكني أقول أولاً ثبت العرش ثم أثبت أن هذا القول أو هذا الفعل بدعة. وكيف تثبته؟ كيف أعرف البدعة؟ عبادة مخترعة، التعبد بغير دليل، إذا مخالفة لهدي النبي صلى الله عليه وسلم بدعة فانتهى الموضوع. لا يوجد دليل فهي بدعة، فعندي إثبات البدعة بالكتاب والسنة أو بإجماع أهل السنة أنها بدعة بتتصيص العلماء على أنها بدعة. لا بد كتاب أو سنة أو تتصيص العلماء أو إجماع العلماء. إذا ثبت ذلك فأنا أقول القول قول بدعة والفعل فعل بدعة.

القائل والفاعل هل مبتدع أم لا؟ أنا عندي من أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (التفريق بين النوع وبين العين). نقول الحق بأن هذا التفصيل ليس من عندي هذا من عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا نظلم. لأنه قد يقع المرء فيه تأويلاً يقع في البدعة وهو ليس مبتدع ولا يحب البدعة ولا يحب أهل البدع. التفريق هذا جاء من النبي صلى الله عليه وسلم، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن في الخمر) شاربها بائعها الذي يشتريها ملعون الذي يوصلها عاصرها ملعون، (لعن في الخمر عشرة). العياض بن حمار صاحب من صحابة رسول الله، في المسند الصحيح: (لعن في الخمر عشرة) هنا لعن شارب الخمر.

جاء العياض بن حمار فشرب الخمر فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ثم أوتي به مرة ثانية فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ثم أوتي به مرة ثالثة فجلده النبي صلى الله عليه وسلم ثم أوتي بعد ذلك به فجلد. فنظر إليه خالد بن الوليد شذراً فقال له: (لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى بك) انظروا خالد ابن الوليد لم يحد عن السنة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لعن في الخمر) شرب الخمر تستجلب اللعن. إذاً خالد ما خرج؟ قال له: (لعنة الله عليك ما أكثر ما يؤتى بك في الخمر) فماذا قال له النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: (لا تلعه) نهاه كأن خالد سيسأل ويقول أنت الذي قلت لعن في الخمر عشر؟ قال: نعم. هذا النوع، هذه القاعدة العريضة، هذا الضابط العام، القاعدة الكلية. أما الأشخاص آحاد الناس هل تلعه أو لا تلعه لا بد من ضوابط عشان تسقط عليه الحكم.

هذه أيضاً قضية التكفير، قد يقع المرء في قضية كفرية بجهل أو بتأويل أو باجتهاد. فانطبق حكم الكفر عليه لا يمكن أن يكون إلا بتوفر شروط وانتفاء الموانع. فعندي حكم كلي يقول بأنني لا أطلق حكماً إلا بتوفر شروط وانتفاء الموانع. توفر الشروط هنا هي شرب، توفرت الشروط. لكن هنا جاءني مانع منع من إسقاط حكم اللعن عليه، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تلعه والله ما أراه إلا يحب الله ورسوله) الذي خرجه وجود المانع مع أن الحكم قارب أن ينطبق، لكن المانع منعه كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من تحسّى سماً فهو يوم القيامة في نار جهنم يتحسوه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها، من قتل نفسه بحديدة فهو بحديدته في نار جهنم يتوجأها خالداً مخلداً فيها). فقاتل نفسه خالد مخلد في نار جهنم. الشرط توفر لكن جاءني مانع منع من التخليد هو (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة) نفعته () أصابه ما أصابه قبل ذلك.

لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل كما سيأتينا. يقول: (شفعت الملائكة، شفعت الأنبياء، شفعت المؤمنون، بقي) شفاعته رب العالمين لرب العالمين صفة لصفة. قال: (بقي شفاعته أرحم الراحمين، فيقبض قبضة فيخرج كل من كان في النار قد قال لا إله إلا الله وإن لم يعمل خيراً قط)، إذاً جاء مانع يمنع من انطباق الحكم. إذاً من الإنصاف أن أفرق بين النوع وبين ().

فأول خطوة بالكتاب والسنة أثبت أن هذه بدعة، أصلاً لو المسألة بالتشهي أي واحد سيشرب يا مبتدع. وممكن واحد يأتي بصلاة أنا أجهلها لا أعرفها، ما أعلم أنه ممكن يوتر تسعة، ويجلس في الثامنة يتشهد ويجلس بعد ذلك في التاسعة يتشهد. أنا مثلاً أجهل هذا، فوجدت الرجل يفعل ذلك أقول له يا مبتدع هذه صلاة بدعة. فأنا عندي غلو الآن تقحمت النار على بصيرة، لا بد أثبت الفعل أولاً بالكتاب والسنة أنه بدعة، ثم بعد ذلك أتى للشخص الذي أتى به أقيم عليه الحجة وأزيل عنه الشبهة لعله يقول هذه سنة وعندي دليل والدليل كذا، أقول له لا هذا الدليل ضعيف فإن وجدته صلباً على ما ابتدع إذاً أبين للناس أنه مبتدع. لكني في الحالتين وجوباً لا بد أن أنفر الناس من البدعة.

أما الشخص، لأنني لست رباً، لسنا حكاماً على الناس فأنا لست رباً ومع ذلك أنا مأمور شرعاً أن أضع الشيء بنصابه، ومأمور في الأمر الآخر أن أعرف الفضل لأهل الفضل. لذلك لما أقول (لا تكن بدعياً) لأنه سيعترب عليه أحكام لو قلت مبتدع أو قلت هو بدعي فيترتب أحكام الهجر وتنفير الناس منه وتحذير الناس منه ومن بدعته ومما هو عليه، أحكام كثيرة. إذاً هذه الأحكام الكثيرة لا يمكن أن تكون جزافاً فأنا ما عندي ورع، مشكلة كبيرة جداً، وأيضاً أخوض في عرض سأسأل عنه يوم القيامة وعند الله تجتمع الخصوم فلا بد من بينة وأقف على أرض صلبة فأقول (ولا تكن بدعياً) وأبين ذلك. فإذاً لو أنت أثبت من الكتاب والسنة وانتهى الأمر أقول الآن إما أن ترجع وإما أحذر الناس منه.

لذلك قال (لا تكن بدعياً) لأنه سيعترب على ذلك أحكام، وهجران المبتدع واجب في ديننا لكن له ضوابط شرعية أيضاً. لأن بعض علماؤنا قالوا: عندنا حاضر وعندنا مبيح، مبيح للهجران بفعل السلف وعندنا حاضر بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تهجر أخاك فوق ثلاث)، المسلم لا يهجر أخاه فوق ثلاث. علماؤنا يقولون المسألة على المصلحة والمفسدة، إن علم بغلبة الظن أن هجران هذا الرجل سيأتي بفائدة وبثمارها ويرجع عن بدعته وينفر الناس من بدعته وجب الهجران. إن وجدنا أنه سيزيد الأمر عتواً وطغياناً بل وتنتشر البدعة أكثر فعليه ألا يفعل ذلك. لأن هذه المسألة الأحكام هذه تحكمها مقاصد الشريعة، ومقاصد الشريعة هو تقليل المفسد قدر الإمكان وتكثير المصالح قدر الإمكان هذا البيت الأول.

البيت الثاني قال: (ودن بكتاب الله) وهذا أيضاً تأكيد لما قاله بأن تعتصم بكتاب الله جل في علا (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً). قال: (والسنن) هنا صرح كأنه فسر الهدى بالسنن وهذا من الفقه العالي إذاً نقول.

سؤال مداخلة من طالب: هناك اختلاف تضاد، هناك اختلاف تنوع، أمور مختلف فيها بين العلماء بعضهم قال بدعة وبعضهم قال ليست بدعة؟ ننظر في الدليل، إذا كانت المسألة اجتهادية نابعة من اجتهاد وهو مسوغ فلنا مسوغ هذا الأمر، أما إذا كان مخالف للسنة فانتهى الموضوع

الذي قال ليس بدعة طالما خالف الكتاب والسنة نبين له. أما إذا كانت المسألة فيها اجتهاد مسوغ فهذا الكلام يكون فيه.

قال: (ودن بكتاب الله والسنن). السنن هي سنن النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا الأمر التمسك بالسنة كما قال الله جل وعلا: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، والله جل في علاه ما بعث نبيه إلا بسنة. هنا لما يقول السنن ويسميتها الهدى وكتاب الله جل في علاه أيضاً سماه هدى ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم بالهدى لأنه قال: (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) وقال في بعض الآيات: (وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ) كما في سورة النحل فوسمه بالهدى. والسنن أيضاً هدى دلالة واضحة جداً على أن السنة وحي كما أن القرآن وحي بالثمرة بالنتيجة. أقول النتيجة الثمرة هي التي جعلتني أصل إلى ذلك ووسم الله كتابه في الكتاب أنه وسمه بالهدى والنبي صلى الله عليه وسلم لقب القرآن بالهدى. وأيضاً هنا المصنف ببديع الفقه تكلم عن السنة أنها هدى لقبها ووسمها بذلك، وبعد ذلك أوضح وأفصح وقال: (والسنن). إذاً الهدى هي السنن والسنن هي الهدى، والهدى أيضاً هو كتاب الله، إذاً طريقهما واحد.

أستدل من ذلك بنتيجة أخرى هو أن القرآن هدى لأنه وحي، لأنه من كلام الله جل في علاه. والسنة أيضاً هدى لأنها وحي، وهي من كلام الله. السنة من كلام الله والدلالة على ذلك كثير، قال الله جل وعلا: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ~ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) وجه الدلالة: كل ما ينطق به النبي صلى الله عليه وسلم هو وحي. قال: (وَمَا) و (إِلَّا)، البلاغيون يقولون النفي والاستثناء هذا حصر وقصر. (إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ) ممكن (وَمَا) و (إِلَّا) وتضع مكانها (كل): كل ما ينطق به النبي هو وحي، والنبي ينطق بالقرآن وبالسنة.

وأيضاً قول الله جل في علاه قال الله جل في علاه (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ~ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ~ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ~ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ). أين وجه الدلالة أن السنة وحي ووجه الشاهد من الآية؟ جزئية الشاهد (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا) علينا راجعة لله جل في علاه، الله جل وعلا هو الذي يتكلم: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا) فبيان القرآن من الله. والبيان هو السنة، والدليل (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) وهو وحي من القرآن بهذه السنن أيضاً التي أتت بذلك، التي أتت عن رسول الله تنجح وتريح الفوز كل الفوز.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس الثالث

عنوان الدرس: صفة الكلام لله جل وعلا

قال المصنف رحمه الله:

وقل غير مخلوق كلام مليكنا بذلك دان الأتقياء وأفصحوا
ولا تغل في القرآن بالوقف قائلًا كما قال أتباع لجهم وأسجحوا
ولا تقل القرآن خلق قرأته فإن كلام الله باللفظ يوضح

إذاً هنا المصنف ابتداءً الكلام على صفات الله جل في علاه وهذا من أشرف العلوم على الإطلاق، وشرف العلم يعرف من شرف المعلوم وليس أحدٌ أشرف من الله جل في علاه بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.

تكلم هنا عن صفة القرآن قال: (وقل غير مخلوقٍ كلام مليكنا) فأضاف الكلام للمليك المقتدر سبحانه جل في علاه، فاستهل الكلام على صفة من صفات الله جل في علاه وهي صفة الكلام. فأقول إخوتي الكرام ضابط يضبطه طالب العلم معي يريحه جداً في مسألة الصفات لو أتقنه سيتقن جميع ما يأتيه من الصفات، هذه الضوابط أن تعرف أقسام صفات الله جل في علاه وكيفية الضوابط منها

❖ أولاً تقول صفات الله جل في علاه على قسمين: صفاتٌ ثبوتية وصفاتٌ سلبية. صفات ثبوتية ثبتت، صفات سلبية انتفت. في الوسط صفاتٌ ثبوتية سلبية فعندنا دوائر ثلاثة:

❖ الدائرة الكبيرة صفات ثبوتية. ❖ الدائرة الثانية صفات سلبية

❖ في سلسلة في الوسط أقول لها طرف هنا وطرف هنا الدائرة التي في الوسط تعرفون التقاطع؟ لها علاقة بالثبوتية ولها علاقة بالسلبية هي ثبوتية سلبية.

🔸 أما الصفات الثبوتية هي الصفات التي ثبتت لله بالكتاب أو السنة أو إجماع أهل السنة، فهي ثبوتية لأنها ثبتت بالكتاب بالنص (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) صفة اليد ثبتت بالكتاب، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار)، قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً تدعون سميعاً قريباً) وفي رواية (سميعاً بصيراً). فهذا أتى بالصفة السلبية نفاهاً (لا تدعون أصمّاً ولا غائباً) نفى عنه الغياب ونفى عنه الصمم. قال: (تدعون سميعاً) أثبت له السمع (قريباً)، وفي رواية (سميعاً بصيراً) أثبت له السمع والبصر. الغرض المقصود ثبوتية لأنها ثبتت بالنص لله جل في علاه.

🔸 سلبية انتفت عن الله بالنص قال الله جل وعلا: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا يَبْقَى ضَابِطُ السَّلْبِيَةِ يسبقها ما النافية، ضابطها لتعلم أن هذه الصفة سلبية (وَمَا مَسْنَأَ مِنَ لُغُوبٍ). أو لا (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) هذه

صفة سلبية انتفت عن الله جل في علاه نفاها عن نفسه أو نفاها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

صفات الوسط هي صفات الثبوتية السلبية، معنى ثبوتية سلبية أنني أثبتها حين يثبتها الشرع وأنفيها حين ينفيها الشرع. كيف ذلك؟ وهل هناك من الصفات ما يجمع بين الأمرين؟ قلنا نعم كصفات المقابلة: المكر والكيد والاستهزاء والسخرية، ضابط هذه الصفات الثبوتية السلبية أنها كمال من وجه ونقص من وجه، ضابط صفات المقابلة كمال من وجه ونقص من وجه. فأنا حين أنفي تكون نقصاً وحين أثبت تكون كمالاً. فهي ثبوتية حينما كانت كمالاً وهي سلبية حينما كانت نقصاً، كالاستهزاء والمكر وأيضاً الكيد.

المكر والكيد والاستهزاء على الإطلاق نقص، لا أقول الله الكائد الماكر حاشا لله هذا سوء أدب مع الله جل في علاه، هذا نقص، المكر المطلق نقص. أما المكر مقابل الماكرين كمال لأن هذا يدل على القوة والقدرة والتمكن. فيقول الله جل وعلا: (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوبِدًا) هذه دلالة على قوة الله وقدرة الله على هؤلاء الذين يكيدون فهي كمال عندما تكون في المقابلة. (وَمَكْرُوا مَكْرًا * وَمَكْرَنَا مَكْرًا)، (فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ) فهذا الله جل وعلا يقول هم يمكرون نعم والله يمكر، والله جل في علاه يرد كيدهم ومكرهم. هذه فيها كما قلنا الكمال من القوة والقدرة على ردع ورد الماكر والكائد للمؤمنين، وأيضاً فيها الكمال والقوة والقدرة على أن يحفظ المؤمنين من كيد الكافرين، هذا كمال لله جل في علاه. فحينما كانت كمالاً قلنا ثبوتية وحينما كانت نقصاً قلنا سلبية هذه بالنسبة للصفات.

إذا صفات ثبوتية ثبتت، صفات سلبية انتفت، صفات ثبوتية سلبية ثبتت وأيضاً انتفت في حين وحين. الصفات الثبوتية وهذا المجال اللي سنتكلم فيه الآن صفات الثبوتية تنقسم إلى أقسام ثلاث: صفات ذاتية وصفات ذاتية خبرية وصفات فعلية. وهنا أول ما صدر الباب المصنف بالصفات الفعلية.

◆ صفات ذاتية: هي الصفات الملازمة لذات الله، يعني هذه الصفة يتصف الله بها جل في علاه أزلاً وأبداً لا تنفك عن الله، كالحياة. ينفع تقول الله يحيى حين يشاء ولا يحيى حين يشاء. هل يصح تسلب الحياة عن الله؟ حاشا لله أزلية أبدية. العزة ثابتة لله جل في علاه أزلاً وأبداً، هل يصح أن تقول يكون عزيزاً حيناً حاشا لله ولا يكون عزيز حيناً آخر؟ هذا كفر. هذه الصفات الذاتية التي لا يصلح أن تنفك عن الله جل في علاه. قلنا مثل الحياة مثل القدرة مثل العزة فهذه لا تنفك عن الله في حال من الأحوال.

❖ والصفات الثانية صفات ذاتية لكنها خبرية، هي أدق من الصفات يعني فيها قيد أكثر. الصفات الخبرية هذه هي الصفات التي لا يمكن أن نعمل النظر فيها، لا نستطيع أن نقول إننا يمكن أن نثبتها لله بالعقل أبداً. صفات خبرية، لم خبرية؟ لأنني لا يمكن أن أصف الله بها ولا يمكن أن أقول إنها كمال إلا إذا جاءني النص في غير الكلام الذي بصده الآن كما سنبين. الكلام يمكن بالعقل أقول الكلام لله كمال لكن لا أستطيع أن أقول إن العين وأنا أشير لتفهم أنت، ما أقول عين الله جل في علاه، أن العين لله كمال ما أستطيع أن أقول ما عندي ما يمكن أن أقول العقل يقول بذلك. لأن ممكن من الكائنات المخلوقات ترى ولا أعلم لها عين ولا ما لها عين، المسألة عند الله جل في علاه ومعنى الكمال أو لا كمال.

فإذاً هي صفت خبرية لأنني أتوقف عندها على الخبر فقط، العقل لا يدخل في هذا الباب إثباتاً ولا نفيّاً بحال من الأحوال بالمثل يتضح المقال: أنا أقول إذا مررت على رجل فقلت السلام عليكم، فنظر لي فلم يرد، قلت جيد لم يسمعني فتصنعت لأمر آخر، فمررت عليه ثانية فقلت السلام عليكم، فلم يرد تضايقت فجئت في الثالثة فقلت السلام عليكم فلم يرد، ثم مررت على أخيه بعده بخطوات قلت السلام عليكم قال عليكم السلام ورحمة الله وبركاته قال وقد ثبت عندي ومغفرته. قلنا الخلاف في الحديث كلام آخر لكنك قد رددت فالحمد لله على ما رأيناه منك أخوك هذا لما لم يرد، أيزدرينا؟ أبحثرنا؟ قال: يا أخي هو لا يسمع طيب وقال الآخر: لا هو يسمع لكنه لا يتكلم. بالله عليكم الرجل الذي رد علي وسمعني فيه كمال أم فيه نقص؟ كمال. لما آتي للرجل الذي لم يسمع سلامي أو سمع ولم يستطع أن يرد فيه كمال أم فيه نقص؟ عقلاً أقول الذي لا يتكلم هو ناقص والذي يتكلم هو كامل. العقل يقرر ذلك ولا ما يقرره؟ يقرره. إذاً هذا مدخل العقل في صفات الأفعال.

أما الصفات الخبرية أقول لله رجل. هي كمال في الإنسان، لكن بالنسبة للخلاق إن كانت كمالاً أم لا؟ حتى الأذن لو قلت لله أذن أنا لا أدري كمال أم لا؟ لو قلت لا ليس له أذن لا أدري النفي هذا يجعله كمالاً أم لا؟ فلذلك أنا أقول عندما يقول لي الله أذن أسكت لا أنفي ولا أثبت، لأنني لا أدري هي كمال أم لا فلا بد أن أتوقف عند الخبر.

🌀 الضابط الأول في الصفات الخبرية: (أن العقل لا مدخل له في إثباتها بحال من الأحوال). أمثل مرة ثانية، نقل عن أحمد أنه أثبتتها بمفهوم المخالفة وهذا بحر آخر في الخلاف في إثبات الصفة بمفهوم المخالفة سورة الأعراف قال الله جل في علاه: **(أَوْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا)**، قال: (إذاً كان الله عاب على الآلهة المزعومة لأنها فيها نقص أن ليس لها أذان فالكمال أن الله يكون له أذن). هذا إثبات بالمفهوم فلا يصح فلا نقول به. فنحن نقول الآن لا نتوقف لأنني لا أدري كمال أم لا؟ فهمتني حضرتك. الضابط الأول العقل لا يثبته.

الضابط الثاني مسماهما عندنا أجزاء وأبعاد، الصفة الخبرية لله أعرف أنها خبرية مسماهما عندي أنا كبشر جزء وبعض، العين جزء واليد جزء والرجل والساق جزء مني وبعض فهي عندي أنا بالنسبة لي أنا جزء وبعض، أما بالنسبة لله فهي صفة من الصفات. عندي جارحة وعندما تضاف إلى الله تكون صفة كمال. فالغرض المقصود بأن يقول هذه الصفات الخبرية هي ذاتية لا تنفك عن الله لكنها خبرية، يعني أتوقف معها على الخبر كالعين كاليد كالساق كالأصابع كالأنامل.

فإنه جل وعلا قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) لله يد، قال: (لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) كما سيأتي التفصيل في الحائية، والله أصابع بل له أنامل قال النبي صلى الله عليه وسلم: (القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن) أضافها للرحمن كما سيأتي. وقال الله جل وعلا: (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) فالحق أن هذه الآية ليست آية صفات إلا أن الحديث هو الذي أثبت لنا ذلك حديث أبي سعيد أنه قال: (فيكشف عن ساقه) فأضافها له.

خذ الضابط هذا أيضاً: (أنا لا يمكن أن أثبت صفة ولو جاء النص بها لله إلا بشرطٍ وقيد أن تضاف إلى الله). لا أقول هي صفة حتى يأتيني النص يقول لله، مضافة إلى الله، لو تركها مطلقة يبقى لا تكون من الصفات. (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) لا ليست صفة، معناها نقول بأيدٍ من التأييد من القوة ليست هي اليد لكن أنا عندي أصالة أنها لم تضاف إلى الله فليست صفة، ليست من آيات الصفات لأنها لم تضاف إلى الله جل في علاه. الصفات الخبرية كالساق كالرجل كما قلنا كالأصابع كالأنامل (وجدت برد أنامله في صدري) وأيضاً العين (تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) (وَلَنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي).

◆ والصفات الثالثة هي الصفات الفعلية، الصفات الفعلية فيها شبه من الصفات الذاتية لكنها ليست كاملة. يا إخواني صدقوني بوابة العلم إتقان العقيدة وأشرف ما يكون الأسماء والصفات حتى لو الأمر فيه مشقة عليكم فانتبهوا لتحفظوا لتتقنوا والله أنت ترتقي منازل علا عند ربك بذلك. قلنا الضابط الأكيد في الصفات الذاتية أنها أزلية لا تنفك أبداً، فالفعلية فيها شبه قد تنفك وقد لا تنفك هذا التعبير ممكن يكون غلط، لكن أقول فيها شبه من الذاتية.

ضابط الصفات الفعلية وإن كان قد قررها ابن تيمية نقلاً عن السلف وقد أنكرت عليه إنكارٍ بشدة أنه قال: (قديمة النوع حادثة الأفراد) يعني أنا أقول ضابط الصفات الفعلية أنها (قديمة النوع حادثة الأحاد) يعني الله يتصف بها قبل أن يخلق الخلق هو رحيم قبل أن يخلق من يعصي فيرحمه، لأنني لو لم أقل ذلك لوصفت ربي بالنقص، لو قلت إن الله جل وعلا لم يكن رحيماً ولم يكتسب صفة الرحمة إلا بعدما خلق ورحم يعني كان

قبل ذلك عاري عن هذه الصفة والتعري عن صفة الكمال نقص. هذا الذي يوضح لكم دقة القول كل صفة فعلية أقول عنها قديمة النوع حادثة الأفراد.

لما أنا أمر على محمد أو على السيد أو على احمد، السلام عليكم يا أحمد نظر إليّ متضايق لم يرد علي، مررت السلام عليكم يا أحمد لم يرد، الثالثة كان الرجل يضع في صدره شيئاً حسب أنني قد أخطأت في حقه وأنا لم أفعل فجاءه رجل من الطيبين يصلح ذات البين فقال له هو لم يفسد ما بينك وبينه ولم يخطئ في حقك فرضي قلبه فلما مررت عليه الرابعة قلت السلام عليك يا احمد فقال لي وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وأعطاني هدية. فهل أقول بعد ما سلم عليّ الرجل كان أخرس وبعدها تكلم أم ماذا أقول؟ الوصف ماذا أقول؟ لم يتكلم بمشيئته لأنه كان عليّ غاضباً ولما رضي عني تكلم. صفة الكلام كانت متواجدة، ما في نقص لكن هو ما تكلم إلا حينما أراد أن يتكلم وهذا كمال فوق الكمال.

فصفة الفعل لا بد أن أقول هي قديمة النوع، لا أقول إن الله اتصف بها بعد ذلك لأنك حينما تقول بأن الله قد استجدت هذه الصفات عنده قد اتصف بها مجدداً يعني قبل ذلك كان عارياً عن الصفة. فإذا قلت بأن هذه الصفة كمال فعندما كان قد تعري عنها أو كان عارياً عنها كان كالنقص، وهل أصف الله بالنقص؟ كيف والله جل وعلا له الكمال المطلق سبحانه، حاشا لله. الله الكمال المطلق. إذاً ضابط الصفات الفعلية (قديمة النوع حادثة الأفراد): النزول المجيء المحبة البغض الكلام وهو المقرر عند كثير من العلماء هي قديمة النوع حادثة الأفراد.

ضوابط الصفات الفعلية:

🌿 أنها تتعلق بالمشيئة ان شاء فعل وان شاء لم يفعل، هذا الضابط الأول.

🌿 الضابط الثاني المهم جداً أنها تتجدد، يتصف الله بها حيناً ولا يتصف بها حين. أنا لما أقول لا يتصف بها حيناً، تقول لي هو تعري عنها؟ أقول له: لا هي قديمة النوع وللكمال أنها تتعلق بمشيئته، قد يحب الله جل في علاه أبى لهب عندما زعم الإسلام أحبه نعم أحبه للإسلام. هذا الصحيح أحبه حين أسلم نعم وكرهه حين كفر.

عمر، وهذا فارق بيننا وبين إخواننا الطيبين هؤلاء هذه أصول فارقة أنهم يقولون بأنه من الأزل الله يحب عمر بن الخطاب. هذا خطأ بين. الأشاعرة يقولون بذلك، يقولون الله يحب عمر بن الخطاب من الأزل هذا اعتقاد عندهم سنيين. أنت تسمع الأصول الفارقة بين أهل السنة والأشاعرة يفيدك ذلك، فهم يقولونه هذا ونحن نقول لا إن عمر ابن الخطاب كان مبعوضاً مكروهاً لله جل في علاه حال كفره حال معاندته للنبي صلى

الله عليه وسلم، وما صار محبوباً إلا بعدما أسلم. لأن الله يكره الكافرين ويبغض المنافقين والله يحب المخلصين والمخلصين. وهذه الفائدة التي تتعلق بها، لذلك هم ينفون الصفات الفعلية.

يقول لك نعم هو قد يتكلم لكن ويأتون النزول نزل أمره نزلت رحمته كما سنبين، تألي على الله، تقدم بين يدي الله ورسوله وهذا خطأ بين فاحش وهذه بدعة مميتة. وأنا أخشى أنها تكون من الضلالات العظيمة، تحريف في كتاب الله جل في علاه، ولو بأن عندهم مسوغ من اللغة لقلنا هذا كفر لأن الله جل وعلا يقول: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) وهم يقولون لا لم يكلم موسى تكليماً مثلاً أو يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا) وهم يقولون لا ينزل رحمته ينزل أمره الله. النبي قال ينزل ربنا أنت تقول تنزل رحمته ينزل أمره من أين أتيت بهذا؟ وهذا المسرح الذي سنبينه إن شاء الله.

عامّة الصفات الفعلية ومنها صفات الكلام فهي الصفات التي ضابطها أنها تتجدد يتصف الله بها حيناً ولا يتصف بها حيناً. قال الله جل وعلا: (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ) محدث أي متجدد. ولذلك الله جل وعلا قال: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۚ إِنَّكَ بِالْوَادِ) ما قالها من الأزل من يوم أن خلق القلم قال له: أكتب، فكتب أنه سيقول، نعم كتب بأن الله سيقول لموسى حين يأتي موسى عند الشجرة إني أنا ربك، هذا مكتوب. آيات القرآن مكتوبة من الأزل لكن حين الكلام الفعل لم يكن إلا بسببه، يعني الله جل وعلا ما قال: (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) إلا عندما جاء موسى إلى الشجرة، ليس من الأزل.

وهذا أيضاً يجانبنا مسألة صفة الفعل بكلام أهل البدع والضلالة لأن منهم من أثبت الكلام لله لكن جعله أزلي يعني الله يقول يا موسى: (إِنِّي أَنَا رَبُّكَ) وموسى لم يخلق بعد. يعني هو لما يصف الله بأنه قال: (إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) أو (وَلِصْنَعٍ عَلَى عَيْنِي) قبل أن يُخلق هل هذا كمال؟ أنت لو مررت عليّ وأنا أتكلم مع الحائط هكذا أقول أنت حبيبي أنت ابني أنت محمد وأنت، ومحمد زوجتي حامل فيه ستلد بعد شهر. يقولوا عليّ جن، نقص أم لا؟ حاشا لله. الله المثل الأعلى فهل يتصور بأن الله من الأزل يقول (يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) أو يقول (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ) هو أذن له متى محمد في الأزل؟ ما تكلم الله جل وعلا إلا حين كان الموقف أو كان الأمر تكلم الله جل وعلا. وإن قلنا بأن القرآن نزل منجماً على ما قاله بعض العلماء، ثم نزل تفصيلاً هذه أيضاً في قريب عهد بالموقف. قال: (مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ) إلى آخر الآيات.

الغرض المقصود هذه هي الصفات الفعلية، وهنا المصنف تكلم عن صفة من صفات الله جل وعلا الصفة الفعلية وهي صفة الكلام، كلام الله جل وعلا أو القرآن. أقول

إخوتي الكرام الله يتكلم بل يتكلم الله جل وعلا بحرفٍ وبصوت ولا يدع الله أحداً إلا وسيكلمه الله جل في علاه. وإننا عندنا الأدلة الثابتة الدامغة لكل مفترى ضال مبتدع يرد مثل هذه الصفة بأن الله قد تكلم وتكلم مع كثير من المخلوقات، قد تكلم الله جل وعلا حين خلق آدم عليه السلام وتكلم مع الملائكة وتكلم الله مع النار وتكلم مع الجنة وتكلم الله جل في علاه للسماء وللأرض.

ثبت هذا الكلام لله جل في علاه كما قال الله جل في علاه: (وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) نادى يا آدم. وتكلم الله مع الملائكة: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً). وتكلم الله جل وعلا مع الشيطان (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) (قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ) وقال: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) هذا كلام. وتكلم الله أيضاً مع السماء والأرض عندما قال الله جل وعلا: (فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ). تكلم أيضاً تكلم الله جل في علاه مع الجنة والنار، في الحديث الذي في الصحيحين: احتجت الجنة والنار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فقال الله تعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء. وقال للنار: أنت عذابي أعذب بك من أشياء).

فقد تكلم الله جل في علاه، فإذاً الله ثبت أنه تكلم. وأهل البدعة يقولون الكلم هنا من الجرح، قالوا جرحته الحكمة الكلام السفسطة الغوغائية التي لا تساوي شيئاً وهي رد صريح لكتاب الله جل في علاه. وقد ثبت كلام الله جل في علاه كما قلنا إنه تكلم مع بعض مخلوقاته وقد ثبت الكلام تصريحاً في الكتاب كما سيأتي. صفة الكلام لله جل في علاه ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة والجماعة والعقل أيضاً.

أما بالكتاب فالآيات كثيرة طافحة قال الله جل وعلا: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا). المحرفون قالوا وكلم الله موسى تكليماً، جعل الله مفعول هو المتكلم. لما قال ذلك الجهمي بشر المريسي وقال لغيره، قال: وكلم الله، قرأها هكذا، وكلم الله موسى تكليماً. قال معك وهذا من باب المناظرة والمحاورة لتتزل مع الخصم. قال فماذا ستفعل في قول الله جل في علاه: (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) ماذا تفعل في هذه الضمائر؟ لن تستطيع إلى ذلك سبيلاً، فبهت الذي كفر من الجهمية كفره. كما قال علماؤنا ينفون صفات الله جل في علاه.

وأيضاً الله جل في علاه مبيناً الكلام أنه قال: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) قال الله تعالى: (مِنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ) وأيضاً قال الله جل في علاه (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ). طبعاً (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) هذا لا يحتاج إلى بيان ففيه البيان والتأكيد لأنه قال: (وَكَلَّمَ اللَّهُ) من المتكلم؟ الله ثم بالتأكيد بالمفعول المطلق أنه قال (تَكْلِيمًا) وهذا تأكيد مؤكد للصفة (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا). وأيضاً قول الله جل وعلا: (وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ

كَلَامَ اللَّهِ) هنا وجه الدلالة من الآية أنه أضاف الكلام لله، والقاعدة تأسيساً للمبتدي وتذكيراً للمنتهي، القاعدة عند علماء العقائد (المضاف إلى الله جل في علاه نوعان: إضافة أعيان مستقلة بذاتها وإضافة معاني):

➤ إضافة الأعيان مستقل بذاته، العين مستقلة بذاتها كعيسى كالناقة كالكعبة. الكعبة بيت الله مستقلة بذاتها، أنت تطوف حول الكعبة. قال: **(نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا)** فالناقة مستقلة تأكل وتشرب بذاتها. أيضاً قال: (عيسى روح الله) لأن الله جل وعلا قال: **(وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ)** هذه مضافة إلى الله جل في علاه، عيسى يمشي على الأرض مستقل بذاته. فإضافة الأعيان المستقلة في ذاتها هذه إضافة تشريف، إضافة مخلوق لخالق فيها زيادة تشريف. كل المخلوقات مخلوقات لله لِمَ هذه؟ قلنا زيادة تشريف.

➤ النوع الثاني المضاف معنى إلى الله جل في علاه، هذه هي إضافة الصفة للموصوف لأن المعاني لا تستقل بذاتها. قلنا محمدٌ رحيم، رأيت محمداً يمشي والرحمة جاءت خلفه بعده بساعة صح؟ تكلمت مع محمد فالكلام سلم عليّ ومحمد لم يسلم عليّ صحيح؟ لا إذا المعاني لا تستقل بذاتها، إضافة المعاني هي إضافة صفة للموصوف كرحمة الله كقدرة الله كعزة الله كنزول الله، هذه معاني.

المعاني إضافة الصفة للموصوف لذلك هو قال هنا: (قل غير مخلوق كلام مليكنا) أضاف الكلام للمليك سبحانه جل في علاه وهذه إضافة معاني، إذاً إضافة الصفة للموصوف. قول الله جل وعلا: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)**، إذاً ثبت بالكتاب، وثبتت أيضاً هذه الصفة العظيمة بالسنة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بكلمات الله التامات) فهذا أضاف الكلمات لله إضافة معاني، إضافة المعاني هي إضافة صفة للموصوف كالرحمة كالقدرة كالعزة. وأما المخلوق إذا أضيف، أضيف إضافة تشريف.

➤ أما من السنة فكثير كما قلنا (أعوذ بكلمات الله التامات)، أيضاً من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بين بأن الله يتكلم مع عباده عندما قيل لابن عمر: أسمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المناجاة؟ قال: نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ما منكم من أحدٍ إلا وسيكلمه الله). الفعل والفاعل من المتكلم؟ الله (سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان يقول عبدي أتذكر ذنب كذا يوم كذا؟) إلى آخر الحديث. هذه المناجاة بأن الله يستره بكفه أو يرخي عليه كفه ثم يكلمه الله جل وعلا يذكره بما فعل هذا أيضاً من السنة. فنقول جاءت السنة تثبت كلام الله جل في علاه، بأن الله جل وعلا يتكلم، من كلام النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أعوذ بكلمات الله التامات) وأيضاً في قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يحشر الأولين والآخرين فيناديهم بصوتٍ

يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد) تعرفون هذا الحديث العظيم هو كان سبباً في نجاة ابن تيمية من الشنق.

لما ابن تيمية نزل مصر والله المستعان، وأهل مصر تعرفون أنهم لا يجهلون شيئاً أول ما نزل صاحوا به هذا الكافر هذا المجسم لابد أن يقتل. ابن تيمية هذا يقول أن الله يتكلم يبقى لابد من لسان وشفاه ولا بد من اللهاة ولا بد من أسنان، خابوا وخسروا كيفوا، فلما كيفوا فروا إلى التأويل زعموا وهو تحريف وتعطيل هذا الحق. ابن تيمية القاضي جلس وجلس الجميع فجلس ابن تيمية قال: أنت تقول بأن الله يتكلم تشبه الخالق بالمخلوق؟ فقال بالسند ذكر السند له وهذا الحديث الذي رحل له جابر، فقال: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله يحشر الأولين والآخرين ثم يناديهم بصوت يناديهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد) القاضي سمع الحديث قال: أهذا منسوب للنبي؟ قال: نعم. قال: قال النبي هذا الكلام؟ قال: نعم. قال: الجلسة قد انتهت وانفضت الجلسة.

الفطر السليمة، لا يتكلم يقول لك والرحمة معناها إرادة الثواب واليد معناها القدرة وأيضاً معناها النعمة ويأتي بكلام متكلف على هذا الباب. فقال الرجل: قال رسول الله هذا القول؟ قال: نعم. قال: إذا فإله يتكلم لأنه قال بصوت يسمعه هو صوت وهو مسموع. فكان سبباً في نجاة ابن تيمية في هذا الباب، فالنبي صلى الله عليه وسلم يقول بذلك يقول ينادي ونستدل على ذلك بأن الله جل وعلا يتكلم بصوت للرد على أهل البدعة الذين يقولون هو يتكلم لكن الكلام معناه المعنى النفسي، ليس كلام. هذا رد على أهل البدعة لأنه يتكلم بصوت وحرف والدلالة قول الله جل وعلا: **(وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** والنداء لا يكون إلا بالصوت. والتفسير جاء من السنة (يناديهم بصوت يسمعه من قرب كما يسمعه من بعد) دلالة واضحة جداً.

وأيضاً (الله جل وعلا ينادي على آدم: ابعث بعث النار. فيقول: لبيك وسعديك والخير ببيدك). وأيضاً الله جل وعلا صرح أنه نادى فقال: **(وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ)** نادهما الله جل في علاه. وأيضاً نادى الله جل وعلا إبراهيم: **(وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا)** فنادى الله جل وعلا وهذا النداء يكون بحرف وبصوت أيضاً كما بين الله جل وعلا: (ألف لام ميم نون عين سين قاف) هذه الحروف التي منها كلام الله جل في علاه. إذا بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

أجمع الصحابة الكرام على أن الله يتكلم، ويتكلم بصوت وحرف، ويتكلم حيثما شاء وقتما شاء كيفما شاء سبحانه جل في علاه. والدليل على ذلك ورد عن عمر بن الخطاب في الأسماء والصفات للبيهقي في الصحيح أنه قال: (القرآن كلام الله). وقال أيضاً عثمان ابن عفان: (لو طهرت قلوبنا ما شبعنا منه كلام ربنا) أضاف الكلام لله وهي إضافة معنى أي إضافة صفة للموصوف. وابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه قال:

(من أراد أن يختبر حبه لله جل في علاه فليعرض نفسه على كلامه، فإن أحب كلامه فقد أحبه، فإن كلام الله صفة من صفات الله جل في علاه). هذا بالنسبة لثبوت الكلام بإجماع الصحابة.

✍ أما بالعقل فقلنا بأن العقل يقول المتكلم أكمل من الأخرس، من الذي لا يتكلم، وهذا في البشر. وعندنا قاعدة وضابط عظيم وهو (بأن كل كمال في البشر فالله أولى أن يتصف به). لأن الذي أبدع الكمال هو الله جل في علاه فإن كان كمالاً فالأولى أن يتصف الله جل وعلا بهذا الكمال. فإن قلنا بأن الكلام كمال، فمن باب أولى أن يكون الكلام لله كمال. هذا بالنسبة للكلام على ثبوت الكلام بالكتاب وبالسنة وبإجماع السنة وأيضاً بالعقل.

المسألة الثانية تتعلق بهذا الباب أنه قال: (دان الأتقياء وأفصحوا) ثم ذكر بأن كلام الله باللفظ. كلام الله باللفظ هنا هذه المسألة مسألة لفظية، هي مسألة يشير إليها، إلى مسألة اللفظية العظيمة جداً. وأنا قد قدمت الكلام على مسألة اللفظ لأنني سأرد على جهم وعلى أهل البدع في ختام الكلام على اللفظ.

المسألة الثانية تتعلق بمسألة الكلام (ولا تقل القرآن خلقاً) يعني القرآن غير مخلوق، هذا كلام المعتزلة وهذا أيضاً سيأتي بالكلام على أهل البدع. قال: (فإن كلام الله باللفظ) هو أن تقول لفظي بالقرآن مخلوق. هذه مسألة صراحة مسألة عظيمة جداً ومسألة قد زلت فيها الأقدام حتى أنهم اتهموا البخاري بأنه قال: لفظي بالقرآن مخلوق. والحق أن البخاري ما قال ذلك، يعني ما قال لفظي بالقرآن مخلوق لكن هو قال: (القرآن كلام الله وأفعالنا مخلوقة وألفاظنا مخلوقة) لكن ما قال لفظي بالقرآن مخلوق، لم يقل البخاري نص الكلمة لكن هو قال: القرآن كلام الله وأفعالنا منها اللفظ أنها مخلوقة. فهم يتمسكون بكلام أحمد أنه قال: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فقد كفر) لأن هذه وسيلة للبدعة.

طبعاً الناس في مسألة اللفظية لفظي بالقرآن أقسام ثلاثة:

❖ منهم من نفى الأمر كليةً، قال لفظي بالقرآن مخلوق هذا كافر ومبتدع من قال بذلك.

❖ ومنهم من أثبتته مطلقاً أو أثبتته على غير لفظي، قال لفظي بالقرآن غير مخلوق.

❖ ومنهم من توسط وقال هذا كلامٌ مجمل يحتاج إلى تفصيل.

فقال علماؤنا المعاملة مع الكلام المجمل أننا لا ننفي ولا نرد بل نقول ماذا تعني؟ حتى لا تكون فتنة. وهذا إنصاف العلماء، هناك من يأخذ الرجل بلازم القول، هناك من يأخذ الرجل ببديع رجل باللازم. هذا لا يجوز، لا يجوز أن تبدع لأن اتفاق أهل السنة

والجماعة (لازم القول ليس بالقول). المعتزلة هم الذين يقولون لازم القول قول. فأن تنتبه أخي الكريم فلا يجوز أن تبدع أحداً باللازم. فهنا إذا قلت أنا في الكلام المجمل من قاله فقد كفر مثلاً أو كان صاحب بدعة فنأخذه باللازم. والأخذ باللازم ليس منهج أهل السنة والجماعة لا بد أن أفصل وأبين، وهذا إنصاف العلماء.

عندنا أطراف ثلاثة: منهم من قال لفظي بالقرآن مخلوق فقد كفر، ومنهم من كان على النقيض وقال لفظي بالقرآن غير مخلوق، ومنهم من قال هذا كلام مجمل انفصله.

الذين قالوا لفظي بالقرآن غير مخلوق هم الإتحادية، الذين يقولون بأن لا فرق بين الخالق وبين المخلوق. عندما قال: والله لا يدري. هو لا يدري الحمد لله أنه لا يدري لأنه مجنون والمجنون أعقل منه. من الرب والعبد. وهو كان يقول قائلهم سبحانه سبحاني. وهو الذي يقول ما في الجبة إلا الله. لعنة الله عليه أن يقول مثل هذا قال. وهم أصحاب الإتحاد والحلول كابن عربي وابن سبعين والفارابي وهؤلاء الأغبياء أنتم تقولون فلاسفة؟ أنا أقول الأغبياء. هؤلاء الأغبياء ابن عربي النكرة هو الذي كان يقول كل كلام في الكون كلامه سواء علينا نثره أم نظامه. يعني أنه يقول كل كلام في الكون غير مخلوق، يقصد أن كل الكلام هذا هو كلام الخالق. لأن الأصل عنده لا فرق بين الخالق وبين المخلوق. وهذا كفرٌ وزندقة، كتاب ابن عربي مليء بهذه الكفرات والزندقة.

وأما قول أحمد: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فقد كفر) هذا الكلام يعني أحمد كان يتشدد فيه للرد على المعتزلة لأنهم أخذوا هذا الكلام معبراً ليبينوا أن كلام الله مخلوق، فكان يرد عليهم بقوة لأنه من قال لفظي بالقرآن مخلوق معبرة إلى أن يقول ويصل بعد ذلك إذا قلت لفظي بالقول مخلوق. العوام لا يفرقون بين اللفظ وبين الملفوظ، الملفوظ هو الكلام كلام الله واللفظ الذي هو الحنجرة الأصوات التي خرجت. من يفرق؟ أنا لو سألت أكثر من واحد منكم تفرق بين اللفظ والملفوظ ما كان يعرف. فذلك الإمام أحمد حسم المادة وأغلق الباب قال: (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو كافر) يعني كأنه قال القرآن مخلوق والحقيقة أن هذه لا تدل على أنه القرآن مخلوق لكن هو يريد يحسم المادة.

جاء البخاري قال: (وأفعالنا مخلوقة) وكان في المحنة العظيم التي اشتهرت عندهم، محمد بن يحيى الذهلي وأنه قال بأن البخاري يقول لفظي بالقرآن مخلوق وهو ما قال بذلك. ولو قال بذلك فالحق معه فإن القرآن يتلى بالألسن ويكتب بالأقلام وهو في صدور الذين آمنوا، ويسمع بالأذان والأذان مخلوقة والأقلام مخلوقة واللسان مخلوق والحنجرة مخلوقة والأصوات مخلوقة. التالي الذي يتلوا القرآن الصوت خارج هذا خالق أم مخلوق؟ مخلوق فهذا الصحيح. فإذا نحن نقول الذين قالوا بأن لفظي بالقرآن كلامٌ موهم

نقف عنده فنسأل ماذا تريد؟ إذا قال أريد كلام الله مخلوق، أنت معتزلي أو جهمي. وإذا قال أريد اللفظ الذي يخرج من لساني الحنجرة الأحبال الصوتية، قلنا إذاً لست بجهمي بل أنت سني من أهل السنة والجماعة لأن أفعال العباد مخلوقة. لذلك قال باللفظ، فاللفظ لو قصد به الملفوظ يبقى إذاً هذا هو كلام الله وغير مخلوق، لو قصد به فعل العبد فهذا مخلوق.

ثم قال المصنف: (كما قال أتباع لجهنم وأسجحوا). قال: (ولا تغل في القرآن بالوقف) الوقف أن يقول أنا لا أقول القرآن كلام الله مخلوق ولا أقول غير مخلوق، أتوقف. هذا نوع تعطيل، التوقف نوع تعطيل. وأقول بالنسبة للكلام وهذا على الإيجاز والاختصار أسأل الله ألا أكون مخطئاً، أهل البدع الذين تكلموا في القرآن خمسة أو ستة نوجز فنقول منهم:

١ أولاً الاتحادية الذين قالوا بأن كل كلام في الكون كلامه، هذا كفر مبين واضح جداً من لم يكفره فهو كافر.

٢ الثاني من قال: هو مخلوق. وهؤلاء المعتزلة هم الذين قالوا بأنه مخلوق. وهذا أصل كلام جهنم الجهمية الذين ينفون الصفات، ينفون كل صفات الله جل في علاه فقالوا بأنه مخلوق. وهؤلاء استدلوا عندهم شبه.

٣ الأشاعرة والكلابية قالوا هو كلام الله غير مخلوق، لكن الكلابية يقولون الحروف والأصوات مخلوقة. طبعاً الأشاعرة والكلابية أبناء عمومة، الأشاعرة يقولون هو معنى قائم بذات الله جل في علاه، القرآن معنى قائم بذات الله جل في علاه. يعني عندهم تناقض عظيم جداً يقولون والذي بين أيدينا عبارة عن كلام الله جل في علاه، إن تكلمت بالسريانية صار إنجيلاً شيء واحد هو كله شيء واحد، إن تكلمت بالعبرية كان التوراة وإن تكلمت بالعربية كان القرآن.

المجنون لا يقول مثل هذا القول تخبيط وتخليط هذا وغش أيضاً على الناس يوهمون الناس بأنهم يقولون القرآن غير مخلوق، كلام الله غير مخلوق. وهو في الحق أخس من المعتزلة قولاً، المعتزلة صدروا الباب أنه مخلوق، والأشاعرة حقيقة الأمر أن كلام الله ليس بكلام الله بل هو مخلوق. حقيقة الأمر عندهم هو كذلك أنه مخلوق، ولذلك هم طبعاً يستدلون عمدة الأدلة عندهم ببيت الأخطل:

إن الكلام في الفؤاد إنما جعل اللسان على الفؤاد

هذا كلام حتى ليس رجل عربي أصيل يعني نصراني وهو ليس بعربي أصيل، وتجاهون به صريح كلام الله وكلام النبي صلى الله عليه وسلم هذه بدعة مميتة. فهم

في الحق يقولون بأنه ليس بكلام الله جل في علاه هو عبارة عن كلام الله، وفي حقيقة الأمر أنهم يقولون إنه مخلوق وهذا الكلام كما قلنا خلط عشوائي. قد قال الله تعالى: **(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى)**. قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق).

ثم أيضاً من كلام أهل البدع الواقعة الذين يقولون نتوقف وهنا ينهى المصنف عن التوقف في الكلام أن القرآن مخلوق لأن هذا نوع تعطيل. إذا قال أتوقف فهذا نوع تعطيل فلا يجوز بحال من الأحوال.

إذا تسلم لنا الأدلة بالكتاب والسنة والإجماع بل وبالعقل والقياس بأن القرآن كلام الله جل في علاه، وأن الله يتكلم بصوتٍ وحرف ويسمعه الناس، ومن قال بغير ذلك فإنه سيحرم سماع الله جل وعلا يوم القيامة إن شاء الله جزاءً وفاقاً وأجرأً طباقاً. فمن نفى عن الله الكلام فبإذن الله يوم القيامة لا يسمع صوت الله جل في علاه.

موسى عليه السلام سمع صوت الله جل في علاه فاشتاق إلى الرؤية لما نادى الله جل وعلا على موسى اشتاق بعد ذلك للرؤية قال: **(قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)**. فالحق بأن الله يتكلم، وقد بين الله جل وعلا أنه يكلم الأنبياء وقد كلم موسى كفاحاً لا واسطة بينه وبينه، وكلم أيضاً محمداً صلى الله عليه وسلم في المعراج عندما فرض عليه الصلاة خمسين صلاة. هذه الصفة الأولى صفة الفعل وهي صفة القرآن وأن القرآن غير مخلوق.

وقال: (ولا تقل القرآن خلقاً قرأته فإن كلام الله باللفظ يوضح).

وقلنا معنى اللفظ بأنه لو قصد الملفوظ فهو كلام الله الذي تكلم به وسمعه جبريل ونزل به إلى الرسول الأمين. ولو قصد الفعل فعل العبد، ففعل العبد مخلوق. وهذا ما يقال فيه بإيجاز في صفة الكلام لله جل في علاه.

يبقى لنا أن نختم بأنني لما أتعرف على الصفة ليست هذه المسألة تسلية، ولا أننا نتعرف على الصفة حتى أجابه المخالف. لا، أنا أقول الأصل في الصحابة كانوا يتعلمون ليتبعوا. فأنا أقول إذا علمت أن هذه الصفة صفة عظيمة من صفات الله جل في علاه وأن الله قد تكلم وأن الله سيتكلم معك يوم القيامة وأنك ستسمع صوت الله جل وعلا، فلا بد أن تهیی نفسك تهيئة عظيمة أن تكون تقياً نقياً وأن تتقرب إلى الله بما خرج من الله جل في علاه. كما قال غير واحد من السلف (ما أعظم ما تتقرب به من الله جل في علاه إلا بما خرج منه وهو القرآن).

فلك أن تقرأ القرآن بل وتقرأ القرآن بتدبر وتمعن لأن هذا هو المقصود الأسمى قال الله جل وعلا: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً) وعليك أن تقرأ بتدبر لقول الله جل في علاه: (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وأيضاً عليك أن تعمل بأحكام هذا القرآن إن كنت تعلم أنه من كلام الله جل في علاه وعليك أن توقر هذا القرآن وتحترم هذا القرآن. ليس التوقير بأن تقبله وتجعله على رأسك هكذا، بل التوقير والتبجيل أنك ما تعلم بحكم في كتاب الله جل في علاه إلا وتسارع في أن تنزل تحت هذا الحكم، وأن تسارع أن تطبق هذا الحكم، وما ترى أمراً من أوامر الله جل وعلا في كتاب الله جل في علاه إلا وأنت تسارع في فعلها. قد قالت عائشة رضي الله عنها وأرضاها لما سئلت عن خلق النبي قالت (أرأيت القرآن؟ كان خلقه القرآن).

فعليك أن تتعبد لله بهذه الصفة العظيمة، بأن تعتقد بأن الله يتكلم بصوت وحرف، وأن تهبئ نفسك تشف أذانك بسماع صوت الله جل في علاه يوم القيامة. وأيضاً أن تتلو الكلام الذي تكلم الله به، لا سيما وأن ابن مسعود قال إن هذه علامة محبة الله. فإن سألت نفسك وقلت أنا أحب الله أم لا؟ كثير من الناس يقولون نحن نحب الله جل في علاه ونحب رسول الله جل في علاه وحقاً ما زعم أحد شيئاً إلا واختبر، ومن الاختبارات العظيمة في محبتك لله جل في علاه أن علامة المحبة بعد سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي كثرة تلاوة القرآن. فمن كان كثير القراءة كان محباً حقاً لله جل في علاه ومن كان قليل القراءة ففي حبه لله جل في علاه دخن لأن ابن مسعود قال: (من أراد أن يختبر حبه لله جل في علاه فليعرض نفسه على كلام الله).

والحق أننا نقول القاعدة (من أحب شيئاً أكثر من ذكره). فأنت إن كنت حقاً تحب القرآن فهو خير أنيس لك. أنت تكلم الله هنا الآن وتسمع كلام الله جل في علاه في القراءة وأيضاً في السماع، لأن في سماع القرآن فيه ما فيه من العبر والعظات، فيه ما فيه من الحسنات وأنت تشارك القارئ في الأجر، وأيضاً عندما تسمع تتقن أكثر مما تتقن وأنت تقرأ لأنك لما تقرأ وتريد أن تراجع حفظك ممكن لا تتدبر التدبر الذي يجعلك تتمكن من فهم المراد من القرآن. لكن عند السماع ترى الفهم الأدق والأتقن، (النبي صلى الله عليه وسلم جاء لابن مسعود فقال له: اقرأ علي، قال: أقرأ عليك القرآن؟ قال: نعم اقرأ علي القرآن، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل وجبريل هو الذي ينزل بالقرآن لك؟ فقال: اقرأ علي فإني أحب أن أسمع من غيري).

من الفوائد في السماع أن الأذن تتعبد لأنك مخلوق لله وكل عضو من أعضائك له عبادة فالسماع هنا عبادة. فأنت من الفوائد من سماع القرآن قراءة أنك تعبد الأذن بسماع كلام الله جل في علاه. الأمر الثاني أن بالسماع هو النفوذ إلى القلب، فالتدبر والعمل بهذه الأحكام. لذلك أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، عائشة كانت تصف النبي صلى الله

عليه وسلم أنه كان قليل الدمع، وهذا ليس أيضاً من عنديات نفسي. عائشة عندما ضُرب سعد ابن معاذ في أكحله دخل عليه أبو بكر ودخل عليه عمر فكان على مشارف الموت ودخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: وإني والله لأسمع نحيب أبي بكر وعمر، وإني أميز بين بكاء أبي بكر وعمر. قالوا: والنبي؟ قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبكي كان إذا ظهر له ما يحزنه ظهر ذلك في وجهه ولا يبكي.

فكان قليل الدمع أنظر إلى السماع وفائدة السماع أنا بضرب هذا مثلاً لترى. (فقال له: اقرأ عليّ القرآن. فقرأ ابن مسعود حتى إذا أتى إلى قول الله جل وعلا في سورة النساء **(فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا)** قال: **(يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا)**). قال: فنظرت فإذا عيني النبي صلى الله عليه وسلم تذرفان) يبكي مع أنه كان قليل الدمع كان يبكي لما سمع هذه الآيات.

فبالسماع التدبر، فإخواننا كثير ما يهجون هذه المسألة أو قل يقلّون جداً من السماع. وإني دائماً أقول السماع أكثر من القراءة أفضل عندي حتى في طلب العلم، السماع يجعل طالب العلم أشد اتقاناً من الذي يقرأ أكثر مما يسمع. لأن أصل العلم التلقين فلا يكون إلا بالسماع هذا بالنسبة لتعبّد لله بهذه الصفة العظيمة فختمنها بالحمد لله جل في علاه.

سؤال: الرحمة رحمتان الرحمة صفة لله جل في علاه ورحمة مخلوقة. الرحمة التي هي صفة لله جل في علاه هي صفة من الصفات (بسم الله الرحمن الرحيم) صفة ذات وصفة فعل. أما الرحمة الأخرى هي أثر الصفة. عندنا الصفة وأثرها، الأثر مخلوق لكن أصل الصفة غير مخلوق. فالرحمة التي نزلت مخلوقة هي أثر لرحمة الله جل في علاه.

سؤال: ليس الكل وإلا فالعقم في المخلوق نقص وعدم الولادة في الخالق كمال.

سؤال: ما أذن يعني ما سمع. لما قال أذن يعني سمع والسمع لا يكون إلا بأذن فله أذن كيف قد يسمع ولا أذن كيف سمعت السماء أمر الله جل في علاه **(إِنِّي نَارٌ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا)** أين الأذن عند السماء؟ أين الأذن عند الأرض؟ أذن يعني سمع.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس الرابع

عنوان الدرس: رؤية الله جل وعلا

قال المصنف رحمه الله تعالى:

وقل يتجلى الله للخلق جهرةً	كما البدر لا يخفى وربك أوضحُ
وليس بمولودٍ ولا بوالدٍ	وليس له شبه تعالى المسبَّحُ
وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا	بمصدق ما قلنا حديث مصرح
رواه جرير عن مقال محمدٍ	فقل بمثل ما قال في ذلك تنجح
وقد ينكر الجهمي أيضاً يمينه	وكلتا يديه بالفواضل تتضح
وقل ينزل الجبار في كل ليلةٍ	بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضلِه	فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول ألا مستغفرٍ يلقي غافراً	ومستمنحُ خيراً ورزقاً فيمنح
روى ذاك قوم لا يردُّ حديثهم	ألا خاب قوم كذبوا هم وقبحوا

وهنا انتقل إلى صفة أخرى من الصفات العظيمة ألا وهي من أشرف المسائل التي شمر عن ساعد الجد لها المشمرون المجتهدون وهي رؤية الخالق جل في علاه.

(وقل يتجلى الله للخلق جهرةً)، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة بأن الله جل في علاه يتجلى لخلقه يوم القيامة، فيرى كل واحدٍ منا ربه جل في علاه كما سنبين ذلك. (كما البدر) هذا التشبيه ليس تشبيه المرئي بالمرئي، لا يتوهم أحد بأن هذا التشبيه تشبيه الخالق بالبدر حاشا لله. وهذا كمال البدر من خلق الله جل في علاه، وأنت حيثما وصلت بك الفكرة إلى كيفية صورة الله جل في علاه أو كيفية صفة من صفات الله جل في علاه فالله أبعد من ذلك، فلا تتفكر في صفة من صفات الله بل تفكر في نعائم الله جل في علاه أولى لك.

فهو يقول: (كما البدر) هذه تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي، لأنك إذا وقفت ووقف الناس جميعاً بجانبك ينظرون إلى البدر في سعة أو في ضيق وضيم واختلاط في الرؤية؟ الكل إذا نظر إلى السماء سيرون رؤية ناصعة ليس فيها ثمة شيء. وهذا أيضاً اقتباس من حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي في الصحيحين، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث أبي هريرة في الصحيحين (سألوا النبي صلى الله عليه وسلم: أنرى ربنا يوم القيامة؟ قال: أرأيتم الشمس ليس دونها سحب في رابعة النهار) أو كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أرأيتم القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: نعم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: سترون ربكم كما ترون البدر ليس دونه سحب). فهنا الرؤية في كلام النبي صلى الله عليه وسلم كما قلنا تشبيه الرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي. ويوضح ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم تصريحاً قال: (إنكم لا تضامون) وفي رواية (لا تضامون) بالتشديد يعني على الظلم الضيم. قال: (لا تضامون لا تضامون لا تضارون في رؤية الله جل في علاه كما لا تضارون في رؤية الشمس).

رؤية الله جل في علاه كما قلنا هذه من أعظم المسائل ومن أشرف المسائل، اللهم ارزقنا رؤيتك في الآخرة يا رب العالمين، وهذه لا يراها إلا من نجا وقد تمتع بجنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر. ثبتت الرؤيا بالكتاب والسنة بل وبالعقل يمكن أن نثبت ذلك ولا ينفيه.

طبعاً الذي ينكر كما بين هو الجهمية على طول الدوام، من أهم ما يميز الجهمية أنه ينكر الصفات، هو ينفي لأن أهل البدعة لهم مراتب أيضاً الجهمية ثم المعتزلة:

❖ الجهمية ينفي الاسم والصفة، يعبد عدماً ينفي الاسم والصفة، لا كريم ولا كرم لا عزيز ولا عزة لا قدير ولا قدرة.

❖ المعتزلي يثبت الاسم ويفرغه من الصفة.

لا يمكن يكون اسم إلا بصفة ولا يمكن من موجود إلا وله صفات. لو قلت لي محمد أقول لك هو طويل أم قصير؟ أبيض أم أسمر؟ يتكلم أم لا يتكلم؟ كريم أم بخيل؟ لا يمكن من موجود إلا وله صفات ولا يمكن من صفة موجودة إلا ولها كيفية. لصفة الله كيفية لكنها مجهولة عنا، فارق بين أن نفوض كيفية هذه أو ما أنا ضارب على الراس على طول، خطأ فاحش. بلغة الإعتقاد ابن قدامة قال هكذا.

والتفويض على مراتب: تفويض الكيفية والصفة، تفويض الكيفية والمعنى، تفويض المعنى دونه الكيفية، إثبات الاثنين. فنحن نقول تفويض الكيفية والمعنى هذا من قول أهل البدعة والضلالة. تفويض الكيفية والمعنى قد قال به بعض أهل السنة والجماعة يقصد به المعنى ما يقصد به الكيفية، وهذا الذي ورد في لسان أحمد وغير أحمد أنه قال: (أمرها كما جاءت) أو قال: (إمرار بإقرار دون إنكار). فهم يتمسكون بهذا الكلام

على أن أحمد أيضاً يفوض الكيفية، وهذا لبس وتلبيس والصحيح أننا نفوض الكيفية دون المعنى مع إثبات الكيفية يعني نفوض مع الإثبات هذا هو.

عامّة نحن نقول بأن الموجود لا بد له من صفة، والصفة لا بد لها من كيفية، الله جل وعلا قد غابت عنا. فنقول بأننا سنرى وجه الله جل في علاه دون الإحاطة ودون الإدراك ثابت بالكتاب والسنة وهي أشرف المسائل:

أما في الكتاب فقد قال الله جل وعلاه (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) هذا نص في إثبات رؤية الله جل في علاه. قال عطاء: (والله ما كانت النظرة في وجوه هؤلاء إلا بعد النظر إلى وجه الله). النظرة العظيمة والإشراقة العظيمة في الوجه بعدما ترى وجه الله جل في علاه: (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ) كأن سائلاً يسأل يقف عند الآية ويقول: ولم نظارة الوجه ولم هذه الإشراقة لهؤلاء؟ قالوا: لأنهم (إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ).

العلماء يقولون (النظر يتعدى بنفسه ويتعدى بفي ويتعدى بالي):

❖ إذا تعدى بنفسه فمعناه الانتظار وهذا الذي تمسك به الأشاعرة قالوا بأن (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) قالوا: إلى ثواب ربها منتظرة، وبعضهم قال: إلى ثواب ربها ناظرة يعني ينظرون إلى الجنة وإلى الحور العين. يعني لم الإدخال؟ أنتم أعلم أم الله أم رسول الله؟ لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وسعكم ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم، لو كان حقاً لفسره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال علماؤنا إذا تعدى بنفسه معناها الانتظار كقول الله جل وعلا عن اهل الجنة والمنافقين (انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ) يعني انتظرونا ليس انظروا إلينا، انظرونا يعني انتظرونا لأنه تعدى بنفسه.

❖ ويتعدى بفي ويكون معناه التدبر والتفكر، فانظر في آيات الله جل في علاه المخلوقة الكونية (أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) النظر هنا معناه التدبر لتستدل بعظيم الخلق على وجود الخالق. كما قال الأعرابي: (البرر يدل على البعير والأثر يدل على المسير) الأقدام تدل على المسير، فقال: (فهذه بحار ذات أمواج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج تدل على اللطيف الخبير).

فالغرض المقصود أنك تنظر في هذه الآيات وتتدبر لتصل بها إلى عظمة الخالق، لذلك ترى أن الله أقسم ببعض خلقه دلالة على عظمة خالقها: (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ) (وَالنَّهَارِ) (وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا). لتتدبر وتقول وهذا من عظيم خلقي لذلك أقسمت به لتعلم أنني أقسمت. وألمح وألفت الانتباه لله أن يقسم بما شاء من خلقه والخلق لا يقسمون إلا بالله وحده جل في علاه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك). فأنت الآن تتدبر تنظر في يعني تتدبر وتتفكر.

❖ أما بإلى فباتفاق عن اللغة التعدي بإلى بمعنى النظر بالعين الباصرة (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ) نظرة الوجوه من أجل النظر إلى وجهه الكريم.

من الآيات التي تثبت أيضاً رؤية الله جل في علاه قول الله جل في علا: (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) أعظم التفسير قاعدة عند أهل التفسير، تفسير القرآن بالقرآن ثم تفسير القرآن بالسنة. وقد جاءت السنة، جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم وثبت أنه قال إن قول الله جل وعلا (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ) قال: (الحسنى الجنة، والزيادة النظر إلى وجه الله الكريم). لأنه صلى الله عليه وسلم قال في الحديث الذي في صحيح مسلم، بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: (يقول الله تعالى: يا عبادي تريدون شيئاً أزيدكم؟) هذا هو الشاهد الزيادة جاءت (أزيدكم؟ قالوا: ربنا ألم نتجنا من النار؟ ألم تدخلنا الجنة؟ ألم تبيض وجوهنا؟ قال: إن لكم موعداً عندي أنجزكموه. فيكشف الحجاب فينظرون إلى وجه الرحمن سبحانه جل في علاه، فما أعطوا نعيماً مثل هذا النعيم). أنعم النعيم أن تنظر إلى وجه الله الكريم سبحانه جل في علاه في جنان الخلد.

من الأدلة أيضاً على رؤية الله جل في علاه، قول الله جل في علاه عن أهل الجنان ومتعة أهل الجنان، جعلنا الله وإياكم من أهل الجنان (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ). هنا وجه الدلالة بقاعدة فقهية نتكلم عنها بعد ما نفسرها قال: (عَلَى الْأَرَائِكِ)، الأريكة وأنت تعرف أريكة الدنيا التي تعيش فيها مرتاحاً جداً من حرير ومن ثياب الوثير إن صح لك أن تفعل ذلك، وإن كنا ندين الله بأنه لا يجوز سجاد الحرير أنه لا يجوز للرجال ولا للنساء، كما قال بعض العلماء للنساء تجوز. أنت في الجنة بأعظم ما تكون على الأريكة تنظر إلى الحور العين، وارد أم غير وارد؟

قال: (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ)، ينظرون إلى الحور العين ويرى مخ ساقها خلف العظم، ينظرون إلى الحور العين، ينظرون إلى الموز إلى التفاح إلى أنهار الخمر أنهار العسل أنهار الماء، متعة النظر. وينظرون أيضاً لوجه الرحمن، كل هذا نعيم؟ نعم، لأن الله جل وعلا يمتن على عباده. هذا سياق الامتنان، هم منعمون في الجنان على الأرائك يتمتعون بالنظر. أنا أقول الذي يحب امرأة يتمتع بها بالنظر، فأنت تتمتع لها بالنظر وبالكلام وباللمس وبالوطئ، هذه كلها متعة. فأنت الآن الله جل وعلا قال: (عَلَى الْأَرَائِكِ) يتمتعون، وجه التمتع أو قيد التمتع قال: متعة النظر. من متعة النظر ترى جمال هذه المرأة التي خلقها الله جل وعلا ولا تتصور من جمالها. النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم يقول: أنها لو وضعت اصبعها في السماء ملأت الأرض ريحاً ومسكاً من جمالها وطيب رائحتها وأنها شفافة، جمال لا يمكن أن تتصوره. (قد قال الله جل وعلا: إني أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت).

فأنت تتمتع بالنظر في فاكهة الجنة، تتمتع بالنظر في الأملاك الشاسعة التي تراها، وتتمتع أعظم التمتع وأعظم النعيم بالنظر إلى وجه الله. هذه القاعدة عند العلماء قالوا (حذف المفعول يؤذن بالعموم)، المفعول هو المفعول به. (عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ) أين المفعول به هنا؟ منفي، فلما كان منفياً دل على أنه يعم كل شيء، فيتمتع بالنظر إلى قصور الجنة إلى أنهار الجنة إلى ثمار الجنة إلى حور الجنة إلى وجه الرحمن في الجنة، هذا وجه الدلالة اللهم ارزقنا جميعاً ذلك يا رب العالمين.

هذا المفهوم الذي تستدل به قول الله جل في علاه: (كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) هذا عن المنافقين. مع أن المنافقين كما سنبين يرون الله جل في علاه يوم القيامة لكن على صورة غير الصورة، فالكفار يحجبون عن الله جل في علاه. الشافعي من عظيم الاستدلال قال: (لما حجب هؤلاء الكفرة الفجرة عن النظر إلى وجهه حال الغضب فإنه لابد أن يكشف الحجاب لهؤلاء الأخيار الأبرار عند الرضا). (كَأَلَّا إِنَّهُمْ) من؟ المطففون الكافرون الفاجرون، قال (كَأَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ)، إذاً لما حجبهم في الغضب فإنه سيكشف الحجاب للأخيار الأبرار حين الرضا، هذا الاستدلال من آيات الله جل في علاه على رؤية الله جل في علاه. يبقى لنا الكلام على السنة.

🌸 بداية مجلس 🌸

الحمد لله وكفى والسلام على عباده الذين اصطفى لا سيما النبي المجتبي والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستكملين الشرفاء، وبعد إخوتي الكرام ما زلنا مع أشرف المسائل على الإطلاق وهي مسألة رؤية الله جل في علاه في الجنان، رزقنا الله وإياكم ذلك في جناتٍ ونهر في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر. قلنا بأن رؤية الرحمن ثابتة بالكتاب وأيضاً ثابتة في سنة العدنان النبي الأمين صلى الله عليه وسلم، وهي يعني كما قال علماؤنا مما تواتر كما قال:

ومما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب

قال رؤية شفاعة وحوض ومسح خفين وهذا بعض

فقالوا هذه مما تواترت الأحاديث بها وهي رؤية الرحمن جل في علاه، ومع ذلك الجهمية ينكرون ذلك ويردون على النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله. ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (هل تضارون في رؤية القمر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا. ثم قال؟ هل تضارون في

رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: سترون ربكم كذلك)، يعني ترون ربكم دون أن يشوش على الرؤية شيء.

وأيضاً في حديث الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأرضاه قال: (جنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن يروا ربهم جل في علاه إلا رداء الكبرياء على وجهه سبحانه جل في علاه). وأيضاً عن جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى القمر ليلة الرابع عشر فقال: (هل ترون ذلك) القمر يعني، قالوا: نعم. قال: (سترون ربكم عياناً) يعني لا تشويش على الرؤية فسترون ربكم عياناً. وجاء الأشاعرة وصراحة ضلوا في هذا الباب أيضاً بعد ما أثبتوه، قالوا نرى ربنا في غير جهة، في شيء اسمه تراه لغير جهة؟ هذا أمر لأن هذا إلزام لهم بإثبات الجهة لله جل في علاه وهي جهة العلو، هم ينكرون هذا الباب فتخطبوا عشواء. لذلك يمكن أن يُحرّموا رؤية الله جل في علاه، لو ثبتوا على النصوص لفازوا ولنجوا.

عامّة قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (سترون ربكم عياناً)، وهذا من أنعم النعيم الذي ينعم به الإنسان. وأجمع أهل السنة والجماعة على رؤية ربنا جل في علاه يوم القيامة، ودائماً أقيد وأقول يوم القيامة لذلك هناك مسألة أخرى تتعلق بها وهي رؤية الله في الدنيا. هل يجوز أن يرى الله جل وعلا في الدنيا أم لا؟ الإجماع أن العلماء يقولون بالإجماع لا يرى الله في الدنيا عياناً لأي أحد أو لأحد الناس، لكن يمكن أن يرى في المنام. هذه مسألة مستحدثة لكن العلم لا يخفى، يمكن لأحد الناس أن يرى ربه في المنام؟ نعم يمكن أن يرى ربه في المنام لأن الأصل عدم التخصيص.

قال النبي صلى الله عليه وسلم كما في سنن الترمذي بسند صحيح قال: (رأيت ربي في أحسن صورة) فهذا رأى ربه في المنام قال: (فقال: يا محمد أتدري فيما يختصم الملائ الأعلى؟ قلت: الله أعلم؟) أو قال: (قلت: لا أعلم؟ قال: فوضع يده على صدري فوجدت برد أنامله فقلت يختصموا في الدرجات) إلى آخر الحديث. لكن هنا الظاهر والشاهد (رأيت ربي) يعني في المنام. للإنسان أن يرى ربه بقلبه في الدنيا؟ نعم وقد يأتيه ربه على صورةٍ بقدر إيمانه، ويكون الأمتع في الرؤية بعلو الإيمان، تتفاوت الرؤية في المنام بالإيمان بعلو الإيمان. أما أن يراه بعينه الباصرة في الدنيا فهذا لا ثم لا. موسى عليه السلام وهو من أعظم الرسل قدراً عند الرحمن جل في علاه قال: **(قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۖ قَالَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني)** فلم يرى ربه **(فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا)** ولم يرى ربه جل في علاه. والخلاف العريض بين العلماء هل رأى محمد ربه في الدنيا أم لا؟

ابن عباس قال: (قد رأى ربه في الدنيا عندما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: رآه مرتين). وهنا رجح الحافظ ابن حجر هذه الرؤية وعنده رسالة صغيرة اسمها الغنية في مسألة الرؤية قال: (رأى ربه بعينه الباصرة مرتين) واستدل على ذلك بحديث (نور إني أراه) طبعاً الآية قد يستدل بها من يقول يستأنس بها قال: **(مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى)**. قال: (رأى ربه جل في علاه) هذا قول ابن عباس.

وجمهور الصحابة قالوا رسول الله لم يرى ربه، لكن ابن عباس نقل عنه وهذا الحديث لم يصح عنه ولكن نقل عنه أنه قال (الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالْكَلَامُ لِمُوسَى وَالرُّوْيَةُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). هذا كلامٌ فيه خلل، ما الخلل الذي في هذا الكلام؟ من يقول بأن الخُلَّةَ خُصَّتْ لإبراهيم؟ قال: (لو كنت متخذاً من البشر خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ ولكن صاحبكم خليل الرحمن)، فالخُلَّةُ لمحمد صلى الله عليه وسلم أيضاً بل والكلام لمحمد أيضاً، كلمه الله كفاحاً ليس بينه وبينه واسطة عندما قال: (فراجعت ربي، فرجعت لموسى فقال لي: إني عالجت الناس فارجع إلى ربك فإنهم لا يستطيعون لا يتحملون. فراجعت ربي حتى قال: **(مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ)** هي خمسون وهي خمس). كلمه فإذاً هو له كل ذلك.

فروية النبي صلى الله عليه وسلم قال: (رأى ربه) وأقر بذلك. الجمهور قالوا (لم يرى ربه ولا أحد يرى ربه في الدنيا حتى محمد صلى الله عليه وسلم). لما دخل مسروق أبو عائشة لما دخل على عائشة رضي الله عنها وأرضاها أم المؤمنين قال لها: (هناك أناسٌ يتحدثون فيقولون بأن محمدٌ صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المعراج) قالت: (لقد قف شعري بما تقول) ارتعدت الفرائس، قالت: (أين أنت من ثلاث؟ من قال بهن فقد أعظم على الله الفرية) وهذا تغليب في الإنكار فقالت: (من حدثك بأن محمداً قد رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، أين أنت من قول الله جل وعلا **(لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ)**). استدلت خطأ استدلت بالدليل الخطأ، لكنها في المسألة الحق معها فإن محمداً لم يرى ربه جل في علاه.

والحق بأننا نقول فاصل النزاع قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنكم) لما يقول النبي لأمة الإسلام (إنكم) فهو أول الداخلين في (إنكم). أصولياً يقولون (الخطاب للأمة خطابٌ للنبي والخطاب للنبي خطابٌ للأمة، صلى الله عليه وسلم). الأخوة نيام ولا بد أن يذكرهم أحد بالصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قال: (أتدرون من البخيل؟ من ذكرت عنده فلم يصلي علي) صلى الله عليه وسلم. فقالوا: خطاب الأمة خطابٌ للنبي وخطاب النبي خطابٌ للأمة، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ)** هنا خطاب له والخطاب بعد ذلك انتشر للأمة. فهنا لما يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنكم) يدخل فيه دخولاً أولياً (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا). إذاً لا رؤية، لا يمكن أن يرى ربه في الدنيا.

أما الحديث الذي يستدلون به وهو قوله (نور إني أراه) هذا حديثٌ مُصَحَّفٌ حديث في المسند في الصحيح أنه قال: (نور أتى) ليس إني (أتى أراه) يعني كيف أراه؟ ويفسرهما الرواية الأخرى قالوا: رأيت ربك في المعراج؟ قال: (رأيت نوراً) والنور هذا حجاب، حجاب النور أو حجاب النار. فرأى الحجاب لكنه لم يرى ربه جل في علاه، فمحمد لا يرى ربه جل في علاه هذا بالنسبة للكلام على الرؤية.

أختم فيها بالملاحظة على الحائية في شطر البيت الثالث فتكلم قال: (وليس بمولود وليس بوالدٍ) وأيضاً نتكلم عن أهل البدع الذين ينكرون رؤية الله جل وعلا والشبهة التي عندهم. هنا أقحم هذا الشطر في البيت هو يتكلم عن الرؤية (وقل يتجلى الله للخلق جهرَةً) هو يقول (وليس بمولودٍ وليس بوالدٍ) فما لنا وما الكلام على أن الواحد الأحد ليس بمولود وليس بوالد؟ أنت تتكلم عن مسألة أخرى وهي مسألة الرؤية ما دخلنا في مسألة الأحادية ومسألة عدم الولادة. هو لعلنا نعتذر للمصنف بأنه أدخله ليبين للناس (وإن قلت لكم كما البدر لا يحسب أحد أن هذا تشبيه الخالق بالمخلوق، وإنما عندنا بأن الخالق ليس بمولود وليس بوالد، يعني لا يشبه المخلوقات، فإن الله لا يشبه ما خلق) يعني كأنه أقحم هذا الشطر من أجل هذا. ويعني يمكن أن يعتذر له بمثل هذا كما قال (كما البدر لا يخفى وربك أوضح)، قال: (وليس بمولود وليس بوالد).

وهذه من أعظم الصفات العظيمة لله جل في علاه وهي صفة الأحادية التي من أجلها خلق الله الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب وقسم الناس إلى فرقين فريق في الجنة وفريق في السعير. قال: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) قال ابن عباس: (إِلَّا لِيُوحِدُونِ). قال الله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه أدخله الله الجنة على ما كان من عمل) فتوحيد الله هو أعظم مطلوب وأعظم ما خلق الله له الخلق. قال: (وليس له شبه سبحانه جل في علاه المسبَّحُ) سبحانه الله جل في علاه وتعالى علواً كبيراً عن قول الظالمين.

أختم الكلام عن هذه الصفة بأنه هناك من أنكر رؤية الله جل في علاه وهو المحروم حقاً، وهو الذي سيحرم حقاً يوم القيامة من رؤية الله جل في علاه. لكن قلنا ما من شرٍ إلا وله شبهة قالوا لا يرى ربنا يوم القيامة. وكيف يرى؟ الرؤية هذه نقص لأن الرؤية إحاطة ومن أحاط بالله دل على عدم الكمال. وجهة النظر الشيطانية قالوا لو قلنا بالرؤية فالرؤية إحاطة والإحاطة معناها المحاط به ليس بكامل. هذا من تمام كمال الله أنه لا يحاط به لا فكراً ولا ذهنياً ولا علماً، قال: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) سبحانه جل في علاه

هو الذي أحاط بكل شيء وليس لأحد ان يحيط الله جل في علاه. قالوا فالرؤية إدراك والإدراك إحاطة والإحاطة تدل على النقص، إذ لا رؤية.

وقالوا عندنا أدلة من الأثر أيضاً، هذا النظر صدرنا به الباب. أما الأثر أما قال الله جل وعلا: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) وقال لموسى: (إِنَّكَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَاني) قالوا هذه دلالة واضحة جداً على عدم الرؤية لأن (لَنْ) في اللغة للتأبيد لأن فيها نفي التأبيد (إِنَّكَ لَنْ تَرَاني) إذ لن تراني لا دنيا ولا آخرة لا جنة ولا أرض لن تراني للتأبيد. فهذه الشبه التي عندهم.

أما الشبهة الأولى وهي أقوى الشبه (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) وهذا الذي استدلت به عائشة على الدنيا لأنها تقر برؤية الله في الآخرة. ما بالنا نقول بهذا الدليل؟ نقول الدليل هذا عليهم ليس لهم قول الله تعالى: (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) لم يقل الله جل وعلا لا تراه الأبصار لكن قال (لَا تُدْرِكُهُ) فعندنا هناك فارق بين الإدراك وبين الرؤية:

❖ اما الإدراك فمعناه الإحاطة.

❖ وأما الرؤية لا تستلزم الإحاطة قد وقد.

أنا أرى هذا العمود ولا أحيط به، العمود المنتصف هنا الجزئية الأخيرة أنا لا أراها أنا أرى ظهر هذا الأخ أو وجه هذا الأخ فأنا ما أحطت به. أنا أرى هذا العمود وأحطت به لكن عند الثلاجة التي هناك أنا رأيت جزء منها الذي فوق أو تحت أو الشمال أو اليمين لا أراه فأنا لا أدركه. (فالإدراك إحاطة كاملة والرؤية قد وقد). إذ أي الأعم وأي الأخص؟ الإدراك أخص، الرؤية أعم لأنني أنا أستطيع لو رأيت عينيه أقول رأيت لو ما رأيت غير الطاقية رأيت. لكن لا أستطيع أقول أدركته إلا أن أكون ألممت بكل ما فيه بالقميص والنعل والحذاء واليد كل شيء. فالإدراك أخص والرؤية أعم.

أولاً في الآية فنقول هنا الله جل وعلا لما نفى نفى الإدراك ولم ينفي الرؤية، لأنه سيأتي ويقول لا قد نفى الرؤية عند موسى، نقول له انتظر سنأتيك. فهنا نفى الإدراك ولم ينفي الرؤية فلا تلزمني بنفي الرؤية وقد ثبتت. قالوا أين؟ قلنا بالمتواتر من الأحاديث، والمتواتر من السنة يساوي القرآن لأن المتواتر قطعي الثبوت أولاً. قطعي الثبوت أولاً أهم حاجة لأن ممكن المتواتر (.). فالقرآن قطعي الثبوت وهذه الأحاديث (سترون ربكم سترون ربكم سترون ربكم إن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) بحديث جرير ابن عبد الله البجلي في صحيح مسلم، كلها أدلة متوافقة متضاربة متواترة فهي قطعية الثبوت. إذ أنا معك أن الله نفى الإدراك ويبقى لي الرؤية لم يأت الدليل على النفي أو الإثبات، وجئتك أنا بالدليل المتواتر على إثبات الرؤية، انتهى الأمر ليس لك في ذلك أن تنفي الرؤية.

والأمر الثاني القاعدة العلمية عند علمائنا القاعدة الأصولية يقولون (نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم). دائرة كبيرة ودوائر صغيرة داخلها، لو نفيت الدائرة الصغيرة تدل على نفي الدائرة الكبيرة؟ دائرة كبيرة سميتها سين داخلها دوائر ثلاثة صغيرة عين ونون ولام قلت فجاء الرجل جاء بالحبر فطمس الدائرة لأم هل طمس الدائرة لأم يطمس الدائرة سين؟ فإذا نفي الأخص لا يدل على الأعم، والأخص هو الإدراك والأعم هو الرؤية. فنقول له: (نفي الأخص لا يدل على نفي الأعم)، لا يستلزم نفي الأعم لا سيما وأن الدليل جاء وأثبت الأعم التي هي الرؤية.

قال إذاً لا أستطيع أن أحاورك وقد أتيت بكل الأدلة التي تدمغ ما عندي لكن ماذا تقول بنفي الرؤية التي تدندن حولها؟ قلت له كيف؟ قال: قال الله جل وعلا لموسى (قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ) قَالَ لَنْ تَرَانِي) فنفي الرؤية الآن. قلت له قف صحيح قد نفي الرؤية وهنا قد نفي الرؤية والاحتمالية أنه نفي الرؤية عموماً في الدنيا وفي الآخرة، فجاءتني الأحاديث المتواترة تثبت لي الرؤية في الآخرة، وجاءت أحاديث موافقة للنفي في الدنيا، فيبقى النفي على الدنيا ويبقى الآخرة ثابت بكلام النبي صلى الله عليه وسلم.

ويدلك على ذلك السياق، ممن لا يتدبر كلام الله جل في علاه اقرأ الآية كلياته قال: (قَالَ رَبِّ أَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ) قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا). السياق يفسر لك هو قال: (لَنْ تَرَانِي) وحتى تثبت أنها في الدنيا لا في الآخرة، الله جل وعلا قال: لن تراني أبداً؟ لا ما قال ذلك لكن بين الله جل وعلا أنك يمكن أن تراني ببعض الأسباب قال: (لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ) ومحاولة لك (انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ) لماذا يستقر الجبل؟ للتجلي، فالتجلي معناه إمكان الرؤية. (وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) فالتجلي دلالة على إمكان الرؤية، لكن الجبل الذي هو أقوى من موسى تهدد ما استقر، الأقوى خر صار كثيباً مهيباً، فالأضعف ما يستطيع. لذلك هو علق الرؤية على شيء ليس مستحيل على الاستطاعة، (فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) قد يستقر، فما علقه على مستحيل.

قال: (فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي) فَلَمَّا تَجَلَّى) تجلى وانتهى فإمكان الرؤية موجود لكن ضعف البصر، أما في الآخرة قال: (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) فهي فيها دلالة. إذاً قصة موسى لنا وليست علينا من وجوه ثلاثة:

❖ الوجه الأول موسى يتأدب، فلا يسأل موسى ربه سؤالاً ليس له فيه حق. هذا من الأدب وموسى من أرقى الناس أدباً من أولي العزم من الرسل.

❖ الأمر الثاني لو كان منكراً، والله ينكر المنكر لا يقره.

لو جاء الحق من كافر يقره ولو جاء الباطل من أحب الناس إليه ينكره. قد أنكر على النبي صلى الله عليه وسلم: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ). قالت بلقيس وهي من أكفر أهل الأرض في وقتها تعبد الشمس (قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً) ماذا قال الله جل وعلا؟ (وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أقر. نوح عليه السلام قال: (رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) ماذا قال الله جل وعلا رداً عليه؟ (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) إذا أنكر عليه. موسى لما سأل ما أنكر عليه، دلالة على أن السؤال جائز وإن كان جائزاً فالرؤية ممكنة، رددنا عليهم.

قالوا النظر. قلنا النظر خبل عندكم، قلتم الرؤية إدراك والإدراك إحاطة والإحاطة نقص. نقول شطر المقدمة لا نقبله وباقي المقدمة نقبله، الإدراك إحاطة والإحاطة بالرد دلالة على عدم الكمال التام لله جل وعلا إن صح التعبير. لكن نحن لا نوافق على أن الرؤية إدراك، نحن معكم في الإدراك والإدراك منفي (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ). أما أنت تتمحك كما يقولون، تسير سيراً سريعاً وتقول والرؤية إدراك. لا الرؤية ليست إدراك، ورددنا عليهم في ذلك وثبت لنا مسألة الرؤية.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس الخامس

عنوان الدرس: صفة اليد لله جل وعلا

ثم بعد ذلك انتقل المصنف إلى مسألة أو صفة أخرى من الصفات. هو الحمد لله باقي الحائية نتكلم عن فضل الصحابة ومراتب الصحابة، وطبعاً رد الخبثاء الروافض نتكلم عنهم. ثم نتكلم على مسائل الإيمان بالغيب، القبر والقدر، والجنة والنار. وهذا إن شاء الله أيضاً سنوجزه دون إخلال بإذن الله. لكن لابد أن أقف عند المسألة الثانية وهي مسألة قال: (وقل ينزل الجبار).

وطبعاً قال: (وكلتا يدي ربي بالفواضل تنضح) يوجد صفة أخرى قبل النزول وهي صفة اليد، إثبات صفة اليد لله جل وعلا. بإيجاز دون إخلال لله يدان؟ نعم لله يدان. أقول إخوتي الكرام، عامة اليد صفة من صفات الله جل في علاه، أي نوع من أنواع الصفات؟ قلنا أقسام الصفات: ثبوتية ❖ فعلية ❖ وفي الوسط الثبوتية السلبية. الثبوتية السلبية

هي صفات المقابلة (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا) (قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ)

اليدان صفة خبرية. ما الدليل أنها خبرية؟ هي بالنسبة لنا جوارح لكنها أجزاء وأبعاض. يد الله جل في علاه، الله جل وعلا له يدان؟ نعم له يدان. ويد الله جل وعلا ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع أهل السنة.

❖ قال الله جل في علاه: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) ما وجه الدلالة؟ الإضافة وهذه الإضافة تسمى إضافة معاني. (يَدُ اللَّهِ) إضافة الصفة، وقلنا الضابط عندنا في أي صفة في أي آية لأذكر أنها من آيات الصفات الضابط إضافة لله. (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) آية صفات؟ لا. (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ) من الصفات؟ لا. يوجد آية اختلف فيها أهل السنة والجماعة وهي (فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ) مع أنه مضاف إلى الله لكن ابن تيمية قال إنها ليست من آيات الصفات، لا ندخل فيها لأنه عنده تأويل آخر السياق والسباق والصفات. لكننا نقول هذا ضابط عند أهل السنة والجماعة: (ما أضيف معنى لله إلا وهو إضافة صفة للموصوف). قال: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)، وقال الله جل وعلا: (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) وقال الله جل وعلا منكرأ على إبليس: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ) فإذا يد الله ثابتة بالكتاب.

❖ وبالسنة ثابتة، قال: (وكلتا يدي ربي يمين). وفي رواية مسلم قال: (بيده الشمال) وهذه مسألة يجب أن نتكلم عنها، لأنه هل لله شمال أم لا؟ وأيضاً وصف الله بالأصابع والأنامل والكف كما سيأتي. ففي الكتاب قال الله جل وعلا (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)، أما في السنة قال: (وكلتا يدي ربي يمين). وأيضاً (النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل عليه اليهودي وهو يجلس بين أصحابه قال: أين أنتم من أن الله جل وعلا يحمل الأشجار على ذا؟) وهو يصف (على ذا) على الإصبع يعني. (والثمار على ذا والتراب على ذا والثرى على ذا والسماء على ذا والأرض على ذا وقبض يديه وقال: ويهذهن هكذا. فابتسم النبي).

قال المؤلفون ابتسم مغضباً منكراً. بالله عليك أحد يضحك وهو منكر؟ يعني هم يقولون إذا دخلت على الرجل لعطية فوجدته يبتسم فاعلم أنه سيجزل لك العطاء لكن إن وجدته عبوساً ماذا سيحدث؟ كل ما تتكلم وتضحكه سيأكلك. فهم يقولون ابتسم مغضباً منكراً. بالله عليكم هل النبي يبتسم منكراً؟ وعائشة تصف النبي صلى الله عليه وسلم تقول: (وكان إذا غضب النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك على وجهه) كأن (. في وجه النبي صلى الله عليه وسلم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يظهر ذلك على وجهه إن كان مسروراً أو غير مسرور.

فابتسم النبي وابن مسعود يصرح أنه ضحك، النبي صلى الله عليه وسلم ابتسم رضىً بقول ابن مسعود. يعني ابن مسعود أفهم أم الذين أولوا وقالوا ابتسم مغضباً؟ قلنا هذا تأويل زائف وتخبطتم عشواء لأنكم ضللتكم الطريق ولو سلمتم لله ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ووسعكم ما وسع الصحابة لكنتم أهدى الناس ولكنكم الآن من أضل الناس، تحرفون الكلم عن مواضعه. عامة قال: ذلك فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم مقراً على ذلك. وأيضاً قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يمين الله ملأى) إلى آخر الحديث كما سيأتي.

❖ وقد أجمعت الأمة على إثبات اليد لله جل في علاه.

ولله يدان ثنتان ولو كانت أكثر لبين النبي صلى الله عليه وسلم لأن في الكثرة الكمال. من أين؟ الله جل وعلا ذكرها مفردة وذكرها مجموعة وذكرها مثني. فهل هذا تضاد؟ حاشا لله. ولو كان التضاد في أعيننا لقلنا سلمنا وسمعنا وأطعنا ولا تضاد والخطأ عندنا. لابد أن تكون عابداً لله مستسلاً (إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ^١ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) استسلام تام، ركن العبودية الأعظم أن تستسلم استسلاماً تاماً لله جل في علاه. فإذا قال الله يد وقال يدان وقال أيدينا، قل الكل حق نؤمن به ولنا أن نفسره.

كيف التفسير؟ عندما يقول الله جل وعلا (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) يد مفردة، لكن القاعدة الأصولية. ويجب أن تتعلموا الأصول مهم جداً جداً، أنا أقول أنا أدين الله بأن الذي يجهل الأصول لا يعلم شيئاً، الذي يجهل الأصول لا يعلم شيئاً هكذا. (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ) اليد مفرد مضاف، والقاعدة الأصولية المفرد المضاف يعم فلا خلاف. فلو كانوا اثنين كانوا ثلاثة كانوا أكثر لا خلاف، لأن يد الله يصح أن تقع الواحدة ويصح أن تقع على الاثنين ويصح أن تقع على أكثر من ذلك، فلا خلاف.

وأما قول الله جل في علاه: (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا) وقال: (مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ). (بِيَدَيَّ) هذا نص احتمالية غير موجودة. احتمالية الجمع في يد الله موجودة، واحتمالية (أَيْدِينَا) للتعظيم موجودة، لكن النص الذي لا يعتريه احتمالات هو قول الله: (لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ). فالنص المحكم هو لله يدان، ولا خلاف لما قال: (أَيْدِينَا). أنا صعيدي اسكندراني، لما أروح البحر أقول رحنا، رايعين داء العظمة يموتنا، نأكل نشرب، فهنا التعظيم موجودة. هنا (أَيْدِينَا) للتعظيم. فالاحتمالية واردة واردة، ويبقى النص المحكم عندنا هو لله يدان والدليل على ذلك القاطع والفاصل حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين البخاري ومسلم. نقول هو أقل الجمع اثنان، إذاً لا مشاكل تقع على الاثنان. لكن نحن نتكلم على الفاصل، فاصل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (وكلتا يدي ربي يمين) لو كانت أكثر لقال، لأن هذا تمديح ووصف الله بالكمال المطلق. قال: (وكلتا يدي ربي يمين)، هذه المسألة الأولى فثبت أن لله يد.

وباليد البسط والقبض والمسك. قال: (وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) والبطش (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ). وسنبين عند التعبد لله جل وعلا بهذه الصفة كيف نتعبد لله بهذه الصفة العظيمة صفة اليد واعتقاد اليد لله جل في علاه. المسألة التي تتعلق بهذا لما قال: (وكلتا يدي ربي بالفواضل تتضح) هذه نقطة التعبد بها. قال (وكلتا يدي ربي) هو أثبت لنا الله يدان كما أثبتنا الله يدان لكن لما يقول: (وكلتا يدي ربي) ما ذكر اليمين ولا الشمال، وهي مسألة مطروحة عند أهل السنة والجماعة وفيها خلاف بين أهل السنة والجماعة.

❦ فمن أهل السنة والجماعة من قال لله يمين وشمال. وقالوا أما إذا قلت واعتزضت بأن الشمال نقص في الإنسان، فنقول هي لله كمال والله المثل الأعلى. لا سيما وأن في صحيح مسلم قد ورد عن عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وبيده الشمال) قال وصرح (بيده الشمال). قال (السموات والأراضين بيمينه) قال: (وبيده الشمال)، هذا تصريح بالشمال. وهناك رواية في السنن عن عمر ابن الخطاب قال: (مسح الله على ظهر آدم فاستخرج منه ذريته) قال: (فقبض قبضة بيمينه وقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي) قال: (وقبض قبضة بشماله وقال هؤلاء للنار ولا أبالي) قال: هذا تصريح بالشمال. وقول النبي: (كلتا يدي يمين) يعني في البركة والقوة والعطاء والمنح، فقالوا هذا من اليمين والبركة.

أنا لا أدين الله بهذا القول، هذا قول قال به بعض أهل السنة والجماعة، حتى منهم من المتأخرين محمد بن عبد الوهاب يقول بمثل هذا. لكني أدين الله كما قال البيهقي في هذا الباب على ما أخذ عنده في مسألة الصفات، لكنه يقول بأن هذا الحديث ضعيف، حديث (وبيده الشمال) حديث ضعيف، وهذا صحيح. عمر بن حمزة ضعيف أصالة وقد خولف، خالفه الثقات الأثبات ولم يذكروا لفظ الشمال. لأنه قال: (وكلتا يدي ربي يمين)، قال في الحديث الآخر في الصحيحين قال: (وبيده الأخرى) ولم يذكر الشمال. وهذا هو الأصح، الثاني شاذ ما يصح. فالصحيح (كلتا يدي ربي يمين) نص كلام النبي صلى الله عليه وسلم (كلتا يدي ربي يمين) هذه المسألة.

ختام المسألة عن اليمين، أقول والتعبد لله بهذه الصفة العظيمة، نقول يد الله جودٌ وكرم سخاءٌ وعطاء قوةٌ وقدرة وبطش. فأنت إن اعتقدت بأن الأمر كله بيد الله جل في علاه وأن القوة والقدرة بيد الله والبطش بيد الله لا تخاف أحداً إلا الله جل في علاه، لن تخاف أحداً إلا الله جل في علاه. لا يمكن لك أن يرتجف فؤادك إلا من الله جل في علاه. وتعلم أن القوة العظمى لله جل في علاه لو تكالب أهل السماوات وأهل الأراضين عليك ففقدرة الله أسبق وأقوى وأقوم وأعظم سبحانه جل في علاه. فتملاً قلبك يقيناً بقدرة الله جل في علاه، فأنت لا تكون ذليلاً لا تكون خائفاً لا تكون مرتجفاً إلا من الله جل في علاه. وهذا

الخوف يكسبك الأمن في الآخرة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث: (لا أجمع للعبد بين أمنين وبين خوفين) فإن خفت ربك في الدنيا فأمنك الله جل وعلا ويؤمنك الله جل وعلا في الآخرة.

أيضاً إن اعتقدت بيمين الله جل في علاه وأن الجود والعطاء بيد الله جل في علاه وهو يقبض ويبسط، فإن قلبك لا يميل في الرزق إلا لله. فتبیت مرتاح القلب مرتاح البدن، رافعاً يديك متضرعاً متذللاً لربك الكريم الجواد سبحانه جل في علاه. وتعلم أن الجواد لا يبخسك حقك وتعلم أن الجواد لا يمنعك ما تريد وما ترتجي وما تتمنى وما تشتهي. فإن خزائن السماوات والأرض بين يدي الله جل وعلا، قال: (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ)، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: (يمين الله ملأى سحاء الليل والنهار. أرايتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض لا يغيضها نفقة) سبحانه جل في علاه.

لذلك لك أن تستحضر قول النبي صلى الله عليه وسلم: (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم قاموا جميعاً في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي من شيء). ستمطر سماء ذهباً وفضة عليك إن اعتقدت بذلك، لو علمت أن القبض والبسط بيد الله جل في علاه، وخزائن السماوات والأرض بيد الله جل في علاه. هذا ملء السمع والبصر أن تعتقد في ربك ذلك فتتعبد لله بهذه الصفة العظيمة، فيميل قلبك لربك جل في علاه. وتطمئن قلباً أيضاً كما قال الحسن، كان يبيع التمر فتكاثر عليه الناس فأخذ قوت يومه ومشى. قالوا أمغفل أنت؟ الكثرة عليك كاثرة من الناس. أما تستزيد؟ قال: (ولم أستزيد؟ وقد علمت أن رزقي بيد ربي ولن يذهب لغيري فاطمئن قلبي). وهذه أبواب القدر التي نفتحها إن شاء الله بعد ذلك.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس السادس

عنوان الدرس: صفة نزول الله جل وعلا

لا بد من همّة عالية وإرادة ثم الفعل، وهذا الذي يصل بالإنسان إلى المعالي وما تمناه يجده لأن المرء بهمته، وقد قال الله جل وعلا: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ)، وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم لما احتضن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه فقال: (اللهم فقّهه في الدين وعلمه التأويل). وقف على باب المدينة مع صاحب له قال: (هيا بنا نطلب العلم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)، فقال: هل حدث في عقلك شيئاً؟ أو قال كلمة مثل ذلك لابن عباس: أتحسب الناس يقبلون عليك ويتركون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيهم من فيهم من فحول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فتركته. هذا كلام لا وزن له، فتركته فذهبت إلى عتبة أبي فتمت عليها، حتى أن الريح يأتي على ابن عباس، فيخرج أبي فينظر إلى ابن عباس فيقول: (يا ابن عم رسول الله لو أمرتنا أتيناك لو دعيتنا أتيناك) فقال: (لا العلم يؤتى).

لذلك كان ابن عباس عندما وصفه الواصف قال: (فنظرت فوجدت ابن عباس في عرفة يقف يقرأ سورة البقرة يفسر آية آية، لو سمعه العرب والعجم وخاصة العجم لأسلموا). وما من أحد يسمع لابن عباس إلّا ولان قلبه، وهذا قد جمع الله الناس على ابن عباس لهفته العلية السامية. لاسيما وأن ابن عمر رضي الله عنه وأرضاه في الحشد العظيم في الحج، جاء الناس يسألون ابن عمر عن مسألة في كتاب الله جل في علاه قال: (أذهب إلى هذا فهو أعلم مني بها) على ابن عباس (ثم رد عليّ الإجابة). فذهب فسأل ابن عباس فأجابه، فأتى الرجل حاملاً للإجابة إلى ابن عمر فقالها لابن عمر، فلما سمعها قال: (نعم ترجمان القرآن هذا الرجل) عن ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه.

فمن طلب العلا هذا زعم، لابد أن يظهر الهمة التي يصل بها إلى العلا:

لا تحسبن المجد تمرّاً أنت أكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

من جد وجد ومن طلب العلا سهر الليالي، إنما الجد بالجد وإنما الحرمان بالعجز والكسل. لا يمكن للإنسان أن يصل إلى المعالي إلّا بالجد وإلّا بالمثابرة والمتابعة والمواولة بطلب العلم والمدارسة، ولابد من الصبر حقاً. الرجل كان يجلس في مجلس للتحديث ثلاثة أيام قبل عقد المجلس يبول في الطيلسان ولا يتحرك من مكانه من أجل أن يحظى بأن يكتب في مجلس التحديث، كانوا يبيعون الغالي والنفيس من أجل الوصول إلى ذلك.

مداخلة: (إذا دخل أحدكم المسجد فليصلي ركعتين قبل أن يجلس)، بسبب هذه الصلاة ابن حزم صار ابن حزم. الشيء بالشيء يذكر، البعض يقول: من خرج ليدخل له إلّا يصلي. لكني لا أدين الله بهذا، أدين بأن ظاهر حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين). وأدين الله أيضاً بأنها الواجب شغل البقعة بصلاة ليست سنة، نقول أيضاً من باب الهم لابن حزم ما صار ابن حزم إلّا بسبب هاتين الركعتين.

فيحيى بن معين يقول: (أنفقت ألف ألف درهم من أجل هذا العلم) علم الرجال، وأحمد بن حنبل تعرفون كيف كتب المسند؟ رحل الدنيا مرتين. بقي بن مخلد يمشي من الأندلس حافياً يأكل ورق الشجر، يأتي إلى أحمد ابن حنبل ليأخذ الحديث بصورة شحاذ، يقول: تصدق عليّ، فيتصدق عليه بالحديث. فهذه هم كالقمم وصلت بهم إلى المعالي، لذلك كما أقول لكم الإمام أحمد من همته العلية السامية رحل الدنيا مرتين لكتابة المسند، الإمام البخاري دار الدنيا بأسرها لكتابة كتاب الصحيح.

الإمام أحمد لما خرج عاجزاً أن يسمع من عبد الرزاق في اليمن فقالوا: نخرج على الحجاز فنحج ثم نذهب إلى اليمن، فلما طاف رأى يحيى بن معين عبد الرزاق قال: بغيتك دونك الرجل هذا عبد الرزاق تسمع منه في الحج والآن قد أراحك الله من الفياقي والقفار، قال: والله لا ما خرجت من بلدي إلا لأسمع له في اليمن فلن أسمع له إلا في اليمن، الذهبي يذيل ويقول علم أنه (ما أتى بمشقة لا يخرج إلا بمشقة). المسألة أنت تريد تنمر طالب علم لا بد أنه يقتل إنما أنت لو بدأت طيارة كما يقولون، أتيت برجل يعطيك الفقه في يوم أو في ربع يوم أو في نصف يوم أو تأخذ مصطلح الحديث كله في نص يوم انتهى الموضوع، معنى ذلك أنك لم تخرج طالب للعلم بحال من الأحوال هي مسألة يعني تفريح الناس كما يقولون. المقصد الأسمى أن تخرج لنا بعض المثقفين وانتهى، لكن إذا أردت أن تجعل شجرة مثمرة حقاً لا بد أن تتحمل هذه المشقة من أجل أن تكون كذلك.

ابن حزم بمثابة ما فعل اخونا الفاضل الكريم يعني ذكرنا بابن حزم، أن هاتين الركعتين كانتا سبباً عظيماً في خروج ابن حزم الذي سام العلماء كالشافعي ومالك، لولا السيف البتار في لسانه لكان لابن حزم شأن كل الشأن كما قال الإمام الشوكاني: (عز الزمان ان يأتي بمثلهمما) يعني يأتي بمثلهمما ابن تيمية وابن حزم، قال: (عز الزمان ان يأتي بمثل هذين الرجلين). ابن حزم كان رجلاً فحلاً لغوياً أصولياً مدققاً محققاً فقيهاً محدثاً، ليته قلب المذهب، كان في العقيدة ظاهرياً وكان في الفقه غير ظاهري، ليته فعل ذلك لأنه عليه مأخذ في مسائل العقيدة لكن كان فحلاً.

السبب في ذلك هاتان الركعتان، السبب في أن بلغ أو بزغ نجم ابن حزم هاتان الركعتان، لأنه دخل ذات مرة يصلي دخل بعد العصر فلما دخل بعد العصر صلى، فلما صلى قام رجل فقال: تصلي بعد العصر والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن بعد العصر؟ إنك لجاهل. فاستحى على نفسه، فلما استحى على نفسه جاء بعد ذلك دخل في نفس الوقت فقام يجلس فدخل عليه رجل قال: أدخلت المسجد ولم تصلي والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين)؟ فاحتار فقال: لعنة الله على الجاهل، أو كلمة مثل ذلك فقام فذهب فعكف على العلم حتى صار ابن حزم، حتى

صار يداني العلماء الفحول، حتى صار يراجع على مثل الشافعي ومثل مالك ومثل أبي حنيفة.

الغرض المقصود الهمم تصل بالإنسان إلى القمم، وكما قلنا:

لا تحسبن المجد تمرأ أنت آكله

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لك أن ترى النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤسس الدولة الإسلامية إلا بعد ثلاثة عشر سنة مع عناء لا يعلم به إلا الله جل في علاه ولأواء ومشقة، حتى قال لربه: (إلى من تكلمي). لما دخلت ابنته وترى على النبي صلى الله عليه وسلم سلا الجزور وتبكي وتحمل سلا الجزور من على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: (لا بأس على أبيك بعد اليوم لا يترك هذا الدين بيت مدر ولا وبر إلا دخله بعز عزيز أو بذل ذليل)، لا بد من الهمة ولا بد من الصدق في الطلب ولا بد من الصدق في الطلب.

المشكلة كل المشكلة هو أن كثير من الإخوة عندهم أمانى في الطلب لكن مع عندهم حقيقة إرادة الطلب، وهذه الأمانى كما قلنا تنتهي بمحاضرة تنتهي بمصمصة شفاه تنتهي بكلمة طيبة يسمعها من رجل بليغ فصيح أو خطبة نيرة وانتهى الموضوع. لكن الذي حقاً يريد طلب العلم لا يكتفي، بحال من الأحوال لا يكتفي، ولذلك يسطر بماء من ذهب الحافظ ابن حجر في كتابه العظيم كتاب الفتح الباري يقول: (ولا يزال العالم عالماً ما جد في الطلب، إن توقف فاعلم أنه ليس بعالم) انتهى أمره الآن في الجهل.

ونحن نعيش في زمن الأشبار تعرفون زمن الأشبار؟ تعرفون أبا شبر؟ هذا الذي تعلم بعض العلوم ثم وقف يتصدر للناس، وهذا لا يصح. الإمام الصنعاني كان رجلاً فحلاً في الحديث وفي الفقه، رحل، كان قد تكامل العلم عنده في اليمن وانتهى، ثم قالوا له: أنت الآن تكامل العلم عندك فعليك أن تأتينا بهذا الخير فنتعلم منك. فقال لهم: لا والله، حتى أرى في نفسي أنني قد رحلت البلاد والفيافي والقفار فحصلت العلم من مشارق الأرض ومغاربها، ثم وجدت في نفسي أنني قد تأهلت للصدارة فأصدر. ونحن في زمان يعلم الله بما يحدث معنا، التصدر فيه الآن صار كالسيل الجرار، والفتاوى الكثيرة التي تمج الأذان أيضاً صارت كالسيل الجرار. فلذلك أنا أقول إخواني، الهمة علامة طالب العلم، فكن ذا همة عالية حتى تصل إلى المعالي.

وقفنا في أمس في الكلام على صفة النزول: (وقل ينزل جبار).

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، قال المصنف -رحمه الله-:

وقل ينزل الجبار في كل ليلة	بلا كيف جل الواحد المتمدح
إلى طبق الدنيا يمن بفضلته	فتفرج أبواب السماء وتفتح
يقول ألا مستغفر يلقي غافراً	ومستمنح خيراً ورزقاً فيمنح
روى ذاك قوم لا يرد حديثهم	ألا خاب قوم كذبوه وقبحوا
وقل إن خير الناس بعد محمدٍ	وزيراه قدما ثم عثمان أرجح
ورابعهم خير البرية بعدهم	علي حليف الخير بالخير يمنح
سعيد وسعد وابن عوف وطلحة	وعامر فخر والزبير الممدح
وعائش أم المؤمنين وحآلنا	مُعَاوِيَةَ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مَصْلَح
وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَالتَّابِعُونَ بِحُسْنِ	مَا حَذَوْ حَذَوْهُمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَقْلَحُوا
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ	وَلَا تَكُ طَعَنًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ	وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

إذاً هنا المصنف جزاه الله خيراً يتكلم عن صفة من صفات الله جل في علاه: (وقل ينزل الجبار)، هذه الصفة من صفات الأفعال. وأذكر نفسي والإخوة بأننا قلنا بأن صفات الله جل في علاه: صفات ثبوتية وصفات سلبية واثبتية سلبية، هذه الأقسام الثلاثة. قلنا الصفات الثبوتية لها أنواع ثلاثة: ذاتية وذاتية خبرية وفعلية. (قل ينزل الجبار)، النزول صفة فعلية، ضابط الصفة الفعلية:

🌸 أنها يتقدمها المشيئة، إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل

🌸 والضابط الثاني تتجدد، يعني يتصف الله بها حيناً ولا يتصف حيناً، هل لك أن تقول ينزل نهاراً وليلاً لا ينزل؟ لا أنت ما جاءك من وقت النزول فهو وقت النزول. فإذا نقول يتصف بها حيناً ولا يتصف بها حيناً.

يقول: (وقل ينزل الجبار)، وطبعاً هنا أيضاً من فقه المصنف لأنه لما تكلم عن صفة الكمال جاء باسم الجبروت والقوة والقدرة، يعني هو قادر قويٌّ قادرٌ على كل شيء، قادرٌ على أن يجيء قادرٌ على أن ينزل قادرٌ على أن يستوي على العرش. لذلك الأمير الذي اندهش وأتى بإسحاق ابن راهويه أمير خراسان يسأله قال: أربُّ ينزل؟ قال: عليك أن تثبت أولاً أنه فوق ثم سلني عن النزول فأجيبك. فقال له: نعم أنا أنزل معك هو فوق قد قال الله تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) قال: هل ينزل؟ قال: نعم ينزل. قال: دلل لي على أنه ينزل، فقال قول الله جل في علاه في سورة الفجر: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ

صَفًا صَفًا)، قال: ذاك يوم القيامة يا إمام. قال: الذي يقدر أن يأتي أو يجيء يوم القيامة يجيء في أي وقت.

فلذلك أتى بهذا الاسم ليبين لك أن هذا من تمام قدرة الله جل في علاه، من الكمال والقوة والعظمة. الذي لا يستطيع أن يذهب ويجيء فيه نقص، والذي يقوى على ذلك فهذا كمال، لذلك أتى بهذا الاسم، هذه لفظة من المصنف كيف في هذا. شطر البيت الأول قال: (وقل ينزل الجبار في كل ليلة) هنا أيضاً (بلا كيف) طبعاً بلا كيف لا يصح أن نقف عندها ونمررها هذا المرور، لما يقول ينزل الجبار في كل ليلة بلا كيف خطأ، لا بد من تقدير هنا. أو قل ليس بخطأ لكننا سنعتذر له ونقول بلا كيف نعرفه نعلمه وإلا لا يمكن أن نقول بوجود ليس له صفات، موجود إذاً له صفات، وإذا قلنا بالصفة فلا بد للصفة من كيفية. لكن علمها من علمها وجهلها من جهلها حتى في حيز الحياة، وأما في الأصل أن نقول بأن صفات الله جل في علاه لها كيفية ولكنها غابت عنا.

والذي أسس لنا مالك والحق أنها ليست بقول مالك هو اشتهر على لسان مالك، بل هو قول شيخ مالك بل هو قول شيخ شيخ مالك هو قول ربيعة الرأي شيخ مالك، وهو قول أم سلمة رضي الله عنها وأرضاها، وقد جاء مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه ليس بصحيح. (الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة). قال والكيف معدوم أم قال مجهول؟ مجهول. إذاً موجود لكن مجهول لا نعلمه. قال: (والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة). لذلك قال: (بلا كيف)، نقول لا بد أن نقول والأصل التقدير بلا كيف نعلمه، وإلا ما من صفة من صفات الله إلا ولها كيفية.

(جلّ الواحد المتمدح) هو يتمدح الله جل وعلا لأن الله جل وعلا يحب المدح ويحب الثناء سبحانه جل في علاه، لذلك أمرنا بمدحه وثنائه وهو قد أثنى على نفسه (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**) (**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**) (**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**). لذلك كافأ على الشكر ما لم يكافئ على غيره قال الله جل في علاه مادحاً عباده (**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**)، وقال الله جل في علاه عن إبراهيم عليه السلام (**شَاكِرًا لِّأَنْعَمِيهِ**)، ومحمد اسمه محمد كثير الحمد وكثير المحامد وكثير الحمد لله جل في علاه، محمد وأحمد، فهو يتمدح.

وهناك فارق بين الحمد والمدح، هو يتمدح نعم والله جل وعلا يحمد ويمدح ما الفرق بين الحمد والمدح؟ الفارق:

❖ بأن المادح قد يمدح وهو لا يحب ولا يوقر ولا يعظم، رأيت الشعراء يدخلون على الأمراء وقلوبهم تلعنهم ومع ذلك يمدحون للورق للذهب والفضة.

❖ أما الحمد فلا يكون قط إلا على من تحب.

فهو قال: (يتمدح) والله جل وعلا متمدح نمدحه بالنزول، يعني كأنه يقول واعتقد واعتقد في قلبك العقيدة العظيمة بأن الله الكمال المطلق تمدحه وتحمده وعلى ذلك ومن صفات الكمال هو النزول نزول الرحمن.

فقال: (وقل ينزل الجبار في كل ليلة)، نزول الله جل في علاه هي صفة من صفات الأفعال، هذه الصفة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع أهل السنة، بل والعقل أيضاً يثبت ذلك. وقد قلنا بأن هذا لا بد أن تحفظه ضابطاً مهماً في كل الصفات الفعلية، أنك يمكن أن تثبتها بالعقل، وهذا الضابط في الفارق بين الصفة الفعلية والصفة الخبرية. هذه الصفة فعلية والصفات الفعلية بالعقل يمكن أن تثبتها، لأنني أقول كيف أثبتها بالعقل؟ أقول الذي يتحرك الذي ينزل الذي يصعد الذي يعتلي الذي يفعل ما يشاء هذا كمال، وهذا في الإنسان، فإن كان في الإنسان كمالاً فهو في رب الإنسان من باب أولى. فالعقل يثبت هذا النزول لأنه من الكمال، لأن الذي يفعل ما يشاء هذا من تمام الكمال.

❖ فنقول بالكتاب قول الله جل وعلا: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) قال الله تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا).

❖ وأيضاً من السنة هو ما استدل به المصنف في البيت، هو طبعاً ليس استدلال هو إلماح لهذا الدليل (وقل ينزل الجبار في كل ليلة)، هذا ورد في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا ثلث الليل الآخر). هذه الروايات جاءت روايات متعددة: (في ثلث الليل الأول) (في ثلث الليل الآخر) (حين يبقى ثلث الليل الآخر)، فجمع بها العلماء أنهم قالوا أول النزول يكون في ثلث الليل الأول وانتهاء النزول يكون إلى طلوع الفجر. لأن الله جل وعلا قال: (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا). فنقول الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا ثلث الليل الآخر في كل ليلة فيقول هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟) في رواية في الطبراني بسند صحيح قال: (هل من مستشفي فأشفيه؟) من فضل الله جل في علاه، وهذا سنستدل به كيف نتعبد لله بهذه الصفة الجليلة العظيمة صفة النزول.

وأيضاً قد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم نزولاً أيضاً خاصاً ببعض الناس، وهو النزول ليلة عرفة عشية عرفة، (ينزل الله جل وعلا على سماء الدنيا يباهي الملائكة بهؤلاء الحجيح يقول: (هؤلاء أتوني شعناً غبراً ما يريدون؟))، هذا نزول خاص بهؤلاء. ونزول أيضاً يكون فيه العموم لكن هو خاص بالليلة ليلة النصف من شعبان عند من يصحح هذا الحديث: (يطلّع على عباده فيغفر لكل أحدٍ إلا كافر وإلا مشاحن).

إذاً النزول ثبت بالكتاب وثبت بالسنة والنزول عندنا:

❖ نزول عام، هذا النزول العام هو في كل ليلة عام، ومعنى العموم هنا أقول عام للجن والإنس، عام للكافر قبل المؤمن قبل التقي البار، لأن الله جل وعلا يقول: (هل من

مستغفر؟)، (من) من الأسماء المبهمة تعم كل أحد يستغفر، كفر بالله نهراً فاستغفر ربه ليلاً فغفر الله عليه وهذا من كرم الله جل في علاه، فهو على العموم.

❖ وأما النزول ليلة عرفة فهو للحجيج فقط خاص هذا نزول خصوصي.

❖ وأيضاً ليلة النصف من شعبان هي نصف الليلة فقط (يطلع على عباده فيغفر لكل أحد إلا لكافر أو لمشاحن). فهو أيضاً خاص بالمؤمنين، قيد آخر قيده النبي صلى الله عليه وسلم ألا يكون مشاحناً لأن أخرج الله الكافر في هذه الليلة (يغفر لكل أحد إلا لكافر)، الكافر خرج. (وإلا لمشاحن) دغل القلوب الحقد والحسد، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (لا يهجر مسلم أخاه فوق ثلاث).

هذا بالنسبة لمسألة النزول، فهي صفة من صفات الكمال لربنا الجبار سبحانه جل في علاه، ينزل كيف يشاء وقتما شاء بما شاء ولما شاء سبحانه جل في علاه. ونحن نؤمن بذلك ونسلم، لسان حالنا دائماً أن نقول: (أما بالله وبما جاء عن الله وعلى مراد الله وأما برسول الله وبما جاء عن رسول الله وعلى مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم). النزول فيه مسألة وإن كانت فيها بعض العمق لأننا لا ندخل في هذا العمق، هذه المسألة بأنهم قالوا إشكال، ما هو الإشكال؟ قالوا أنتم قلتم ينزل وقلتم هو على العرش أينزل ويخلو منه العرش أم لا؟

هذه مسألة قد أتى بها شبهة من شبهات أهل البدع والضلالات، فقالوا ينزل ربنا؟ نعم ينزل أنتم الآن قلتم (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) فهو على العرش وقلتم ينزل، هذا النزول يخلو منه العرش أم لا؟ نقول هذا السؤال مبتدع وهذا السؤال الأولى تجنبه لأنه السائل لهذا يدعو إلى كيفية النزول. نقول الآن لا تسأل عن هذا، ولذلك أهل السنة والجماعة الخلاف في هذا الباب على أقوال ثلاثة:

👉 القول الأول قالوا ينزل ويخلو منه العرش، عندما ينزل يخلو منه العرش.

👉 وبعضهم قال: نحن لا نقول يخلو ولا لا يخلو، نقف. نتوقف ولا نقول وهذا أسلم، سكن هنا تسلم هذا الأسلم. ابن تيمية أجاب بإجابة جيدة، وهذه الإجابة وإن كان فيها إلماح الفقه العالي لكننا نقول الأسلم أن تقول الله أخبرنا أنه على العرش استوى نؤمن بذلك، وأخبرنا أنه ينزل نؤمن بذلك ونسكت لا نتكلم عن هذه المسألة، لأنها لما لم يتكلم عنها السلف يسعنا ما يسع السلف فلا نتكلم.

👉 لكن ابن تيمية قال رداً على شبهات قال: (نحن نقول لكم ينزل ولا يخلو منه العرش) وهذا فقه دقيق كيف ذلك؟ قال: عندي الثوابت المحكمات، قال الله جل وعلا في محكم الآيات: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)) أؤمن بها يقيناً، إذا أنا عندي يقين ثابت في قلبي أن (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي بملئ السمع والبصر قال: (ينزل ربنا) قلت ينزل. إذاً عندي المحكم أثنائي بأنه

استوى وعندى المحكم أنه نزل، إذا نزل واستوى كيفما شاء ويمكن أن نقول هذه من قدرة الله أنه ينزل ولا يخلو منه العرش.

فلا تسئل نزل أو لم ينزل حتى لا تكيف، لكن نحن نقول هو على العرش وهو ينزل. هو على العرش بقوله: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) وهو ينزل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ينزل ثلث الليل الآخر)، ونقول: ينزل ولا يخلو منه العرش والله على كل شيء قدير. هذا كلام مائع وكلام قوي وفيه إعمال الأدلة وفيه العقيدة الصافية النقية، بأنه لم يأتي إلى التكيف والتصور، لكن الأسلم أن نقول لما لم يتحدث السلف لا نتحدث بذلك أفضل لنا، وإلا وإن كان نقل عن ابن راهويه أو غيره في هذا الكلام الأولى التوقف ونسكت عن هذا. لكن لو قلنا بأنه ينزل وهو على العرش لا يخلو منه العرش، هذا من أدق الكلام أيضاً على ما قاله شيخ الإسلام.

المسألة الثانية التي تتعلق بهذا لم يترك أهل البدعة لأهل السنة راحة الإيمان بحسن التعبد لله بالأسماء الحسنى والصفات العلا، فجاءنا هؤلاء الذين قالوا ينزل ربنا يعني ينزل أمره أو تنزل رحمته. الرد عليهم المسألة كلها قلت هو تذكير للمنتهي وتأصيل للمبتدي، الرد عليهم فقط بالإجمال أقول:

خالفتم الكتاب وخالفتم السنة قال الله جل وعلا: (وَجَاءَ رَبُّكَ)، قال الله تعالى جل في علاه: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) أنت أعلم أم الله؟ أنتم أعلم أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

الأمر الثاني خالفتم السنة قال: (ينزل ربنا) والأصل عدم التقدير، كيف ينزل رحمة ربنا؟

والأمر الثالث أنتم بذلك قد اتهمتم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتقصير وعدم تمام البلاغ، لأن للنبي وظيفتان: الوظيفة الأولى البلاغ والوظيفة الثانية البيان. قال: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)، الوظيفة الثانية (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ). إذاً وظيفتان: وظيفة بلاغ ووظيفة بيان. فأنت إذا قلت بأن النبي صلى الله عليه وسلم تركنا هكذا خط عشواء نضرب رؤوسنا في الحائط بأنه يقول: (ينزل ربنا)، تقول: لا ما ينزل تنزل رحمة ربنا. أنت الآن ماذا فعلت؟ أنت الآن تنتهم النبي صلى الله عليه وسلم بالتقصير بأنه لم يبين.

ولذلك نقول ولو تنزلنا معك وقلنا أنت الآن أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم، فأتيتنا بما لم يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم، (ينزل ربنا) تنزل رحمة ربنا جل في علاه، أسألك بالله أرحمة ربنا أو أمر الله لا تنزل إلا في ثلث الليل؟ يعني بقية النهار وبقية الليل لا رحمة نعيش بلا رحمة الله؟ الدنيا بأسرها كما بين النبي صلى الله عليه وسلم: (خلق الله مئة رحمة أنزل واحدة منها يتراحم بها الناس حتى أن الخيل ترفع الحافر عن

وليدها عن طفلها من رحمة الله جل في علاه). فتقول إذا الرحمة فقط في ثلث الليل تنزل فقط في ثلث الليل وباقي النهار والليل لا رحمة تنزل؟

إذا قالوا الأمر، نقول أمر الله جل في علاه في كل حين وفي كل آن (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)، والله جل وعلا قال: (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) يعني في الأمر كل حين وأن أمر وقول. أنت تقول الآن أمر الله لا ينزل إلا في الثلث فقط، ونقول لك من اللوازم الباطلة التي لا تلتزم أنت بها بأن الرحمة لا تقول هل من مستغفر فأغفر له؟ طبعاً هم قالوا أيضاً تنزل الملائكة، النزول هو نزول للملائكة. هم متخبطون يريدون التأويل بقصد التحريف، الصحيح يريدون التحريف يسمونه زعماً تأويلاً، فيأتون يتخبطون يقولون ينزل الأمر تنزل الرحمة لا تنزل الملائكة، كما قالوا (عَجِبَ رَبُّكُمْ) يعني عَجَبَ رَبُّكُمْ ملائكته.

فقالوا تنزل الملائكة، قلنا وهل الملك يقوم ويقول أو هل الأمر يقوم ويقول أو هل الرحمة تقوم وتقول: (هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطيه؟) الرحمة تعطي؟ الأمر يعطي؟ الملك يعطي؟ أجبوا أنا أريد إجابة الملك يعطي؟ الملك يغفر؟ الملك يتوب؟ الملك يشفي؟ ما هو الدليل؟ (إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) وأيضاً قول الله جل وعلا تصريحاً (لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ) (قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) لا يمكن للملك أن يقول سأغفر أو سأعطي سأشفي، هذه لله جل في علاه.

لما دخل الطبيب وقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (من أنت على المريض؟) قال: أنا الطبيب؟ قال: (لست الطبيب إنما الطبيب الله)، ولذلك قال إبراهيم عليه السلام: (وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي). فهنا نقول بأن هذا من النوازل الباطلة فتسلم لنا الأدلة، ونقول بأن النزول هو نزول حقيقي، الكيفية مجهولة والإيمان بها واجب. على القاعدة العامة ينزل ربكم؟ نعم ينزل (فالنزول في اللغة معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة).

كيف أتعبد لله جل وعلا بهذه الصفة العظيمة صفة النزول؟ أقول إخوتي الكرام من أعظم الثمرات التي بها يتعلم المرء أمر الصفات هو أن يتعبد لله جل في علاه بهذه الصفة. نزول الله هو نزول رحمة نزول جود نزول عطاء نزول سخاء سبحانه جل في علاه، لأنه لما ينزل ربنا جل في علاه ينادي على عباده، أرايت كيف ان الله جل في علاه أرحم عليك من أمك التي ولدتك من نفسك؟ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابه عندما رأى هذه المرأة يلتصق طفلها بها فقال: (أرايتم هذه المرأة طارحة طفلها في النار؟ قالوا لا، فقال: الله أرحم عليكم من هذه بطفلها).

فالله جل وعلا من رحمته أنه (في ثلث الليل ينادي على عباده هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من داعي فاستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستشفي فأشفيه؟). لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن ربنا جل في علاه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل). فنزول الله جل في علاه نزول عطاء سخاء مغفرة رحمة رافة جود وعطاء واستجابة للدعاء، لذلك حريٌّ بكل إنسان أن يتلمس هذه الأوقات المباركات فيتعرض للنفحات والرحمات، فيدعو رب الأرض والسموات بكل ما أراد من الدعوات، فله الإجابة تأتيه سريعاً، فإن الله حيٌّ كريم وهو الذي نادى لجيب، (إن الله حيٌّ كريم يستحي أن يرفع العبد يديه فيردهما صفراً).

فاذاً التعبد لله جل وعلا بهذه الصفة العظيمة هو أن يتلمس هذا الوقت المبارك وقت ثلث الليل، فيدعو الله جل في علاه فإن لم يستطع فلا بد من صلاة الفجر وإلا فهذه المسألة أعظم ما تكون لا تطلع عليك الشمس إلا وأنت قد أديت هذه الصلاة، قال الله جل وعلا (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) من الله ومن الملائكة. المصنف طبعاً لما قال: (إلى طبق الدنيا يمن بفضل)، وقلنا يمن بفضل به باستجابة الدعاء بشفاء المريض وأيضاً التوبة على الذي يريد التوبة. طبعاً هنا قال: (ومستمنح خيراً) وهذه دلالة كما قلنا على أن السائل يجاب في هذا الوقت فلا يرده الله جل في علاه خائباً.

حائية ابن أبي داود

الدرس السابع: فضل الصحابة رضوان الله عليهم

قال المصنف: وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزَيْرَاهُ قَدَمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ، هنا الوزيران: الأول هو أبو بكر والوزير الثاني هو عمر بن الخطاب. انتقل المصنف في الكلام على مسألة من أهم المسائل بل هي أهم المسائل في هذا العصر الآن، لا سيما وأن الأوباش الأردال الذين يتجرؤون على صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد ظهروا الآن. هو يتكلم عن فضل الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة في اعتقاد أهل السنة والجماعة هم خير الناس على الإطلاق بعد الأنبياء والمرسلين، خير من صحب نبياً هم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قبل أن نبدأ في فضل هؤلاء وما فصل لنا من الترتيب الذي رتبته، والكلام بفقهِ علي قول عثمان أرجح على أن هناك خلاف، وإن كان الإجماع قد انعقد بعد هذا الخلاف في قرون الأولى في الخلاف بين عثمان وبين علي.

أقول الصحابي تعريفه: هو كل من التقى بالنبي. بعضهم كان يقول الصحابي هو كل من رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- ومات على الإسلام ولو تخلل بين ذلك الردة، لكن الختام على الإسلام فهو صحابي. الصحيح بأن هذا لا يدخل فيه ابن أم مكتوم، فلذلك كان التعريف الجامع المانع الصحابي: كل من لقي النبي -صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك ولو تخللت الردة، هذا هو صاحب. وصحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هم خير الناس على الإطلاق، زكّاهم الله من فوق سبع سماوات. لا سيما وأن ابن مسعود -رضي الله عنه وأرضاه- قال: من أراد أن يأتسي فليأتسي بمن مات على صحبة محمد -صلى الله عليه وسلم-، قال: فإنهم خير الناس أو قال: أعمقهم علماً وأحسنهم خُلُقاً وأقلهم تكلفاً وأبرهم قلباً، قوم اختارهم الله جلّ في علاه لصحبة نبيه ونشر دعوته ونصرة سنته.

فالغرض المقصود هم القوم فبهم تأنسي، هم القوم الذين زكّاهم الله من فوق سبع سماوات، فأنه جلّ وعلا قد أظهر فضلهم من فوق سبع سماوات لا يحتاجون إلى تعديل بحال من الأحوال. لذلك قد أطبق قول المحدثين على أن مراسيل الصحابة أنها صحيحة، يعني الصحابي لو لم يذكر من سمع منه فهذا الحديث على الاتصال وعلى الصحة لأن الصحابة بأسرهم عدول، عدّ لهم الله من فوق سبع سماوات. إلا ما قال أبو إسحاق الاسفارييني وهذا كلام لا يؤخذ، فيه شذوذ.

فإطباق قول المحدثين على أن مراسيل الصحابة بأسرها على الصحة لأن الصحابة لا يحتاجون إلى تعديل، قال الله جلّ في علاه معدّلاً إيّاهم: (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا أَحْقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) [الفتح:26]. وجه الدلالة من الآية على تعديل الله لهؤلاء الأخيار الكرام البررة من فوق السبع سماوات أولاً (وَالَّذِينَ هُمْ)، الذي ألزمهم الله فهو الذي اختارهم على عينه، والله لا يختار إلا الصالح والأصلح، فالزمهم لأنه اختارهم. (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَانُوا أَحْقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) والتقوى هي كلمة التوحيد، هذه التي من أجلها خلق الله الخلق، هذه قضية الكون الكبرى. ألزمهم كلمة التقوى دلالة على أنهم لهم الأهلّة بذلك، بل صرّح وقال: (وَكَانُوا أَحْقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) هذا تعديل ليس بعده تعديل. اختيار يدل على الصلاح والإصلاح، وبعد ذلك الإلزام بقضية الكون الكبرى ليحملها كل إنسان منهم فوق عنقه، وبعد ذلك قال: (وَكَانُوا أَحْقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا) شهادة عليّة من رب البرية لهؤلاء الخيرية بأنهم أفضل الناس على الإطلاق.

أيضاً قد قال الله تعالى: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ) [الفتح:29]، الذين معه هم الصحابة. إذا صدر الباب بالترتيب أولاً بذكر أفضل الخلق على الإطلاق، ثم قرّنه معهم، وهذا الاقتران دلالة على الفضل، معنى أن يقرن ذكر هؤلاء مع ذكر النبي دلالة على الفضل، قال: (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ). ثم لما تكلم عن الصفات، تكلم عن صفات محمد ومن معه دلالة على تقارب الصفات، وصفات النبي هي أعظم الصفات،

فإن تقارب معه أحد في هذه الصفات فهو من أعظم الناس خَلْقاً ومكانةً عند رب البرية جلّ في علاه، (مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح:29].

ليتنا نكون كذلك، نحن نطبق أمراً جليلاً الذي يوافقنا فهو معنا والذي يخالفنا يحاربنا ليس معنا. هذا المنهج البوشي، الذي ينتج لنا إفساد ذات البين، وإفساد ذات البين هي الحالقة، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن أقول تحلق الدين**. هذا منهج البوشي المتحقق فينا نحن أهل الالتزام، من خالفنا ليس معنا ولا بد أن نصد الناس عنه، أعوذ بالله. يا أخي لو خالفك وكان مبتدعاً حقاً، لو خالفك وكان مخالفاً لهدى للرسول حقاً ففعل ما شئت. لكن خالفك بخلاف يسع، والخلاف الذي يسع كثير فكيف تحاربه؟ فكيف تصد الناس عنه؟ فكيف تقول ليس منا؟ هو علينا وليس منا؟! الذي ينزل تحت راياتنا يوافقنا وهو معنا، والذي يخالفنا ليس معنا، إفساد ذات البين. وإفساد ذات البين ليس فيها ثمة رحمة، هذه مخالفة لمقاصد الشريعة.

النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ترك وسيلة إلى تعميق المحبة في الله والأخوة في الله والترابط والتواد والتحاب إلا وأمر بها بلسان الحال ولسان الحال، وما ترك وسيلة تُعمل فساد ذات البين بين الناس إلا وحسمها وقطعها. قال: **لا يبيع أحدكم على بيع أخيه، لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه، قال: كونوا عباد الله إخواناً**. وقال: **أفشوا السلام، وإفشاء السلام هو الذي يكون به التواد والمحبة، لذلك من علامات الساعة أن تسلم على من عرفت ولا تسلم على من لم تعرف**. ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر ولكن أقول تحلق الدين**.

فلا بد من الوفاق دون الافتراق، دون الاختلاف، بشرطٍ وقيد أن يكون تحت كلمة التوحيد، فكلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة. فالمحبة والتواد والأخوة في الله مقصد من مقاصد الشريعة، فمن أعمل إفساد ذات البين فهو يخالف مقاصد الشريعة. ما هذا الذي يحدث؟ إن خالفني في وجهة نظر أو خالفني في مسألة أنا أتبناها فقهية يسعنا الخلاف، قال: بأن لحم الجزور الأكل منه ينقض الوضوء، قلت: لحم الجزور لا ينقض الوضوء. نتناحر ونتقاتل!! هذا ليس منا ليس منهجنا هذا لا يوافقنا لا نأخذ به لا نتعلم منه!! هذا سوء أدب، هذا إفساد ذات البين، هذا مخالفة لمقاصد الشريعة. أنت تضاد ربك وأنت لا تدري، أنت الآن تتعصب والهوى يتحكم فيك.

الإمام الشافعي قال عنه عيسى بن يونس: ما رأيت أعقل من الشافعي، أخذني ثم قال لي: ألا يحتمل بعضنا بعضاً، إن اختلفنا في مسألة ما أو في مسائل شتى؟ ألا يسعنا أنه

لا يفسد الودّ قضية؟ قال: نعم والله، لا يفسد الودّ قضية. ونحن نخالف المحكم الذي جاء من كلام نبيينا -صلى الله عليه وسلم-: **وكونوا عباد الله إخواناً**.

فانظر إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- والله جلّ وعلا يصفه ويصف صحابة رسول الله بهذا، قال الله تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)** [الفتح: 29]، هذه السمة، فإن لم تجد الرحمة بيننا فاعلم أننا لا نسير على الدرب الصحيح. إن وجدت الشقاق، إن وجدت الترامي، إن وجدت التبديع على أقل شيء أو التفسيق أو التكفير في أقل غلطة ممكن يقع فيها الإنسان فاعلم أننا لا نسير على الدرب الصحيح. لأن الله قد وصف هذا الوصف الدقيق في الكتاب: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ)** [الفتح: 29]. فوسمهم الله جلّ في علاه وزكاهم بأنهم من الصالحاء، بأنهم من الأتقياء، رحمة بينهم، رقة القلوب لين القلب، ثم بعد ذلك الصيام والقيام والصدقة والجود والكرم، لا تجتمع في أحدٍ إلا أحبه الله جلّ في علاه، لذلك مدحهم الله في كتابه فأثنى عليهم بمثل هذه الآيات العظيمة.

أيضاً فإن الله جلّ في علاه قد مدح خيرية هذه الأمة في كثير من الآيات، قال: **(وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)** [التوبة: 100].. إلى آخر الآيات. فأيضاً سياق الآيات بأسرها للامتتان ولبيان الخيرية ولبيان الثناء على هؤلاء الذين خلقهم الله جلّ في علاه. فالصحاباة الكرام هكذا مدحهم الله في الكتاب ومدحهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في سنته عندما قال: **أصحابي، أصحابي، لا تسبوا أصحابي. والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مدّاً أحدهم ولا نصيفه، هذه لأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-.** ولذلك يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الصحيحين: **النجوم أمانة السماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد. وأنا أمانة لأصحابي، فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون. وأصحابي أمانة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى الأمة ما توعد.** أرأيت جدار الأمان؟ السد المنيع للفتن؟ كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **ما يأتي زمان والذي بعده شر منه إلى يوم الدين، ومع ذلك يقول: وأصحابي أمانة لأمتي، هذا من فضل صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.**

وأيضاً قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **يغزو فتأم من الناس، فيقال لهم: فيكم من سحب رسول الله؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، إذاً الفتح هنا والنصر كان بسبب وجود بعض صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.** وأيضاً يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **خير الناس الإطلاق قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، فخير الناس على الإطلاق هم صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.** وقد قال في بعض الروايات التي يتسمح في أسانيدنا وأمرهم بحب أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من أحبهم فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحبه الله جلّ في علاه. ومن كره أصحابي فقد كرهني، ومن**

كرهني فقد كرهه الله جلّ في علاه. فأوشك الله أن يأخذه بعذاب. وإن كان كما قلنا إنه يتسامح في بعض الأحاديث التي ترد في هذا الباب من باب السير، لأن العلماء يشددون في الأحكام لا في السير. لكن أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد وردت الأدلة الدامغة في الكتاب والسنة على فضل صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

ثم المصنف صدر الباب بالقول على تفضيل الشيخين ووزير رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، على تفضيل أبي بكرٍ وتفضيل عمر -رضي الله عنهم وأرضاهم-. أبو بكر خير الأمة بعد نبيها بالإجماع، لا خلاف في ذلك بحال من الأحوال. هؤلاء الروافض الخبيثاء الذين يقدمون عليّ على أبي بكرٍ، عليّ نفسه يرد عليهم في ذلك عندما قام خطيباً في الكوفة فقال: أيها الناس أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر. ثم قال -رضي الله عنه وأرضاه-: فمن قدمني على أبي بكرٍ أو على عمر جلدته حدّ المفترى (يعني الكذاب)، فهنا أبو بكر باتفاق وبإجماع هو أفضل الأمة على الإطلاق.

في سقيفة بني ساعدة لما قام أبو عبيد بن الجراح قال له: مد يدك يا عمر نبايعك، قال: لو قالها غيرك يا أبا عبيدة! أتقدم الناس وفيهم مثل أبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-؟ لأن أتقدم فأضرب بالسيف (تقطع الرقبة) خيرٌ لي من أن أتقدم قوماً فيهم أبو بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-. أبو بكر قد مدحه الله جلّ وعلا خاصةً في كتابه بآيات عظام، تشييب لها الرؤوس، والسنة طافحة بمدح أبي بكرٍ وفضل أبي بكرٍ. نجتزئ منها بعض الآيات التي تبين لنا فضل هؤلاء الأخيار الأبرار، هذا الوزير الذي ثبت الله به الدين كما قال أسحاق بن راهويه: إن الله ثبت هذه الملة بأبي بكرٍ في الفتنة (في الردة) وبأحمد بن حنبل في المحنة (محنة خلق القرآن).

يقول الله جلّ في علاه مادحاً لأبي بكرٍ: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) [النور: 22]، قال المفسرون باتفاق: المقصود في هذه الآية هو أبو بكر الصديق. هنيئاً لك يا أبا بكر، الله الجبار مكون الكون خالق السماوات العلا والأراضين هو الذي يقول عنك أنت، يخاطبك أنت بالجمع ("أولو" خطاب للجمع) دلالة على التفخيم والتعظيم والتوقير والتبجيل. الجبار هو الذي يوقّر أبا بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-، هذه دلالة واضحة جداً على مكانة أبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-. (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ) وهنا وسمه بالفضل، وهو صاحب الفضل، والفضل كل الفضل لأبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-. بل النبي المختار -صلى الله عليه وسلم- قد قال: ما من أحدٍ له منّة علينا إلا أبا بكرٍ -رضي الله عنه-. فقال: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) [النور: 22] إلى آخر الآيات، الشاهد أنه قال: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ) خاطبه بالجمع لفضله ولمكانته.

أيضاً فقد زكّاه الله جلّ في علاه قلباً وقالباً عندما قال الله جلّ وعلا: (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْنَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى * وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى * وَلَسَوْفَ يَرْضَى) [الليل: 17-21]، التزكية العظيمة هنا لأبي بكرٍ هي

الإخلاص. القلوب لا يعلمها إلا الله جلّ في علاه، فهنا كأن الله يخبرك أن أخلص الأمة بعد الرسول -صلى الله عليه وسلم- لربه هو أبو بكر.

علي بن أبي طالب يقول: **أشهد الله أن هذه الآية ما نزلت إلا في الصديق؛** وهي قول الله جلّ في علاه: **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)** [الزمر:33]. والذي جاء بالصدق هو النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- الصادق المصدق، وصدق به أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه-. ألا لعنة الله على من يسب أبا بكر، ألا لعنة الله على من يتجرأ على عرض أبي بكر وعرض عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما-. فهنا يقول: قول الله جلّ وعلا: **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)** [الزمر:33]، قال: هو أبو بكر.

ولذلك أبو بكر لما نزل النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد هذه الرحلة العظيمة (رحلة الإسراء) وصلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالأنبياء، رجع مهموماً يعلم أن القوم سيكذبونه لا محالة، فجلس في الحجر مغتماً مهموماً. فقابلته أبو جهل فقال له: ما بك؟! وهو يعني يتكلم بسخرية مع النبي -صلى الله عليه وسلم-. ما بك يا ابن أخي؟ قال: كنت البارحة بيت المقدس. فابتسم أبو جهل ولكنه لم يظهر ذلك للنبي -صلى الله عليه وسلم-. ، حيلة. قال إذا القوم لا بد أن يظهر زيف وكذب محمد، حاشاه بأبي هو وأمي. فقال: إذا أتيتك بقومك أخبرهم بما أخبرتني؟ قال: نعم. فذهب أبو جهل يأتي بالناس ثم قابل الصديق فقال له: رأيت صاحبك ماذا يقول؟ قال: ماذا يقول؟ قال: يقول إنه كان البارحة في بيت المقدس.

انظر هنا لتعلم قدر وفضل أبي بكر. لذلك نحن نقول أيها الزملاء في الطلب، أيها الإخوة الأفاضل الأماجد إيانا ثم إيانا من الخرص والتخمين. إيانا ثم إيانا من نقل الشائعات، إيانا ثم إيانا من نقل حتى المذمة من شيخ لشيخ. لا تفسدوا ذات البين، وكونوا أحسن الناس ظناً في الأخيار الأماجد. فانظر كيف تصديق الصديق بالنبي -صلى الله عليه وسلم-.

فيقول قال له: قال البارحة كان في بيت المقدس واليوم هو معنا، ونحن نضرب أكباد الإبل شهراً كاملاً للذهاب والإياب. فقال له أبو بكر: أقال هو ذلك؟! (التثبت هنا)، قال: نعم. قال: لو قال لقد صدق، (انظر الى الفقه) والله إني لأصدقته فيما هو أبعد من ذلك. قال: ما هو؟ قال: خبر السماء. فتقاعس هذا التعيس البئيس أبو جهل ثم ذهب إلى قومه فأتى بهم إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-. فما بين مصفق وبين مصفر، قالوا: أنت كنت البارحة في بيت المقدس؟ قال: نعم، قالوا: صفه لنا. فالله جلّ وعلا جلّاه له فوصفه النبي لهؤلاء الذين يجلسون. قال: حتى غاب عني ناحية المسجد فأظهره الله لي فوصفت لهم بيت المقدس. الغرض المقصود هذه مكانة أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه-، كان

صَدِّيقاً حقاً، كان رجلاً نبيلاً قد اختاره الله جلَّ وعلا وزيراً لنبيه -صلى الله عليه وسلم- ، **(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ)** [الزمر: 33].

أما النبي فحدّث كيف كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يمدح أبا بكر، لو لم يكن من تركية النبي لأبي بكرٍ إلا أنه اختزنه فقط وحده له في الهجرة لكفى من النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- قد أذن للجميع بالهجرة، وكلما جاءه أبو بكر يقول الهجرة، قال له انتظر، يريد معه. ولذلك قد حظي بهذه الآية العظيمة: **(إِنِّي أَتَيْنُ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)** [التوبة: 40]، فهذه التركيبة بلسان الحال لأبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-.

أما بلسان المقال فحدث ثم حدث، النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **هَلَّا تَرَكْتُمْ لِي صَاحِبِي!** الكل أصحابه لكن المفاضلة الآن، معرفة الفضل لأهل الفضل علامة الدين. قال: **هَلَّا تَرَكْتُمْ لِي صَاحِبِي! قَدْ قَالَ صَدَقْتَ وَقُلْتُمْ كَذِبْتَ، سَدُّوا عَنِي كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-**. قال: **مَا مِنْ أَحَدٍ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا بِشَيْءٍ إِلَّا كَأَفْأَنَاهُ بِهَا، إِلَّا هَذَا الصِّدِّيقَ وَاللَّهُ يَكْفِيهِ،** فهذه دلالة واضحة جداً على فضل الصديق من النبي -صلى الله عليه وسلم-.

والذي أظهر جلياً فضل أبي بكر على جميع الصحابة ما حدث بين عمر بن الخطاب وبين أبي بكرٍ عندما اشتد الأمر بينهما، فكان في أبي بكرٍ حدة والحدة ليست سوء خلق، لكن كان حاداً فاشتد على عمر بن الخطاب. ثم تراجع عمر أن يستسلم، فلم يسمح له عمر بن الخطاب. فذهب أبو بكر مغضباً، فتراجع عمر وراجع نفسه وقال مكانة الصديق ثم ذهب إلى بيته فقال: **أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ؟! (هنا أبو بكر؟) قالوا: لا.** فعلم أنه ذهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، فذهب أبو بكر ورفع ثوبه، فلما نظر النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أبي بكرٍ وقد رفع ثوبه وظهرت الركبة. وهذه دلالة يستدل بها الفقهاء على أن الركبة ليست بعورة، المسألة على النبي -صلى الله عليه وسلم- التشريع بالإقرار أو الإنكار، لمّا رأى الركبة لم ينكر، وهذه سنة تقريرية، لأن سنة النبي أصناف ثلاثة.

إذاً أبو بكر خير الناس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا سيما وأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ**، ووقف عند الركبة فلم ينكر. ثم لما دخل عليه أبو بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- اشتكى له من عمر، فلما أتى عمر نظر الناس إلى النبي وإلى وجه النبي ونظر أبو بكر إلى وجه النبي علم الغضب في وجهه. فتمعّر وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- على من؟! تعرفون من الذي أتى بعد أبي بكرٍ؟ تعرفون من عمر؟ تعرفون كلية عمر؟ عمر كله الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لَوْ سَلَكْتُ فَجًّا لَسَلَكْتُ الشَّيْطَانَ فَجًّا غَيْرَ الْفَجِّ الَّذِي سَلَكَتُهُ**، عمر بن الخطاب الذي

قال فيه ابن مسعود: كان إسلامه نصراً والهجرة عزة من عمر بن الخطاب، ما علموا العزة إلا بعد إسلام عمر بن الخطاب. ومع ذلك تمعّر وجه النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما دخل عمر بعد أبي بكر فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: **هَلَّا تَرَكْتُمْ لِي صَاحِبِي!** عمر صاحب من أجلّ الصحابة، ومع ذلك يقول له النبي -صلى الله عليه وسلم-: **هَلَّا تَرَكْتُمْ لِي صَاحِبِي! قَدْ قَالَ صَدَقْتَ وَقُلْتُمْ كَذِبْتَ، سَدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ إِلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ.** لذلك ما روي أن أبا بكر -رضي الله عنه- ما تكلم أحد معه بعد ذلك أو راجعه في أمرٍ بعد ذلك.

ربيعة بن كعب الأسلمي وردت مشادة بين أبي بكر وبينه في سهم خبير، كان مشترك بينهم في نخلة أو في غيرها. فجاءت الحدة من أبي بكر أيضاً، ثم تراجع فقال للرجل اقتص مني. سبه، فقال: اقتص مني، قال: لا. الأنصاري يقول لأبي بكر لا، فقال: اقتص مني وإلا سأستعدينّ عليك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فقال بعض أصحابه من الأنصار: يقول لك ما قال وهو الذي يذهب يستعدي عليك رسول الله والله لنذهبن معك ولنقصن الأمر على رسول الله. كان أفقه منهم الرجل، فقال لهم: كفوا عن ذلك. حتى لا يسمع أبو بكر فيغضب، فيغضب صاحبه لغضبه. من صاحبه؟ النبي -صلى الله عليه وسلم-. مع عمر حصل هذا، قال: فيغضب صاحبه لغضبه، فيغضب الله لغضب نبيه فيهلك صاحبكم. والله ما رأيت أفقه من هذا! فلذلك لما ذهب إلى النبي، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: ما لك وللصديق؟! ما لك ولأبي بكر؟! قال: حدث كذا وكذا فقال لي رد علي فقلت له لا. فقال له: قل يغفر الله لك يا أبا بكر، يغفر الله لك أبا بكر. فبكى أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه-.

ألم يأتكم نبأ السلام الرباني من فوق سبع سماوات إلى النبي وإلى صاحب النبي؟! عندما جاء جبريل وأبو بكر يجلس بجانب النبي -صلى الله عليه وسلم- بثياب رثة، وكان هو الذي رفع علم الجود والكرم والعطاء، أنفق ماله كليةً في سبيل الله. فنظر إليه جبريل، فنظر إلى النبي، فنظر إلى الثياب الرثة. أمرٌ عجيب! أمرٌ جليل! أغنى الأغنياء، أكرم الأكرمين في مكة يلبس هذه الثياب الرثة؟! فقال له جبريل: **قُلْ لِأَبِي بَكْرٍ إِنْ اللَّهَ يَقْرُنُكَ السَّلَامَ وَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ إِنْ اللَّهَ عَنكَ رَاضٍ، فَهَلْ أَنْتَ عَنْ رَبِّكَ رَاضٍ؟** هذا كلام يقال من فوق سبع سماوات، يا للمكانة التي تبوأها أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه-، يا للحظوة التي لأبي بكر عند النبي وعند رب النبي! فقال له: **إِنْ رَبِّكَ عَنكَ رَاضٍ، فَهَلْ أَنْتَ عَنْ رَبِّكَ رَاضٍ؟** فبكى أبو بكر وقال: **وَاللَّهِ إِنِّي عَنْ رَبِّ رَاضٍ، وَاللَّهِ إِنِّي عَنْ رَبِّي رَاضٍ، وَاللَّهِ إِنِّي عَنْ رَبِّي رَاضٍ.**

لا غرو ولا عجب، قد جاء النبي يستنهض الهمم بالصدقة وللنفقة، فجاء أبو بكر بكلية ماله النبي -صلى الله عليه وسلم-. وكان عمر يتسابق مع أبي بكر، يسمع من أبي بكر بفعل الخير فيتسابق فيه **(وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)** [المطففين: 26]. ولذلك نحن

نقول حتى الأقران في طلبه العلم لو تنافسوا على الخيرات دون الحقد والحسد هذا من أعظم الطاعات، ومن أصلح الصالحات ومن أقرب القربات. كان عمر يفعل ذلك، لما سمع النبي -صلى الله عليه وسلم- ابن مسعود وهو يقرأ القرآن، وابن مسعود من أخص الصحابة. فسمعه النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم قال: **سَلِّ، سَلِّ ابن أم عبد تجب**. ولما سأله أبو بكر: ما سألت؟ قال: كنت أسأل الله جلَّ في علاه يقيناً لا يرتد وإيماناً لا ينفد ... إلى آخر الأسئلة التي سأل ربه وهو يقرأ القرآن.

وقال: **من أراد أن يأخذ القرآن غصاً طرياً فليأخذه من ابن أم عبد**. فذهب عمر سريعاً يبشر ابن مسعود لأن هذه من فعل الخيرات، أفضل الطاعات أن تدخل السرور على أخيك المسلم، فذهب يفعل ذلك فوجد ابن أبا بكر قد سبقه. ولما جاء في الصدقة فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمر: ما تركت لأهلك؟ قال: تركت لهم شطر المال، فأثنى عليه ثناءً حسناً. فلما جاء أبو بكر فأعطى كل كلية المال فقال له: ما تركت لأهلك؟ قال: تركت لهم الله ورسوله. عمر ابن الخطاب حينها أذعن، قال: والله لا أسابقك بعد اليوم. أنت لا تسبق، هذا قدرٌ محتوم. أبو بكر خير الناس بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

أما بالنسبة لخلافة أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه، ومعروف أن تنصيب الخلافة وأن ولي الأمر يكون ولياً للأمر بأمور ثلاثة لا رابع لها. الأمور الثلاثة: نُصِّب خليفة إما بالتنصيب (بالاستخلاف) وإما بإجماع أهل الحل والعقد وإما بالغلبة. بعض العلماء قالوا إن خلافة أبي بكر جاءت بالنص، وكان النص من النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما قال: **انتوني بكتابٍ أكتب لكم**. وكان يقصد بالكتابة كتابة أبي بكر لأنه في السياق قال: **لا، يأبى الله ويأبى رسوله ويأبى المؤمنون إلا أبا بكر**، وفي السياق الآخر قال: **لا يقول قائل أنا أحق بها**. فكل هذه أدلة جعلت بعض العلماء يقولون إن النص على استخلاف أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه-، لا للذين يزعمون زوراً بأن المسألة كانت وصية لعلي -رضي الله عنه وأرضاه-.

وبعضهم قال هو بإجماع أهل الحل والعقد، لا سيما القياس لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- استخلفه في الصلاة. لما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: **مروا أبا بكر فليصل بالناس**. قالت عائشة: **أبو بكر رجلٌ أسيف**، وهي تضمّر في نفسها أنه من تقدم مكان النبي -صلى الله عليه وسلم- فإن الناس تستوحش من ذلك وتتشاءم بذلك، فأرادت أن تتأى بأبيها عن مثل هذا الموقف، فقالت: مروا أبا بكر فليصل بالناس. عائشة زكية تقية نقية -رضي الله عنها وأرضاها- فذهبت إلى الأخرى حفصة، وقالت لها: قل لي له أبو بكر رجلٌ أسيف، مروا عمر فليصل بالناس. فذهبت حفصة فقالت: أبو بكر أسيف، فمروا عمر يصلي بالناس. فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس، إنكن صواحب يوسف.

معنى ذلك الكلام أنهم يظهرن خلاف ما يضمنن، وحقاً عائشة كانت تضمّر أن الناس يتشاءمون بأي أحدٍ يتقدم مكان النبي -صلى الله عليه وسلم-، لكنها لما علّلت علّلت بأنه رجل أسيف. فلذلك قال: **إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكرٍ فيصلّ بالناس**. وهي التي احتج بها عمر بن الخطاب على أحقية أبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه بالخلافة-، قال: **رضيه النبي -صلى الله عليه وسلم- لديننا أفلا نرضاه لدينانا؟** وقالوا بإجماع اهل الحل العقد استخلف أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه-.

من فضائل أبو بكر في الخلافة وإن كانت سنوات قليلة، قد كان خليفة سنتين. فإن علمائنا يقولون ما فعله في السنتين هو الذي أسس للدولة الإسلامية وللفتوحات العظيمة، فكل فتوحات عمر بن الخطاب مرتكزة على ما فعله أبو بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه-، لأن الصديق قد أنقذ الأمة من ويلات الردة. ولذلك قال أبو هريرة: **مات رسول الله، وكفر من كفر من العرب. واستخلف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا بقايا من أهل مكة وبقياء من أهل المدينة**. فبسياف الحق قد ردع الصديق -رضي الله عنه وأرضاه- حرب الردة، لذلك قال إسحاق بن راهويه: **نصر الله هذه الملة بأبي بكرٍ يوم الردة**. فقد قضى على الردة، لذلك استتم الأمر واستتب لعمر بن الخطاب فهياً نفسه بعد ذلك للفتوحات الخارجية. هذا فضل أبي بكرٍ -رضي الله عنه وأرضاه- الوزير الأول. قال: قدّم وزيراه، أي أبو بكر يقدم على الناس وهذا بالإجماع. بل علي بن أبي طالب خطب بالكوفة وقدم أبا بكر عليه.

ثم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-، إيه يا عمر، قد وافقت ربك بغير ما موضع، بل قد خالفت النبي ونزل القرآن يوافق عمر ولا يوافق النبي -صلى الله عليه وسلم-. عمر ابن الخطاب خير الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر باتفاق أهل السنة والجماعة، وقد قالها صريحاً علي بن أبي طالب: **من قدمني على عمر جلدته جلد حد المقتري، أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-**.

عمر بن الخطاب (يتسامح في بعض الأسانيد) لما قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: ماذا تفعل مع ملائكة السؤال في القبر؟ ووصف الشعر والعين والشدة واللأواء التي يلقاها الميت في القبر. فقال له عمر بن الخطاب: أهم خلقٌ من خلق الله؟ قال: نعم، قال: أكفيكم إياهم. انظر قوة عمر -رضي الله عنه وأرضاه-، يعني هو سيرد على الملائكة ويقول لهم من ربكم؟ ماذا تقولون في هذا النبي الذي بعث فيه؟ يقول: أنا أكفيكم إياهم. هذه من قوة الإيمان، عمر كان قوياً حقاً في الحق. الحديث هذا ضعيف ولذلك أنا صدرت الباب "يتسامح".

أما الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان جالساً والنساء يضربن بالدف، فمر عمر فسمعت المرأة صوت عمر، فأخذت الدف فجعلته تحتها. المرأة تقول ما زلت أهاب عمر مما رأيت من هيبة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، في هذا الباب المرأة هابت عمر ابن الخطاب فوضعت الدف تحتها. فقال (في هذه الرواية): يا عدوات أنفسكن! النبي أحق أن تهينه، فقالت: لا، رسول الله رفيقٌ رقيق، وأنت غليظ. هذه المسألة فيها ما فيها، وننظر كيف الهيبة تكون للنبي -صلى الله عليه وسلم- وهنا يقال (في بعض الروايات): أما أنت فأغلظ وأفظ. طبعاً هذه أحدثت إشكالاً عند بعض العلماء، لأن "أفعل التفضيل" معناها الاشتراك. لكن هو التأويل الصحيح في ذلك، نعم في النبي غلظة يضعها في موضعها. متى تكون؟ شديداً على أهل الكفر في القتال، قال: **إذا حمى الوطيس كنا نحتمي برسول الله -صلى الله عليه وسلم-**. هذه الغلظة التي في النبي -صلى الله عليه وسلم- والقوة التي في النبي -صلى الله عليه وسلم- كانت في أهل الكفر وأهل الحيدة وأهل النكران والعصيان.

أما عمر بن الخطاب شدته كانت على الجميع، لما دخلت هابت المرأة قالت: إنك فظ غليظ. بل هم عاتبوا أبا بكر في استخلاف عمر بذلك، قالوا: كيف تجيب ربك عندما يسألك الله جلّ في علاه كيف وضعت علينا هذا الفظ الغليظ؟! قال: سأجيب وأقول استخلفت عليهم أتقاهم وأورعهم ... إلى آخر ما قال أبو بكر -رضي الله عنه وأرضاه-. فعمر بن الخطاب له ماله من الهيبة والمكانة، كانت النساء من أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- يضحكن مع رسول الله في بيت رسول الله، فلما مر عمر وسمع قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ارحلن. قالت: فما زلت أهاب عمر مما رأيت من هيبة النبي -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-.

لما كانت الحبشة تلعب، والنبي يرى ويجعل عائشة ترى. لما دخل عمر حصبهم فهربوا جميعاً من أمام عمر، فقال: خليهم يا عمر، ثم قال: إن اليوم عيد. عمر بن الخطاب قد قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إيه يا عمر، لو سلكت فجاً لسلك الشيطان فجاً غير الفج الذي سلكت**، لمكانة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-. وقد قال فيه النبي قولاً من ذهب، قال: **لو كان نبيّ بعدي لكان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-.**

وهذا عمر بن الخطاب ناله ما ناله من هؤلاء الخبثاء، الذين يقولون أذكار الصباح وأذكار المساء اللهم العن صنمي قريش. يقصدون بذلك أبا بكر (اللهم العن هؤلاء، اللهم العنهم، اللهم لا تجعل لهم راية بحال من الأحوال يا رب العالمين، اللهم انتصر لأهل الشام على هؤلاء الروافض الخبثاء. اللهم انتصر لأهل الشام، اللهم انتصر لأهل الشام على هؤلاء الروافض الخبثاء). يلعنون أبا بكر وعمر وهما الخيران، وهما وزيرا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فخلافة عمر كانت بالنص من أبي بكر -رضي الله

عنه وأرضاه-، وكانت الفتوحات كل الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه-.

ثم قال المصنف: **وَرِيرَاهُ قَدِمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الْأَرْجَحُ**. هنا لفظة فقهية، قال: الأرجح، دلالة على الالتفات إلى الخلاف، أن هناك خلاف. الحق بأن أبا حنيفة وبعض العلماء في آخر القرون الخيرية كانوا يقدمون علي على عثمان، يرون بأن علي بن أبي طالب أفضل من عثمان ابن عفان. لكن استقر القول بعد هذه القرون الثلاثة، استقر الأمر على تقديم عثمان على علي، وأن ترتيب الفضل كترتيب الخلافة. لا سيما وما صح عن ابن عمر في الصحيح أنه كان يقول: **كنا نفضل أبا بكر ولا نعدل به أحداً، ثم عمر ثم عثمان ثم نكف عن ذلك ونمسك**. طبعاً "نمسك" ليست انتقاصاً من قدر علي، لكن ما عن لهم أن يتكلموا من الأفضل بعد عثمان، لكن كان الكلام الدائر بين الصحابة **كنا لا نعدل أبا بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان**.

لكن علي لا يرى تفضيل عثمان عليه أيضاً، لأنه قد ورد بأن محمد بن الحنفية قال لعلي ابن أبي طالب: من أفضل هذه الأمة؟ قال: أبو بكر. قال: ثم من؟ قال: ثم عمر. قال: ثم أنت يا أبي، قال: خشيت أن يقدم عثمان على نفسه. قال: أنا واحد من الناس. لكن لما خطب على منبر الكوفة قال: **أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، ثم الله أعلم بعد ذلك**، فلم يفضل عثمان عليه. لكن حقاً قد أجمعت الأمة بعد ذلك واستقر الأمر على أن الترتيب الفضل كترتيب الخلافة، بأن عثمان أفضل من علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-.

عثمان بن عفان له ما له من الفضل، يكفيه فخراً بأن يد النبي صارت هي يد عثمان عندبيعة الرضوان لأنه قد قال: **هذه يد عثمان**، وبائع يده الأخرى مبايعةبيعة الرضوان التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يلج النار من بايعبيعة الرضوان**. عثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه- أسلم على يد أبي بكر، انظر فضل أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه- عثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه- هو أكبرهم سناً ولكنه من الفضل والخير بمكان، جواداً كريماً وكان فاضلاً، لو لم تكن من مناقبه إلا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- زوجه ابنته ثم زوجه ابنته لكفى، لذلك يلقب بذي النورين. زوجه ابنته فلما ماتت فزوجه البنت الأخرى، وبعض الروايات جاءت (يتسامح فيها) قال: لو هناك أخرى لزوجتك إياها، دلالة على فضل عثمان عند النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن فضل عثمان، أن النبي لما دخل عليه أبو بكر وكان قد جلس وجلسه يظهر فيها فخذه، فلم يتحرك لما دخل أبو بكر، رد عليه السلام على نفس الجلسة، ثم دخل عمر فلم يتحرك على نفس الجلسة، ثم لما دخل عثمان هياً نفسه وغطى فخذه. فاندعشت عائشة، لأنها فقيهة وتعلم أن ترتيب الفضل بأن أبو بكر يقدم ولم يفعل ذلك. فقالت: يا

رسول الله هالني ما رأيت! دخل عليك ابو بكر فلم تهش ولم تبش ولم تتحرك من مكانك، ودخل عمر (وعمر له هيبه) فلم تهش ولم تبش ولم تتحرك من مكانك، ثم دخل عثمان ففعلت ما فعلت. فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟** فهذا تفضيل لعثمان.

فعثمان بن عفان له المكانة العلية السامية عند ربنا جلّ في علاه وعند نبينا، لما استنهض النبي في جيش العسرة النفقة جاء عثمان بن عفان بالذهب والفضة في حجر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأخذ يقلب المال ثم قال كلمة ليت أحداً يشتم رائحة مثل هذه الكلمة. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم.** وعندما جاء الخوارج والتفوا حول بيت عثمان بن عفان، كان ينادي عليهم بعدما حاصروه ومنعوه الماء: جزاءً وفاقاً وأجرأً طباقاً أيها الناس. هو الذي اعطاكم ومنحكم الماء للأنصار والمهاجرين عندما اشترى بئر رومة، وتمنعوه أنتم من الماء، يا للحسرة. لذلك أنس يقول: **قتلوه والله ظلماً، زعموا أنها إقامة للحد.** وهكذا فكر الخوارج، أعداء أهل الدين، هم يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الكفران.

فهم زعموا بعض المآخذ على عثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه-، فزعموا أموراً على عثمان بن عفان ومنعوه الماء حتى قال لهم من الذي اشترى بئر رومة، الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من يشتري بئر رومة وله مثله عند ربه جلّ في علاه**، فاشتراه عثمان وهم يقرون بذلك ويمنعون عنه الماء -رضي الله عنه وأرضاه-. لذلك أنس بن مالك يقول: **زعموا أن هذا للدين، وأن هذا نصرة للدين وتحكيم شرع الله جلّ في علاه.** قال حذيفة: **ولو كان حقاً لحلبوا بعده لبناً ولكن والله قد حلبوا بعده دماً عبيطاً، لم يتوقف إلى يوم الناس هذا.** الخوارج حلبوا بعد مقتل عثمان دماً عبيطاً لم يتوقف في هذا إلى الباب بحال من الأحوال.

عثمان بن عفان من فضله أن أبا بكر -رضي الله عنه وأرضاه- لما دخل عليه عثمان في مرض موته، وهم يقولون له نأتيك بالطبيب، قال: الطبيب رآني، قالوا: ماذا قال لك؟ قال: قال لي (إني فعالٌ لما أريد). فلما قال ذلك أغمي عليه، فكتب عثمان، فقال: ما كتبت؟! كتبت نفسك؟! قال: لا، قال: **والله لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها.** هذا تفضيل من أبي بكر، ثم قال: كتبت عمر، قال: نعم أكتب عمر. لكن الشاهد هنا أنه قال: **لو كتبت نفسك لكنت أهلاً لها.**

فعثمان بن عفان -رضي الله عنه وأرضاه- هو ثالث الخلفاء الراشدين، وقد فتح الله على يديه الأمصار. ومن أهم الفضائل التي قد أتى بها هي جمع القرآن على مصحف واحد، القراءات بأسرها. كان المرجع هي قراءة قریش، يعني لكنة قریش هي الحاكمة في هذا الباب. عثمان ابن عفان قُتلَ مظلوماً ثم استخلف بعد ذلك علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، ببيع له. ومعروف بعدما قتل عثمان بن عفان جاء الناس

وأجبروا علي بن أبي طالب على المبايعة، والحق أن من قتلة عثمان هم الذين بايعوا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، وبايعه طلحة والزبير وأهل الكوفة، وكان الخليفة الراشد الرابع. لأن النبي -صلى الله عليه وسلم قال: **الخلافة بعدي ثلاثون سنة، على منهاج النبوة**. ثلاثون سنة: بقي أبو بكر خليفة سنتين، وعمر عشر سنوات، وعثمان اثنتا عشرة سنة، وعلي بن أبي طالب ست سنوات إلا ستة أشهر. ولذلك قالوا الحسن من الخلفاء الراشدين، فبقية الثلاثين كانت ستة أشهر للحسن.

علي بن أبي طالب هو أكثر الصحابة من جاء في مناقبه الأحاديث والآثار عن النبي المختار -صلى الله عليه وسلم-، يقول: **أنت مني بمنزلة هارون من موسى**. وقال علي بن أبي طالب: **عهد إلي النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق**. علي بن أبي طالب قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، يجعل الله الفتح على يديه**، حتى عمر بن الخطاب قال: **والله ما اشرأبت عنقي للراية أو أكون مقدماً على الناس إلا في هذا اليوم**، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بالتتصيص قال: **يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**.

وهو ختن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو الذي تزوج فاطمة. تعلمون إخوتي الكرام أن أبا بكر تقدم لفاطمة فرفض النبي -صلى الله عليه وسلم-، وتقدم عمر لفاطمة فرفض النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال: **إن ربي أمرني أن أزوجه لعلي بن أبي طالب**، هذا تفضيل لعلي ابن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه- علي بن أبي طالب له ما له من الفضل، حتى أن عائشة تعرف فضل علي بن أبي طالب فقالت: وما كان بيني وبينه إلا ما كان بين الأحماء بعضهم لبعض. لكن علي بن أبي طالب كما قلنا هو الخليفة الراشد الرابع، وهو (***) النبي -صلى الله عليه وسلم- وابن عم النبي -صلى الله عليه وسلم-، أشجع الشجعان بسيفه البتار قد نصر الله به راية الإسلام، لا سيما وقد دخل وتمدح بنفسه على ذلك. وكان لما دخل يداعب فاطمة عندما وجد السواك في فمها قال:

حظيت بثغرها يا عود الأراك *** أما خفت يا عود الأراك أراك؟

لو كنت من أهل القتال قتلتك *** ما نجا مني يا سواك سواك

هذا من كلام علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه- يتمدح بقوته وشجاعته، هو الذي قال: **أنا الذي سمتني أمي حيدرة**، فهو كان شجاعاً عظيماً فحلاً فقيهاً عالماً. وقد نشر عن عمر بن الخطاب أنه يستعيز بالله من قضية ولا أبا الحسن لها، دلالة على فقه علي بن أبي طالب.

وعلي بن أبي طالب كان أعلم بالتفسير من ابن عباس، وكان فقيهاً مدققاً محققاً، وكان فصيحاً بليغاً. عثمان لما قام مستخلفاً، قام قال: **لسنا من أهل الخطابة ويأتيكم البيان بعد**

ذلك، أما علي بن أبي طالب قام فأعطى خطبة طويلة مفصلة فيها ما فيها من البلاغة والفصاحة العظيمة لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-. هو ابن عم رسول، لا غرو ولا عجب.

هؤلاء الأخيار الأفاضل رتبهم هذا المصنف على هذا الترتيب، قال:

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحٌ،

هذا فعل علي بن أبي طالب هو الذي أنجح وهو الذي رفع الراية وهو الذي قد نصر الله الأمة على يديه في حصار خيبر. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحب الله ورسوله.** علي (كرّم الله وجهه) عندما تكثر منها هذا من قول الروافض، كثيراً ما يقولون ذلك، بل منهم من يقول عليه الصلاة والسلام، وهذا لا يصح في حال من الأحوال. لما يتكلم على آل البيت يقول عليه السلام، ليس هذا من فعل أهل السنة والجماعة. علي بن أبي طالب لم يخص ب"كرّم الله وجهه"؟! علي بن أبي طالب أيضاً يقال له رضي الله عنه وأرضاه. وأيضاً يلحون أن الأحق بالإمامة هو علي، وهذا من فعل اهل البدع.

الحق أن نقول بأن العشرة هم أفضل الناس على الإطلاق بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدمهم المصنف قال:

سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ ... وَعَامِرٌ فَهْرٌ وَالزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ.

سعيد هو سعيد بن زيد، وسعد هو سعد بن أبي وقاص. سعيد بن زيد وهو كان من النبلاء من الرفعاء، كان من الأخيار قد بشره النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة. وهؤلاء العشرة أغلبيهم كانوا في أحد على جبل أحد فاهتز الجبل، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق شهيد.** "شهيد" هذا نكرة، والشهيد يشمل كل من وقف من هؤلاء الشهداء.

فسعيد من العشرة الذين بشرهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة، واعتقاد أهل السنة والجماعة أننا لا نجزم لأحدٍ بجنة أو بنار إلا ما جاء النص بذلك. لذلك نحن نجزم بأن العشرة في الجنة، ونجزم بأحد الصحابة الذين بشرهم بعد ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجنة كبلال، عكاشة بن محصن لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- بشره بالجنة، وأيضاً أم سليم عندما قال لها: **أنتِ منهم،** فهذه دلالة واضحة جداً على التبشير.

وسعد هو سعد بن أبي وقاص، هو الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **هذا خالي، ليريني أحدكم من خاله.** وأيضاً النبي -صلى الله عليه وسلم- ما تفدى أحد إلا بسعد، عندما قال: **ارم سعد، ارم فداك أبي وأمي،** هذه فضيلة عظيمة لسعد بن أبي وقاص. ومن فضل سعد بن أبي وقاص، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن تنزل

هذه الآية العظيمة (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة:67]، قال: من يكون حارساً لرسول الله؟ فسمع قعقة السيف، فقال: من؟ قال: سعد بن أبي وقاص، جئت لأحمي رسول الله، جئت حارساً لرسول الله. فنزلت الآيات العظيمة، قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [المائدة:67]، فقال: ارحل فقد عصمني ربي من الناس. وكان الأمر في التصديق عندما اختلط الرجل السيف فقال: من يعصمك مني؟ قال: الله. فوقع السيف من السيف من يده، فقال: أنت من يعصمك مني؟ حتى رفق به النبي -صلى الله عليه وسلم- فأسلم الرجل.

قال: وَأَبْنُ عَوْفٍ، هو عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه وأرضاه-. كان من أثرياء الصحابة، وهو الذي أذى النبي -صلى الله عليه وسلم- بينه وبين سعد بن الربيع، وهذا أيضاً أسلم على يد أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه-. فقال عبد الرحمن بن عوف بعدما أذى بينه وبين سعد بن الربيع: انظر.

وهذا كلامٌ في الأحلام، الآن نحن ينظر بعضنا لبعض ولا يسلم بعضنا لبعض. نحن نتناحر ونتشاجر، والآن نتقاتل ونمنع الناس من الخير. يعني يكون رجل ضئيل العلم لكن حتى الثاني الذي جاء الكثير العلم مخالف، يقول له لا تسمع له. نمنعه من أن يسمع له. أكان مبتدعاً؟ أكان شريراً؟ أكان شيطاناً؟ لما تفعل ذلك؟ هذه نعرات يمكن أن تضيع بها أنت عند ربك جلّ في علاه، إن حرمت الطالب من الطالب تحرم أنت من التوفيق. جزاءً وفاقاً واجراً طباقاً. انظر إلى هذا الإيثار المذهل، عندما تعرفون العرب ونخوة العرب، والصعادية عندهم هذه النخوة والشهامة والمروة الحمد لله أنها باقية، هي ما ذهبت لكن ذهب بعضها لكن هي باقية بفضل الله ما زالت النخوة والشهامة والنورا في أهل الصعيد ما زالت بفضل الله، نحن الصعادية فينا هذه الشهامة والرجولة لو راحت نموت.

العرب كذلك، عندهم نخوة أقوى مما تكون. كان سعد بن عبادة كان من الغيرة كان يتحاشى الصحابة من الأنصار، كان يتحاشى أحدهم إذا طلق سعد امرأة أنه يروح يتزوجها. ما تزوجها، وإلا قتله سعد من شدة الغيرة. ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قال له ابن أمية: لو وجد أحدٌ رجلاً على امرأته ماذا يفعل؟ قال: يأتي بأربعة شهود بالبينة أو الحد في الظهر، قال: إن تكلم أقمت عليه الحد، وإن سكنت سكنت على ضيم على ما يرى. امرأته عليها رجل كيف يصبر؟ فقال: يا هلال البينة أو حد في ظهره. فسعد بن عبادة يتصور الموقف، قال: يا رسول الله أرى لكع بن لكع (يعني لثيم بن لثيم) على امرأتي وانتظر أتى بأربعة، والذي نفسي بيده لأعلوته بالسيف. فاندھش الصحابة كيف يرد صاحب الجليل قول النبي وهو يقول: أنت بالأربعة شهود، البينة أو حدٌ في ظهره؟! فتبسم النبي مقرأً خلافاً للجماهير، وهذا مذهب الشافعي والحنابلة. قول عند

الحنابلة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- مقرأ لا منكرأ، فضحك فقال: **أتعجبون من غيرة سعد! والذي نفسي بيده أنا أغير منه، والله أغير منه.** والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **لا يدخل الجنة ديوث.** فلذلك الغيرة من الدين.

انظر إلى الأخوة في الله، قام سعد بن الربيع فأتى بامرأته، وأتى بالأخرى. فقال له: بيتي من دورين لك الأعلى ولي الأسفل، وانظر إلى هاتين المرأتين فمن أعجبك منهما طلقتهما وتزوجها أنت. ما الذي غيّر هذه الغيرة العظيمة في القلوب إلى هذا الحب والود والعطف؟ **(وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)** [الأنفال:63]. انظر والله هذا هو مقصود الإسلام الأعظم، مقصود الشريعة الأعظم. لِمَ نتناحر؟ لِمَ نتنافر؟ لِمَ هذه المشاحنات بيننا؟ لابد من نشر الوئام والأخوة في الله، لكن كما قلت على ضابط كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة. فعبد الرحمن بن عوف قال بالعفة العظيمة: لا، بارك الله لك في أهلك وفي مالك، دلني على السوق. حتى صار من أثري أثرياء الصحابة.

ورد حديث وهو لم يصح (والحمد لله أنه لم يصح)، بأن عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- سمعت صوتاً فقالت: ما هذه الجلبة؟ فقالوا: هذه غير لعبد الرحمن بن عوف. قالت: نعم، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: يدخل ابن عوف الجنة حبواً. النعائم كثيرة فلا بد أن يشكر، فيكى بكاءً عظيماً وكان صائماً فترك الطعام وتصدق بكلية البعير التي جاءت تجارةً لله. لكن هذا حديث لم يصح، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- شهد له بالجنة. هذا شذوذ ومخالف لصريح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**، ولم يذكر حبواً.

عبد الرحمن بن عوف كان خير مرشد لعمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاها-، لما قام لما قام عمر بن الخطاب (وهذا الإسناد فيه كلام وإن حسنه الألباني -رحمة الله عليه-، مجدد من مجددي هذه الأمة. لكن هذا الحديث الإسناد فيه كلام حقاً وفيه ضعف). أنه قام خطيباً في الناس ثم نظر فتوقف، فبعدما توقف فصرخ فقال: الجبل، الجبل يا سارية. أين سارية وأنت أصلاً في المدينة والآخر بينك وبينه الفياقي والقفار؟! وحتى لو قلت ذلك وحتى لو رأيت كرامةً للأولياء؟! لأن رجل في وعكة عندما تصرخ وتخرج الأحشاء لن يصل صوتك إليه؟! لكنه قال: الجبل، الجبل يا سارية، فعبد الرحمن بن عوف وقف متعجباً ينظر إلى الناس. فلما نزل عمر قال: أراك تتكلم في كلام لا يمس للخطبة بشيء! أترى الناس ينظرون لك نظرة المجنون؟! فقال: والله يا عبد الرحمن وجدت أن سارية في مأزقٍ شديد والنجاة النجاة عندما يحتمي بالجبل، فصرخت فقلت الجبل الجبل يا سارية.

جاء سارية بعد شهرٍ ينبأ عمر بن الخطاب ويبشره بالنصر، قال: وما انتصرنا إلا بعدما سمعنا الصوت يقول: الجبل، الجبل يا سارية. الآن أنت قف مع هذا التحسين وهذا من

أعظم المواقف التي تعرف بها وتتعبد لله بحسن الظن بالله. عمر بن الخطاب يحسن الظن بربه بأن هذا الصوت سيصل إلى سارية، وقد وصل إلى سارية. أخذه الله، قل عبر الأثير، قل كما قلت لكنه وصل إلى سارية، وقد قال ذلك.

لكن عبد الرحمن كان دائماً معضد لعمر بن الخطاب، لما جاء أبو عبيدة بن الجراح وكان يجلس جداً عمر بن الخطاب، وهم على مشارف الشام سمعوا بالطاعون فتوقف الناس، وبعض الناس قالوا ندخل كيف نفر من قدر الله إذا قدر الله علينا شيء ننزل على هذا القدر. المهم أن هذا جاء عن أبي عبيدة وعن بعض الأنصار، قال عمر بن الخطاب: لا، إني قافل إلى المدينة. فقال: أنفر من قدر الله؟ فقال مجتهداً (وهذا علمٌ عظيم في القدر): نعم، أفر من قدر الله إلى قدر الله. اسمها مدافعة الأقدار هذه، وكما قال عبد القادر الجيلالي: رأيت الناس يأتون إلى أبواب القدر فيتوقفون، وفتحت لي روزنة (بوابة)، فدفعت أقدار الحق بالحق. فمدافعة الأقدار بابٌ عظيم من أبواب القدر، فقال عمر متفكهاً: نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله. فجاء عبد الرحمن معضداً له فقال له: نعم، سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: إذا سمعتم بالطاعون في بلدةٍ أو في قريةٍ فلا تدخلوها ولا تخرجوا منها.

حائية ابن أبي داود

الدرس الثامن: تابع فضل الصحابة رضوان الله عليهم

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران:110]، هذا تفضيل لكل الأمة، هذا تفضيل لأمة محمد على سائر الأمم. لكن يدخل الصحابة الكرام دخولاً أولياً في هذه الآية العظيمة (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) [آل عمران:110].

المصنف ذكر العشرة المبشرين بالجنة، وإجمالاً أفضل الصحابة على الإطلاق هم المهاجرون الأولون مع الأنصار إجمالاً، يقدّم عليهم العشرة. ثم مع ذلك أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم باقي المهاجرين والأنصار. لكن المهاجرين أفضل من الأنصار، يسبقونهم. لا سيما وأن أبا بكر قد استدل على ذلك بأن الله سمّاهم (سمّى الأنصار) في كتابه بأنه لقبهم بالمفلحين (فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [الحشر:9]، وسمّى ولقب المهاجرين بأنهم (أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [الحشر:8]. ولذلك قال أبو بكر (هم نزلوا على كلامه): سمّاكم الله في كتابه المفلحين، وسمّانا الصادقين. ثم أمركم باتباع الصادقين، أن تكونوا معهم. قد قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة:119]، فنزلوا على كلام أبي بكر.

عندما اختلفت الأقوال على سعد بن عباد، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فذكر الثناء على الأنصار وفضل الأنصار وحب الأنصار من الإيمان، ثم بعد ذلك ذكر أبو بكر بأن الخلافة تكون في قريش وأنه لا يتقدمهم أحد بحال من الأحوال. حتى قال: وأرضى لكم أحد الرجلين ابسط يدك يا عمر أو تكلم على أبي عبيدة بن الجراح. فقال أبو عبيدة: ابسط يدك يا عمر، فقال: ليتني أقدم على قوم أضرب بالسيف فيهم أبو بكر، فقال: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعه، والشاهد أنه قدم المهاجرين على الأنصار.

أما أهل بدر فقد قال فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في قصة حاطب المشهورة: **لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد غفر الله لكم**. حاطب كان عيناً لأهل مكة على النبي -صلى الله عليه وسلم-، ومع ذلك قال لعمر لما قال: دعني اضرب عنق هذا المنافق، قال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم**.

بعد ابن عوف ذكر طلحة، طلحة هو الملقب بطلحة الخير. طلحة الخير هذا من المباركين من الصحابة، وهو أيضاً في ميزان أبي بكر -رضي الله عنه وأرضاه-. طلحة الخير له مواقف عظيمة ونبيلة في الإسلام، فقد نصر الله بسيفه الإسلام، وقد حمى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندما كان في غزوة أحد والرماة قد عصوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. فكانت الدائرة على المسلمين والدولة لأهل الكفر، فأحاطوا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- كإحاطة السوار بالمعصم، وكان على الجبل فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من يرد القوم عنا وهو معي في الجنة**. فكان الزبير وكان طلحة ورسول الله وسعد وأيضاً عشرة من الأنصار، فقام طلحة يحمي رسول الله، فقال له: اجلس، فقام رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ثم قام الثاني من الأنصار. يقوم طلحة في كل مرة ويجلسه النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى قتلوا جميعاً، فقتلوا عن بكرة أبيهم، قالوا ما أنصفنا إخواننا. فالغرض المقصود أنهم قتلوا وإن شاء الله هم مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجنة كما وعدهم. ثم قام طلحة ينافح عن رسول الله حتى كسر السيف في يده، فألقى السيف وأخذ يدفع سيوف الكفار عن رسول الله بيده حتى شلت، فنظر إليه النبي -صلى الله عليه وسلم- معجباً. فجاء أبو بكر وعمر فقال: **دونكم صاحبكم فقد أوجب**، يعني أوجب الجنة بما فعل.

فهو طلحة الخير، وهو الذي قد بايع علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه- مع الزبير. حتى قال الأفاكون: يدٌ شلاء إذا لا يتم هذا الأمر. هذا شؤم، والشؤم لا يجوز. **الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك**. طلحة من أ خيار الصحابة وهو من العشرة المبشرين بالجنة.

وعامر هنا يقصد به أبو عبيدة بن جراح، أبو عبيدة بن جراح له مكانة راقية سامية عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وفي الأمة. عمر بن الخطاب كان جالساً في المسجد وكان الصحابة معه كلٌ منهم يقول تمنى، فكل منهم كان يتمنى، فقالوا لعمر

تمنى. فانظر ماذا تمنى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه وأرضاه!! الإخلاص عزيز والإنصاف عزيز، والأمة لا تنتصر إلا بأمثال هؤلاء، ما انتصرت الأمة إلا بهذا الإخلاص. انظر إلى المزاومة على الفضل ويرضى عمر بها من أجل نصرته الدين، كانوا يعيشون لله فقط لا لأنفسهم. فقالوا لعمر تمنى، فلما قالوا لعمر تمنى، قال: **أتمنى أن يمتلئ هذا المسجد بمثل أبي عبيدة ابن الجراح**، لأن أبو عبيدة يقارب عمر في الفضل.

أبو عبيدة من العشرة المبشرين، النبي -صلى الله عليه وسلم- لما قيل له ابعث لنا أميراً، قال: **أبعث لكم أميراً حق أمين**. أمين هذه الأمة هو أبو عبيدة الجراح، لذلك عمر بن الخطاب على فراش الموت قال: **لو كان حياً لاستخلفته فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: أمين هذه الأمة هو أبو عبيدة بن الجراح**.

يتمنى المسجد بأسره يمتلئ من أبي عبيدة، إنما أنت لو في طالب في مكان يتمنى أن كل طالب علم ينشأ يموت. هذا حدث مع الشافعي وليس في عصرنا هذا، نتزاحم ونتنافس كأننا كما قال ابن الجوزي: كلما نظرت للأرض المزاومة والمقاتلة، لو نظرت فقط للسماء أرحم ما يكون. لأن من الذي يعطي؟ الله. جاء في بعض الإسرائيليات (وهذه لا تكذب ولا تصدق) اجعل عبادي اعملوا لي وعلي شهرتي. أخلص وليس لك ثمة شيء بعد ذلك فإن الله سينشر خيرك. إبراهيم نادى بصوت منخفض ووصل النداء إلى الجنين في بطن الأم، الله الذي سيوصل، أنت ما عليك إلا أن تخلص فقط. وإن أخلصت فزت بكل شيء.

فلذلك يقول عمر بن الخطاب: **بملاء المسجد مثل أبي عبيدة بن جراح**، الأمة تنتصر. كان يريد أن يستخلفه، لذلك لما نزع خالد وضع مكانه أبا عبيدة، وضعه أميراً عليه. فأبو عبيدة له ما له من الفضل وقد مات شهيداً بفضل الله جلّ في علاه بطاعون عمواس في الشام.

قال: **وَالزُّبَيْرُ الْمُدَّحُّ**، له المدح العظيم لأن الزبير بن عوام أول من تعرّى وعرّى ثيابه وأشهر سيفاً في الإسلام. لأنه بعد ما سمع في مكة أن الكفار قد قتلوا محمداً -صلى الله عليه وسلم-، فتجرّد عن ثيابه وأشهر السيف وجرى في سكك مكة حتى لقيه النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ما بك؟ قال: سمعت أنهم قتلوك، قال: وماذا كنت ستفعل؟

الزبير ابن صفيّة عمة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فالزبير كان شديداً في نصرته دين الله جلّ في علاه، وكان خيراً طبعاً تقيّاً نقيّاً. كان حاداً في التعامل حتى أنه أغلظ لأسماء بنت أبي بكر، كان زوجاً لها. وأنتم تعرفون القصة المشهورة جداً مع أسماء التي يمكن

أن نستخلص منها مسائل فقهية مهمة، هي كانت تحمل النوى على رأسها، فالنبي - صلى الله عليه وسلم- أراد أن يردفها خلفه.

هذا تستخلص منه فقهياً الظاهر جواز الإرداف، يستنبط منها أنه يجوز للمرأة تركب التكسي مع سائق التكسي منفردة ما فيها شيء تكون هي في الخلف وهو في الأمام. لأن في كثير من المعاصرين حتى قالوا هذه خلوة ولا يجوز، وطبعاً هو له وجهة نظر لأنه ممكن يتكلم معها كلام معسول في هذه العربة، فيكون فيها شبهة خلوة. لكن هي ليست خلوة الصحيح الراجح أنه يجوز الإرداف. وعامة هم استدلوا بها على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- محرم لكل نساء الأمة، وهذا خطأ، هذا خطأ بين، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ليس محرماً للنساء كل الأمة.

فأسماء -رضي الله عنها- كان الزبير يأخذها من شعرها ويشدد عليها، فكانت تبكي فتذهب إلى أبي بكر، فيقول لها: اتق الله، الزبير رجلٌ صالح. وتضرب ومع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **ليس بخيركم من يضرب النساء**. وفي بعض الأوقات نفس الضرب ومع ذلك يقول: ارجعي، الزبير رجلٌ صالح.

أخذ النبي -صلى الله عليه وسلم- أخذ خشبة، فhezها فانقلبت سيفاً، واستدل بها علماء العقائد بأن ما من معجزة إلا وقد حباها الله لنبينا. فhezها فصارت سيفاً، فقال: من يأخذ بالسيف مني بحقه. فقام الزبير، وكان رجلاً عظيماً لفعل هذا لكنه أجلسه. قام في الثانية فأجلسه، قام في الثالثة فأجلسه. ثم قام أبو دجانة (سماك بن خرشة)، قال: أنا أخذ بحقه. فقام الزبير فقال أنظر لما قدمه عليّ، فنظر فوجد أنه لما حمى الوطيس أخذ سماك بن خرشة (أبو دجانة) عصابة الموت، العصابة الحمراء فربطها فدخل في ساحة الوري. فوجد رجلاً يزف على المسلمين ما يجد جريحاً إلا ويقتله، فشقه نصفين بسيف النبي. ثم وجد رجلاً ملثماً يهيج الناس على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فأخذه فعلاه بالسيف وأراد أن يطيح برأسه فسقط اللثام هذا أن هذا الرجل امرأة، وجدها هنذاً، والحمد لله أنه لم يقتلها. فنظر فقال: أترفع بسيف النبي -صلى الله عليه وسلم- على أن يقتل امرأة، قال: من أجل ذلك أعتق السيف. الزبير بن العوام كان منصفاً أيضاً -رضي الله عنه وأرضاه-، قتل مظلوماً في القصة المشهورة قصة الجمل -رضي الله عنه وأرضاه-.

وبعد ذلك انتقل إلى أن يقول من الفضل عائشة، هو طبعاً ذكر عائشة للرد على الروافض الخبيثاء، هؤلاء الملاعين الذين يتجرؤون على صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. لذلك ذكر عائشة وذكر معاوية، لأن هو الضرب الشديد كان بمعاوية وعثمان مع الصحابة.

**** تنبيه: الأبيات التالية زيادة في بعض النسخ (النسخة الدمشقية):**

قال: **وَعَائِشُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَخَالِنَا ... مُعَاوِيَةَ أَكْرَمَ بِهِ ثُمَّ أَمْنَحُ**

وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ ... بَنَصْرَتَهُمْ عَنْ كِيَةِ النَّارِ زَحْزَحُوا

وَمَنْ بَعْدَهُمْ فَالْتَابِعُونَ لِحُسْنِ مَأْخِذٍ ... وَأَفْعَالِهِمْ قَوْلًا وَفِعْلًا فَأَفْلَحُوا

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول يا عائش، ترخيماً لفضلها ولمكانتها. عائشة أم المؤمنين هي الصديقة بنت الصديق، هي التي يحبها الرسول من كل قلبه، هي التي كان يقسم النبي -صلى الله عليه وسلم- لنسائه ويقول: **يا رب هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك**، من حبه وميله لعائشة -رضي الله عنها وأرضاها-.

عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل بعد ثلاثة أشهر من إسلامه، أمره -صلى الله عليه وسلم-، وكان رجلاً يحتاط، كان رجلاً مدبراً يحتاط. فقال: ابعت لي بمدد، فبعث إليه بمدد من الصحابة أمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وفيهم أبو بكر وعمر. فالثلاثة الأفاضل ذهبوا إلى عمر بن العاص، فأقام المؤذن للصلاة، فدخل أبو عبيد ليصلي. فقال عمرو بن العاص: قف، أنا الأمير، لست الأمير. أقيمت لي وليست لك، وأنت الذي أتيت علي. فابتسم أبو عبيدة وقال: **نعم، والله قد قال لي النبي -صلى الله عليه وسلم-: تطاوعا ولا تختلفا، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا**، قال: **نعم أنت الأمير**، ونزل تحت رايته وصلى خلفه.

فلما وجد أنه صار أميراً على أبي عبيدة وعلى عمر وعلى أبي بكر، قال: إن لي الحظوة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فذهب إليه فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة. صدر الباب بعائشة، للمكانة العظيمة لعائشة. قال: لست عن النساء أسأل، قال: أبوها، قال: ثم من؟ قال: عمر، قال: ثم من؟ قال: عثمان، قال: إذا فكففت عن السؤال. هو صدر الباب قال: عائشة، هي أفضل النساء.

كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لعائشة: **إن جبريل أتاني بك بسرقة من حرير، يقول: هذه زوجتك**. فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يفرح يسعد، ويقول: **إن كان من الله يميضه**، إن كان هذا الأمر من الله جلّ وعلا سيمضي وسيكون. وقد كان وتزوجها النبي -صلى الله عليه وسلم-، عقد عليها بنت ست ودخل بها بنت تسع. وكان لها مالها من المكانة العظيمة عند الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وكان هناك صولات وجولات بين عائشة وبين نساء النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن لها الحظوة.

كان لها فريق مجموعة كاملة ضد مجموعة أخرى كاملة، كان مع سودة وحفصة وكانت هي الرئيسة التي تحرك القوم. لذلك هي منعتة من المغاير بقوتها، قوة الشخصية، لأنها كانت تستاء جداً. النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد العصر كان يطوف على كل نسائه، لما يذهب إلى زينب، فأخذت تتلصص تقول وتسأل لم يتأخر؟ النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يحب الحلوى، الشيء الحلو يحبه النبي -صلى الله عليه وسلم- لذلك كان يفطر على تمرات أيضاً. فكانت تقدم له العسل فيأكله، فنظرت فدبرت. هذه طبيعة النساء، الإمام مالك كان يقول: المرأة إذا غارت قذفت، وإذا قذفت لم تحد.

الغيرة ممكن تطيش بالعقول، لكنها دبّرت وقالت لحفصة: إذا دخل عليك فاقتربي منه فقولي له أكلت مغاير؟ وذهبت إلى صفية قالت: إذا دخل عليك قولي أكلت مغاير؟ ودخلت على سودة، سودة كانت تنازع لكن في النهاية كانت تنزل، هي ما خطبت ود النبي عندما كبر سنّها إلا بعائشة، لما ذهبت للنبي -صلى الله عليه وسلم- قالت: **إني امرأة كبر سني لا حاجة لي في الرجال، ولكن لا تطلقني، أريد أن أكون زوجاً لك في الجنة، ويومي لعائشة** (هنا تخطب الود للرسول -صلى الله عليه وسلم-)، ما دام ذكرت عائشة فقد أخذت بلباب المسألة. فسودة قالت: أنمنعه من شيء يحبه؟ قالت: قولي مغاير. هي خائفة من عائشة، فقالت: أقول مغاير. فلما اقترب قالت: مغاير، حتى قالت كل امرأة مغاير؟ فقال: لا تخبري أحداً والله لا أكل مغاير بعد ذلك. كأن سودة تبكي تقول: والله منعناه من شيء يحبه. عائشة ضربت على يدها وقالت: اسكتي، المهم ما يجلس بكثرة عندها. حتى أنزل الله جلّ وعلا: **(لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ فَبَتِّغِي مَرَضَاتٍ أَزْوَاجَكَ)** [التحریم: 1].

وكانت عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- مع رسول الله بالمكانة العظيمة، كانت إذا دخل عليها قالت: تحبني؟ يقول: نعم، أحبك. فتقول: كيف حبك لي؟ فيأخذ طرف الثوب فيعقده عقدة ويقول: **حبك في قلبي كهذه العقدة**. فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يصبر عليها ويأتي يصف لها ويقول: رأيت العقدة وقوة العقدة، عقدت قلبي على حبك. فكانت تترفع تجلس ويجمع النساء فيجلس معهن النبي -صلى الله عليه وسلم-، فتقول له: يا رسول الله كيف حال العقدة؟ فيقول لها: **اطمئني يا عائشة العقدة على ما كانت عليه**، يعني ما زال قلبي ينعقد بحبك على هذا، هذا الحديث حديث العقدة فيه كلام.

وحديث الدرهم أيضاً كانت تقول: تحبني؟ يقول: نعم، تقول: انتني بما يبرهن ذلك. فيعطيه دينار، فلما أعطاها الدينار قالت: أغلى دينار عندي. لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- في المسائل المادية كان حكماً عدلاً، أعطاه دينار فلا بد أن يعطي الأخريات. لكن العدل عدل، أعطاه دينار وذهب إلى التسع أعطى كل واحدة دينار. فكانت تجمعهم قاصدة، ثم تصرخ: يا رسول الله من أحب نساءك إليك؟ فيقول: التي أعطيتها دينار. فتقف وتترفع؟ فيتعجب لم تترفع؟ فكانت تفعل ذلك تحب أن تبين مكانتها، وهي

الحق أنها أحب نساء -صلى الله عليه وسلم-، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- في مرض موته يقول: أين أنا اليوم؟ أين أنا غداً؟ أين أنا بعد غد؟ حتى علمن أنه يريد أن يُمرّض عند عائشة، فأُذِنَ له أن يُمرّض عند عائشة.

عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتي بها والحبشة يلعبون في العيد في المسجد، تقول: ويضع خدي على خده، فيقول: أتحبين أن تري؟! تقول: نعم. تقول: وما بي وما بي شغف للرؤية، ولكن أريد أن يعرف النساء مكانتي عنده، تقول: فأطيل ليعرف النساء مكانتي عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. وطبعاً قد ظهر ذلك عند التمريض، وأيضاً لما جاءت فاطمة وهي أحب بنات النبي للنبي -صلى الله عليه وسلم-، لما جاءت تحج عن نسائه على عائشة اشتد عليها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأن أم سلمة أخذت بفاطمة فقالت: قولي لرسول الله فليتيق الله في بنت ابن أبي قحافة.

المسألة مؤثرة، الصحابة قد أيقنوا أن أحب النساء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- هي عائشة، فكان الصحابة يتقصدون بالهدية ليوم عائشة، فالتى تحظى بالهدايا كلها عائشة. الغيرة شديدة، غارت كل امرأة من أجل ذلك، فانتدبن فاطمة أن تذهب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشكاية، كيف كل هدية ما تأتيك إلا في يوم عائشة؟ يناشدنك أن تتقي الله في ابنه أبي قحافة، فدخلت فاطمة فقالت: يا رسول الله إن نساءك يناشدنك الخير في بنت ابن أبي قحافة. فنظر إليها النبي -صلى الله عليه وسلم- مغضباً، وقال لها: يا فاطمة تحبي أباك؟ قالت: نعم، قال: أحبي هذه. الإنصاف، لما قال ذلك قالت فاطمة: والله ما عاودته بعد ما عاودته بعد ذلك على عائشة.

لكن هل يسكت الفريق الآخر؟ ما يسكت ما يستطيع. فانتدبن زينب، فدخلت زينب فاشتدت على النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى أنها قالت: لو بنت ابن أبي قحافة أظهرت لك طرف إصبعها لفعلت كذا وكذا. كلام ما يقال لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لكن غضب الغيرة. فنظر النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالت: فنظرت إلى عين النبي وهي تسبني وتشتد علي، فنظرت إلى عين النبي فعلمت منه الرضا في الرد. يعني أباح لها أن تأخذ حقها، قالت: فأخذتها فكأن فكأنها فكأن الريق قد نشف في فمها، واللسان دخل فيه فلم تتكلم. فابتسم النبي فرحاً بعائشة، وقال: **إنها ابنة أبيها، ابنة أبي بكر، يتمدح بعائشة.**

فكان لها مكانة عظيمة جداً عند رسول الله، لما دخل عليها وجدها تقول: وارساه، فقال لها النبي -صلى الله عليه وسلم-: **بل أنا وارساه، إن أنت مت غسلتك وصليت عليك،** يعني صليت عليك واستغفرت لك ودعوت لك ودعوة النبي من أعظم ما تكون. قالت: بل والله لو أنا مت لعرّست بعد الجنازة بعد دفني بامرأة أخرى. وهي طبعاً التي غارت جداً من قول الله جلّ في علاه: **(ثُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ)** [الأحزاب: 51]، وقول الله تعالى: **(وَأَمْرًا مُّؤَمِّنَةً إِنَّ وَهَبْتُ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ**

أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [الأحزاب:50]، قالت: والله ما أرى الله إلا يسارع في هواك. وهذا كلام يقال للنبي -صلى الله عليه وسلم-؟! ويقبل النبي ويبتسم.

فكانت لها مكانة عظيمة جداً عند رسول الله، لا سيما وأن الله جلَّ وعلا قد منحها أن مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين سحرها ونحرها وعلى فخذها. كان في مرض الموت على فخذها، فدخل أخوها معه السواك، فكأن النبي -صلى الله عليه وسلم- ينظر (بأبي وأمي هو) في مرض موت للسواك وهي كانت لماحة. قالت: تريد ذلك؟ أشار إليها نعم، فأخذته فلينته، وهذه من البركة أيضاً. فاختلط ريق النبي بريقها عند موته، فلينته له فتسوك به النبي -صلى الله عليه وسلم-. ثم نظر وكان على صدرها، نظر إلى السماء وقال: **اللهم الرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى**، فعلمت أنه سيموت. لذلك لما قالوا علي الوصي، قالت: وأين الوصاية؟ والله مات بين سحري ونحري. فأين وصي ومتى وصي؟

فلذلك كانت عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- لها مكانة عظيمة عند رسول الله، لا سيما كان في سفرة وكان ينام على فخذها وضاع العقد التي تتحلى به له منها. فأوقف الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، وإذا أرادوا الصلاة لا بد من الوضوء (ما كان نزل التيمم). أسيد بن حضير هو الذي أوزع ذلك في قلب أبي بكر، قال: يا أبا بكر أرأيت ابنتك؟ أرأيت ما فعلت عائشة برسول الله وبالناس؟ قال: ما فعلت؟ قال: أجلسنا الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، كيف سيصلون؟ وأنا قلت إن سيدنا أبو بكر كان فيه حدة في الطبع، فذهب إليها مغضباً، قالت: **فدخل علي أبو بكر**. مع أن العرب فيهم أدب عظيم، أنت ممكن تكني أباك للتعظيم والتفخيم. ما قالت أبي، حتى العلماء استشكلوا ذلك، فقالوا الإجابة على ذلك لأن أبا بكر قد أغلظ عليها. قالت: **دخل علي والنبي -صلى الله عليه وسلم- علي فخذني، ثم قال لي: يا لكع**. قالت في رواية: سب وجدَّع، يسب ويشدد عليها. قال: يا لكع، أجلسنا رسول الله وليس على ماء وليس معه ماء وأجلسنا الناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فقالت: **فأخذ يضربني في خاصرتي** (وهذه أضعف مكان في الإنسان) **ولا تحرك لمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منه**، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- أجلسهم لعقد عائشة.

ولذلك أصيب بهم وغم عظيمين بسبب حادثة الإفك، عائشة أحب الناس إليه أحب النساء إليه. لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- قام يخطب في الناس، قال: **من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهلي ووالله ما علمت عن أهلي إلا الخير، من يعذرني من رجل بلغ أذاه في رجلٍ والله ما علمت عنه إلا الخير**. حتى قام سعد بن معاذ قال: لو كان منا لفعلنا كذا، لو كان من إخواننا لضربنا عنقه بالسيف. فقام سعد بن عبادة حميَّة، لأن عائشة قالت: والله كان رجل على خير إلا أن أخذته الحمية. فقام قال: والله لا تستطيع وإنك لتكذب ونفعل ونفعل، قام أسيد ابن حضير قال: والله إنك منافق لا تدافع إلا عن المنافقين، والله

لنقتلنه ولنقتلنك أنت. واشتد الأمر بين الحيين، حتى قام النبي -صلى الله عليه وسلم- فهدأ الناس.

لكن الشاهد قال: **من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهلي ووالله ما علمت عن أهلي إلا الخير.** لذلك ذهب النبي -صلى الله عليه وسلم- يسأل علي بن أبي طالب، يسأل أسامة بن زيد، يسأل الجارية ما استطاع أن يحتمل. عائشة أحب النساء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك كان أيضاً من مكانتها العلية حتى يعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها امرأة لها الحظوة أيضاً عند الله كما أن لها الحظوة عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، عندما قال الله تعالى: **(أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ)** [النور: 26]. لما دخل عليها النبي -صلى الله عليه وسلم-، دخل عليها في آخر المواقف، قالت: **فبعدما علمت ما رقأ لي الدمع، فدخل عليّ وما أَلمني إلا أن رسول الله إذا دخل عليّ فلم أجد منه الود الذي كنت أراه قبل ذلك.** طبعاً كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا دخل، كان الود كل الود لعائشة، لأنها لما سئلت كيف كان يفعل رسول الله إذا دخل؟ يدخل يقبلها، هذا من باب اللطف بين رجل وامرأته. فكان يدخل ترى الود منه، قالت: **أَلمني أنني لم أر الود الذي كنت أرى، كان يدخل فلا يزيد أن يقول كيف تيكمن؟** كيف حال هذه المرأة ويمشي، فهذا كان يقتل عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-.

حتى أنه إذا دخل النبي -صلى الله عليه وسلم- فاستفتح وحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها: يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله، فإن الله غفورٌ رحيم. وأن كنت بريئة فإن الله سيبرئك. فنظرت فقالت: يا أمي أجيبني عني رسول الله. قالت: والله يا بنيتي ما أدري ما أفعل! ثم قالت: يا أبي أجب عني رسول الله. فقال: والله يا بنيتي ما أدري ما أقول! ثم نظرت إليهم وقالت: **قد جف الدمع في عيني، لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف، ونسيت اسمه.** نسيت اسم يعقوب من هول الموقف، ثم قالت: **فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون.** لأنها قالت: **لو قلت فعلت لصدقتم، ولو قلت ما فعلت لكذبتموني، فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون.** فنزلت الآيات من فوق سبع سموات، الأمر كان جللاً على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ثم قال: **أُبشري يا عائشة قد برأك الله من فوق سبع سموات.**

وكان الحمد لله أن رفع الله الغمة عن هذه الأمة، والذي تولى كبره هذا المنافق الأكبر وهو عبد الله بن أبي بن سلول. والروافض الخبيثاء ألعن من عبد الله بن أبي بن سلول، لأنني أقول بالإجماع من اتهم عائشة في عرضها فقد كفر، كافر بالإجماع. ومن لم يكفره فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافر. الذي يتهم عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- المبرأة الصديقة بنت الصديق، الذي يتهمها في عرضها كافر، والذي لا يكفره كافر، والذي يشك في تكفيره كافر. على أن يعلم الله أنا احرص الناس على هذه الكلمة، وإنني قد قعدت مع طلبة العلم قاعدة أتبناها إلى يوم الدين، أن المتجرئ على

التكفير جاهلٌ جريء على حفرةٍ وهوةٍ سحيقة سيضيع بها. لأن من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-. لكن هنا الذي يقول بأن عائشة فعلت الفاحشة مكذب لله، والذي يكذب الله بالإجماع كافر، والذي لا يكفره فهو كافر، والذي يشك في تكفيره أيضاً يكون كافراً.

فعائشة -رضي الله عنها وأرضاها- قد برأها الله من فوق سبع سماوات لذلك لما دخل عليها ابن عباس في مرض موتها قال لها: أبشري، أنت حبيبة رسول الله وأنت زوج النبي في الدنيا وفي الآخرة. أنت التي برأك الله من فوق سبع سماوات. قالت: إليك عني فإني أعلم من نفسي ما لم ما لا تعلمه. المقصود بأن هذا فضل عائشة -رضي الله عنها وأرضاها-، أكد عليه المصنف في الرد على الروافض الخبيثاء الذين يتجرؤون على أعراض الصحابة الكرام.

قال: وَخَالْنَا مُعَاوِيَةَ، نعم معاوية -رضي الله عنه وأرضاه خال المؤمنين، معاوية كاتب الوحي. أنا لا أدري مَنْ مِنَ الفقهاء الذين فيهم ما فيهم من الجهالات وقد قدموا عمر ابن عبد العزيز على معاوية بن أبي سفيان!! هذا جهل والله، بل هو جهلٌ مركب. هم يقولون ذلك لأن في عصر الأمويين كان فيه ما فيه من المظالم وانتشار الفسق، فلما انتشر العدل رفعوا عمر ابن عبد العزيز وقالوا خليفة راشد، وقدموه على معاوية. خطأ مركب، ليلة واحدة كتب فيها معاوية -رضي الله عنه وأرضاه- الوحي لرسول الله ونظر في وجه النبي -صلى الله عليه وسلم- خير من عمر بن عبد العزيز وأهل بيته بأسرهم. لا سيما وأن الإجماع قد انعقد بأن أحاد الصحابة أفضل من الأمة بعدهم، وكلهم في صحيفته. أما قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أجر العامل منهم بخمسين منكم**، ليس تفضيلاً مطلقاً، هذا تفضيل للعمل. أولاً بأن صدقة هؤلاء لو أنفقت مثل جبل أحد ذهباً لم تبلغ مد أحدهم ولا نصيفه، والأمر الثاني أنت حسناتك في ميزانهم لأن ما وصلك الدين إلا على أكتاف هؤلاء الأخيار الأبرار.

فمعاوية هو خال المؤمنين، وكما قال الشعبي أو شعبة (لا أتذكر): **بوابة الصحابة معاوية**. الذي يتجرأ وأطلق لسانه على معاوية لن تسلم الصحابة منه، فمعاوية هو البوابة التي تقيك من الخوض في صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. كما قال: **أكرم به**، نعم أكرم به فهو الذي أصلح الله به الدنيا وكان حليماً وكان كريماً جواداً وكان شجاعاً فيه سمات الخير، لذلك تولى مأمورية الإسلام أو كان ملكاً وهو من أعظم ملوك الإسلام، وتولى أمر المسلمين وتقلد أمر المسلمين وجعل الله الخير على يديه.

قال: وَأَنْصَارُهُ وَالْهَاجِرُونَ دِيَارَهُمْ، يعني الذين هجروا الديار من المهاجرين والأنصار. إجمالاً قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **حب الأنصار إيمان، وبغض الأنصار نفاق**. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **اصبروا حتى تلقوني على الحوض**. والمهاجرون

أفضل من الأنصار. والأنصار قد نصرُوا الله ونصر رسولهُ -صلى الله عليه وسلم-، أفضلهم سعد بن معاذ بالترتيب وأسيد بن حضير وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل. خمسة من الأنصار، هم الذين كانوا قد حفظوا كتاب الله في زمان رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكلهم من الأنصار، وقدم الله أبي وقال: **أبي أعلم أمتي بكتاب الله جلّ في علاه.**

بل العظمة كل العظمة أن يأتي النبي لأبي ويقول: **يا أبي أمرني ربي أن اقرأ عليك (لَمْ يَكُنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) [البينة: 1]**، قال أبي: **يا رسول الله، وسمّاني ربي باسمي؟! انظر أخي الكريم الفقه الدقيق، يقول: وسمّاني ربي؟ قال: نعم سمّاك، قال اقرأ على أبي هذا. فبكى بكاءً عظيماً. أنت يمكن أن يسمّيك ربك جلّ في علاه تعرف كيف؟ أنت يسميك ربك في السماء، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (في حديث الصحيحين عن أبي هريرة): **قال الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه.** أذكر ربك واجلس في مجلس العلم تذكر باسمك عند الملائكة، لذلك قال علي بن أبي طالب: **اجعل جسدك في الأرض، أما روحك ففي السماء.** أنت لا ترتقي إلى هذه المنزلة إلا بعبادة الله جلّ في علاه.**

قال: **بُنُصِرْتُهُمْ عَنْ كَيْفَةِ النَّارِ زَحْزُحُوا**، هم بنصرهم الله جلّ في علاه نصرهم الله وأمنهم في الدنيا كما سيؤمنهم في الآخرة، قال: **(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ)** [محمد: 7]. ونحن نظن بأن صحابة الرسول -صلى الله عليه وسلم- الأخيار الأبرار هم من أهل الجنان، منهم من يكون مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الفردوس ومنهم من ينزل عن هذه المنزلة، والله أعلم بمنازل الأخيار.

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ، هذا تعليم من المصنف إلى المنهج الذي تنتهجه في التعامل مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. الأدب مطلوب، حسن الخلق يزن الإنسان. الله جلّ وعلا قد وصف ووسم النبي -صلى الله عليه وسلم- بحسن الخلق: **(وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [القلم: 4]**، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً.** وأحسن الأخلاق عندما تظهر في التعامل مع صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أن تثني عليهم الخير وأن تزكي هؤلاء الصحابة الأخيار بتزكية الله لهم جلّ في علاه من فوق سبع سموات، وأن تكف عما شجر وحدث بين الصحابة. هذا فعل السلف كما قال ابن تيمية نقلاً عن عمر بن عبد العزيز، قال: **هذه دماء قد برأ الله سيوفنا منها، فلنكف ألسنتنا عنها.**

هذا الأدب، ألا تخوض في هذه الأمور، لا تتكلم كثيراً عنها وأن تشير إليها إشارات وأن تترضى عن الجميع. وتعلم بأن موقعة الجمل وصفين والنهروان هذه لعلي بن أبي طالب خالصة، وأما الجمل وصفين فهم قد اجتهدوا. والمجتهد عند ربنا جلّ في علاه في كل أحواله مصيب (مصيب الأجر)، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر.** هذا الذي تتعامل به مع الصحابة الكرام

الأبرار الأخيار، بأنك تعلم أنهم في كل أحوالهم قد اجتهدوا فمنهم من أصاب فله أجران كعلي بن أبي طالب، ومنهم من أخطأ ك معاوية -رضي الله عنه وأرضاه- في اجتهداه فله أجر، لم يتعزى واحد منهم عن الأجر.

نحن لا نشك أن الحق كل الحق كان مع علي، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **ويل عمار، تقتله الفئة الباغية، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال: عمار مع الحق، أينما كان الحق كان معه عمار.** ومع ذلك فإننا نقول المسألة كانت نابعة عن اجتهاد، وأن معاوية ما قال أنا أفضل من علي، ولا قال أنا أستحق الخلافة والولاية، ولا هو نازع على الخلافة والولاية. هو فقط قد خرج يطلب بدم عثمان فقط، اجتهداً. وابن عباس حتى قال: **ما زلت معتقداً بأن معاوية سيعتلب لأن الله جلّ وعلا قال: (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ) [الإسراء:33]**، فقال: **هذا السلطان، أعلم ذلك.**

ومع ذلك نحن نخطئ معاوية -رضي الله عنه وأرضاه- في خروجه على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، وأيضاً ونحن نقول بذلك نقول قد اجتهد فأخطأ فله أجر. رضي الله عنه وأرضاه هو خال المؤمنين، وهو من الأخيار الأبرار، وهو أفضل من أمة بعده. فهنا لا بد أن تتعلم من كلام المصنف بأن تتأدب مع الصحابة عند الكلام على ما شجر بين الصحابة. ثم بعد ذلك ختم بأن الوحي قد نطق بفضل هؤلاء الصحابة الأخيار، لا سيما بالفتح **(لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ) [الفتح:27]** إلى أن قال: **(مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح:29]**، إلى هذه الصفات النبيلة التي وصفهم الله بها.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس التاسع

عنوان الدرس: الإيمان بالقدر

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيَقِنُ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ وَالَّذِينَ أَفِيحُ

(وبالقدر المقدور)، هنا يبين لنا فصلاً عظيماً من أبواب العقيدة المهمة جداً، من أركان الدين لا يستقيم الإيمان إلا به وهو القدر. والقدر هذا أمرٌ جَلُّ، لا يدخل فيه العقول بحال، وهو دحض مزلة، من أدخل عقله في القدر عاش في حيرة وتخطى ولم يستقيم له إيمان ولا عمل. فالإنسان لا يجتهد ما يجتهد إلا بالقدر، كما قال أبو بكر وغيره: (والله قد ازددت اجتهاداً في عبادة الله يوم أن تعلمت القدر). فالقدر قدرة الله جل في علاه، سرٌّ من أسرار الغيوب، وهو من لوازم ربوبية الله جل في علاه. لا تدخل عقلك فيه، قف عند السمع فقط، عند الخبر فقط.

والقدر هو ما قدره الله جل وعلا مما كان ومما سيكون إلى يوم الدين، وهو قدرة الله كما قال الإمام أحمد. قال الله جل وعلا: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [سورة القمر 49]، (كل شيء) نص في العموم، ما فات شيء من هذا بحال من الأحوال. وقال الله جل وعلا: (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) [سورة التغابن 11]، يعني إذن الله، كتب الله ذلك فيها، قال: (وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ) أي ومن يستيقن أن هذه المصيبة قد كتبها الله عليه قبل أن يخلقه فالله يهدي قلبه بالاستقرار وأيضاً بالرضا بالقدر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط).

القدر ركن الإيمان، هو هنا المصنف يقول: (دعامة عقد الدين)، وهذا صحيح لأنه ركن من أركان الإيمان إذا سقط، سقط الدين. هو من أركان الإيمان، كما قال ابن عباس بأن (القدر نظام التوحيد، فمن كذب بالقدر فقد نقض تكذيبه توحيده) سقط دخل في الكفر لا في الإيمان، وهذا ورد صريحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم. قال الله جل في علاه: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [سورة القمر 49]، لما جاء الكفار يجادلون في ذلك فأنزل الله هذه الآية.

الصحابي الجليل يقول لابنه: (واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإن مت على غير ذلك فأنت من أهل النار)، إن مت على غير هذا الاعتقاد فأنت من أهل النار. فلا بد أن تعتقد أنه ما من صغير ولا كبير ولا دقيق ولا جليل إلا بالقدر، والأدلة على ذلك كثيرة. أما الأدلة التي في الكتاب فقد قلناها: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [سورة القمر 49]، قال الله جل وعلا: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [سورة الأنبياء 105]، وقال الله جل وعلا: (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَقَرٌّ) [سورة القمر 52 – 53].

وأما الحديث فكثيرة: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في رواية: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ)، وفي رواية (أَوَّلَ). ما الفرق بين الروایتين؟ أقول (أَوَّلَ) على الظرفية، (أَوَّلَ)

على الابتداء، وفي كل النظر لأن العلماء اختلفوا، العرش أولاً أم القلم، هذا خلاف الأصل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم، عندنا حديثان يفصلان في المسألة، عامة أقول (أول) أو (أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة). يعني كتب القرآن وهو في القرآن في اللوح المحفوظ، ما من شيء إلا وهو مكتوب. لذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الذي في الصحيح بأن (النذر لا يغير من القدر من شيء، إنما يستخرج الله به من البخيل)، لا يرد قدراً ولا يأتي بقدر، فالنذر يستخرج به من البخيل. وأيضاً النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما بصحفتها، فلن يأتيها إلا ما قُدر لها).

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (المؤمن القوي خيرٌ عند الله وأحب من المؤمن الضعيف)، وقال: (فاحرص على ما ينفعك)، الأخذ بالأسباب لأن القدر لا يجعلك تتقاعس في الأسباب، (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، فإن أصابك شيء فل تقل لو أني فعلت كذا وكذا لكان كذا، فإن لو تفتح عمل الشيطان، ولكن قل قَدَّرَ الله وما شاء فعل) وفي رواية قال: (قَدَّرَ الله وما شاء فعل). (قَدَّرَ الله): سبب، (قَدَّرَ الله): بتقدير الله جل في علاه، ولذلك هناك فرق بين القضاء وبين القدر.

لا يستقيم الإيمان بالقدر إلا بمراتب أربعة، لا يمكن أن تؤمن بالقدر حتى تؤمن بهذه المراتب الأربعة، ولذلك ضلت الأقدام في هذا الباب لعدم الإيمان بهذه المراتب الأربعة. (علم فكتابة فإرادة أو مشيئة فخلق، خلق وإيجاد)، (علمٌ كتابةٌ فإرادةٌ فخلق وإيجاد). (علم) لا يمكن أن يستقيم الإيمان بالقدر إلا أن تعلم أن الله يعلم كل شيء، دقيق وجليل، صغير وكبير، بل قل يعلم الله ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان من الممكنات كيف سيكون، ومن المستحيلات كيف سيكون. التفسير يوضح الكلام:

أولاً الأدلة على علم الله جل في علاه، قال الله جل وعلا: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) [سورة الطلاق 12]، (يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) [سورة طه 7]، سبحانه جل في علاه. ولذلك يقول الله جل في علاه: (قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [سورة النمل 65]، (اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)، وهذا أكثر من ختام آية قال ذلك الله جل في علاه وبين أنه سميع عليم، خبير لطيف، سبحانه جل في علاه، وهذه من لوازم العلم، فعلم كل شيء. الاعتقاد السديد أن تعلم: أن الله يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف سيكون، صورته كيف تكون.

الله جل وعلا قص علينا ما دار بينه وبين إبليس وما دار بين آدم وبين الملائكة قال: (قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ) [سورة البقرة 33]، قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

الدِّمَاءِ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ [سورة البقرة 30]. وما يكون في القريب كما حدث من النبوءات التي هي من المعجزات للنبي صلى الله عليه وسلم، من علامات النبوة، هذه يعلم ما يكون. أما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم الكُذبة، فلما ضرب الكُذبة في غزوة الأحزاب وكل منهم كان يتحاشى أن يقضي حاجته منفرداً خوفاً على نفسه، صورها الله في الكتاب: **(إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا)** [سورة الأحزاب 10]، مع ذلك يضرب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما ربط على بطنه الحجرين من شدة الجوع فيقول للناس: **(الله أكبر أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض)** كنوز كسرى وقيصر، وقد لبس سُرّاقة ما قال له النبي صلى الله عليه وسلم وقد فتحت المدائن بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً نبوءة النبي صلى الله عليه وسلم نراها الآن في عصرنا: **(بين يدي الساعة سنون خداعة يُصدّق فيها الكاذب ويُؤتمن فيها الصادق ويؤتمن الخائن ويخون فيها الأمين وينطق الرويبضة)** وما أكثر الروييضات في عصرنا، تصدّر قبل أن يتأهل **(وينطق الرويبضة، قالوا ما الرويبضة؟ قال: الفاسق)** وفي رواية قال: **(الفويسق)** يقلل من شأنه ويحوّره **(يتكلم في أمر العامة)**. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويظهر الجهل، إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعاً من صدور العلماء)** إلى أن قال: **(فإذا قبض الله العلماء اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً ففسلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)**. وقد نبأنا النبي صلى الله عليه وسلم بقتل مسيلمة الكذاب، وبقتل أيضاً الأسود العنسي وإن الله جل في علاه سيذهب أمره، فهذا يعلم ما يكون من النبوءات التي جاءت من النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، من الممكنات ومن المستحيلات. كيف من الممكنات؟ ماذا قال الله تعالى عن المنافقين؟ **(وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ)** [سورة التوبة 46]، انظر نص الآية الذي يثبت لك يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، قال الله: **(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ)** هم ما خرجوا وما فشلوا الصف لكن قال: **(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)** [سورة التوبة 47]، هذا كله لم يحدث لكن لو كان سيحدث كان سيكون على ما قاله الله جل في علاه، هذا من الممكنات في الدنيا.

ومن الممكنات أيضاً في الآخرة قال الله جل وعل عن المنافقين والفجرة الكفرة: **(وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [سورة الأنعام 27] هذا ممكن، الله قادر أن يردهم إلى الدنيا. انظر لو حدث ماذا سيحدث؟ فيقول: **(وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)** [سورة الأنعام 28]، هذا من الممكنات.

يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون من المستحيلات، قال الله جل في علاه: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) [سورة الأنبياء 22] مستحيل أن تجد للكون آلهة إلا الله، والدليل الآية السابقة ويتبين ذلك في التفسير. فعندنا مقدمات ثلاثة: لو قلنا تنزلاً مع الخصم للكون إلهان، ماذا سيحدث؟ لأبد من التنازع. والدليل على المنازعة: (قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) [سورة الإسراء 42]. والمنازعة لها نتائج، إما أن يتساقطا وإما أن يغلب أحدهما على الآخر، وإما الثالثة لا يكون هناك إلهان. ننظر في المقدمة الأولى، ننظر للكون إلهان ونقول تنازعا فلم يغلب أحدهما الآخر، لمّا لم يغلب واحد على الآخر سيحدث الفساد. لأن رب الشمس يقول هذه الشمس لي أنا، ورب القمر يقول القمر لي. يحدث في الكون اختلال وفساد، هل حدث؟ لم يحدث، إذاً لا إلهان.

للكون رب شمس وبحر وثمر ونهر، ورب قمر وسماء ونجوم وأشجار، بين لنا القرآن ما الذي سيحدث (إِذَا لَابَتَّغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا) [سورة الإسراء 42] لأبد من التنازع، فإذا حدث التنازع ولا غلبة فالنتيجة: (إِذَا لَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) [سورة المؤمنون 91]، فالكون يحدث فيه اختلال. رأينا اختلالاً؟ فالنتيجة لا إلهان.

النتيجة الثانية، إلهان تغالبا فغلب أحدهما على الآخر، فلمّا غلب الأول على الثاني، فالغالب يستحق الربوبية والمغلوب لا يستحق، فرجعنا إلى التأصيل أن الرب هو القادر القوي القاهر وهو القهار. في هذا المقدمة العظيمة، الله تعالى يعلم ما لم يكن لو كان كيف سيكون، ولو كان للكون إلهان لفسد كل شيء، (فَسَدَتَا)، (إِذَا لَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ)، هذا علم الله. المرتبة الأولى مرتبة العلم، والمرتبة الثانية الكتابة.

الحمد لله وكفى وسلم على عباده الذين اصطفى ونبيه المجتبي والأمين المصطفى وعلى صحابته الكرام وآل بيته العظام المستقبليين الشرفا. مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم، أشرف الناس من يطلب العلم ويصبر عليه، نسأل الله جل في علاه أن يشكر لكم صبركم، نسأل الله جل في علاه أن يجعلنا مساعيك في مرضاته وأن يلهمنا وإياكم الإخلاص في طلب العلم والعمل به، فإن أفضل الناس على الإطلاق الواسطة بين رب الناس والناس.

تكلّمنا عن القدر، والقدر هو نظام التوحيد كما قال ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه: (فمن كذّب بالقدر نقض تكذيبه توحيده). وقال صاحب الجليل لابنه: (يا بني إن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك)، ثم قال: (فإن مت على غير

ذلك فأنت في النار). لأن القدر من أركان الإيمان، قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل الطويل، قال: (فأخبرني عن الإيمان) فأخبره بأركان الإيمان، قال: (وأن تؤمن بالقدر خيره وشره). وهذه مسألة سنتكلم عنها، هل هناك شر بالقدر؟ هل يمكن أن نصف القدر بالشر؟ هذا الذي سنقوله إن شاء الله.

لكن نقول لا يستقيم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بالمراتب الأربعة: (علم فكتابة فإرادة فخلق وإيجاد). أما الكتابة فهو أن الله جل في عله كتب كل شيء قبل أن يخلقه. وهذا إجمالاً في قول الله جل وعلا: (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ) [سورة القمر 52 – 53]، وقال الله تعالى: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ) [سورة الأنبياء 105]، هو كتب الذكر. وقال عن القرآن: (فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ) [سورة البروج 22].

فإذاً هذه الكتابة إجمالاً (لما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب كل ما هو كائن إلى يوم القيامة). فالكتابة ثابتة ولا يستقيم إيمان العبد بالقدر إلا أن يؤمن بكتابة الله جل في علاه لكل شيء، صغير وكبير. وهذا لا يدعو للتقاعس عن العمل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح سئل عن العمل هذا: فيما قضي ومضى أم فيما يستقبل؟ قال: (لا فيما قضي ومضى)، فقال: ففيم العمل. ما دام الأمر انتهى!!! قال: (بل اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، وهذا الذي سنبينه إن شاء الله تفصيلاً.

المرتبة الأولى العلم والمرتبة الثانية إجمالاً الكتابة، وهذه الكتابة لها كتابات: كتابة أزلية، وكتابة حين أخذ الميثاق، وكتابة عُمرية، وكتابة يومية.

◀ الكتابة الأزلية في اللوح المحفوظ: (لما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة).

◀ الكتابة حين أخذ الله الميثاق: كما في حديث عمر بن الخطاب (مسح الله على ظهر آدم وأخرج ذريته، فقال: هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي)، قال الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) [سورة الأعراف 172].

◀ الثالثة كتابة العُمرية: هي في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه: (يجمع الله خلق أحدكم في بطن أمه أربعين، إلى مائة وعشرين يوم)، قال: (فيأتي الملك فيقول: أي رب ذكر أم أنثى؟ أي رب شقي أم سعيد؟ أي رب الأجل؟ أي رب الرزق؟ فيكتب كل شيء)، ولذلك قال إبراهيم بن أدهم لما دقوا عليه الباب وهو يبكي قال: ما يبكيك

وأنت رجل من الصالحين ونظنك هؤلاء؟ فقال: (والله لا أدري أكتبني الله جل وعلا في بطن أمي سعيداً أم شقياً). لذلك قالوا السعيد أو الشقي في بطن أمه، فهذا الذي كتبه الله جل في علاه عندما قال الملك: رب أشقي أم سعيد؟ هذه في الكتابة العمرية عندما يكون جنيناً في بطن أمه، وهذه الكتابات التي في صحف الملائكة تتبدل وفيها التغيير، كما سنبين في مسألة تخص القدر لكني سأتي كما قلت على أصول المسائل تذكيراً للمنتهي وتأصيل للمبتدئ.

الكتابة العامية هذه في ليلة القدر، قال الله جل في علاه: (فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) [سورة الدخان 4]، هذا الأمر من عند الله جل في علاه كما قال ابن عباس: (الأجل والرزق والحج والعمرة والجنين الذي يولد والذي يموت كل ذلك في ليلة القدر)، هذه الكتابة العامية.

◀ الكتابة اليومية كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ) فهم يجتمعون في الفجر وفي العصر (يَكْتُبُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) ، هذه كتابة يومية.

الحق أننا نقول الكتابة في اللوح المحفوظ لا تتبدل ولا تتغير. هذه مسألة مهمة جداً، لأن هذه تبين لنا أنه لا تعارض بين أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم. الكتابة في اللوح المحفوظ لا تتبدل ولا تتغير، أما الكتابة العامية أو العمرية أو اليومية فيها تبديل وتغيير، وتعرف ذلك بأمور. منها أولاً أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه طاف بالكعبة فقال: (اللهم إن كنت قد كتبتني شقياً فامحها، واكتبني عندك سعيداً)، ثم دلل لنفسه ولمن يسمع، لأن الذي يسمع ممكن يقول له يا عمر ماذا تقول؟ (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) [سورة القمر 49]، (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) ۞ (وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ) [سورة القمر 52 – 53]، فكيف يتغير ويتبدل؟ فقال وقرأ قول الله جل وعلا: (يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) [سورة الرعد 39].

(يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ) كأنه يقول هذا المحو أو هذا الإثبات لا يكون في أم الكتاب بل في صحف غير أم الكتاب، لذلك قال: (وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ). إذاً يمحو الله ما يشاء ويثبت في صحف الملائكة، وعنده أم الكتاب. فالصحيح بأن الملك يكتب شقياً ويكون في اللوح المحفوظ مكتوب سعيداً، فيمحوها فيكتبها سعيداً، وهذا يحل الإشكال العظيم (الدعاء والبلاء يعتلجان، فأيهما أسبق غلب)، كيف وأن البلاء من القدر؟ وهل يرد القدر، والنذر لا يرد القدر؟ قلنا نعم لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ أن البلاء سيقدر ويرفع بالدعاء.

والعمر؟ (وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ) [سورة فاطر 11]، كيف يزداد وينقص فيه؟ نقول إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من رام أن يبارك له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه). صلة الرحم تزيد في الأعمار، كتبت

الأعمار في اللوح المحفوظ لكن سيكتب عمره ستون، وبصلته للرحم يمتد العمر لثمانين هذا عند بعض العلماء. وبعض العلماء يقولون زيادة العمر التي ذكرت في الحديث البركة فيها كالنووي، النووي بركة بأربعين سنة ملاً الدنيا علماً. عاش من عاش دهرًا ولم يفعل شيئاً للإسلام، فقالوا المقصود بزيادة العمر أو زيادة المال البركة.

لماذا نُقدِّر؟ والأصل عدم التقدير ونحن لسنا من أهل التأويل إلا إذا جاءنا الدليل، فنحن نقول هي على ظاهرها، يزداد في العمر بصلة الرحم ولكن هذا مطبوع في اللوح المحفوظ، أما بصحف الملائكة عمره ستون وعندما يصل رحمه سيأمرهم الله أن يغيروا من ستين إلى ثمانين، وينتهي الأمر، إذاً لا إشكال. الفائدة عندنا هنا في الكتابة العامية أو العمرية أو اليومية قد تتبدل وتتغير بإذن الله جل وعلا ويكون ذلك مكتوباً في اللوح المحفوظ الذي لا يتبدل ولا يتغير، هذا بالنسبة علم فكتابة فمشيئة.

هذه المشيئة لا بد أن تعتقد اعتقاداً جازماً خلافاً لأهل البدع والضلالة بأن مشيئة الله نافذة، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. قال الله جل وعلا: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَنَّاوْا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ) [سورة البقرة 253]، قال الله جل في علاه: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [سورة التكويد 29]. فلا بد أن تعتقد بمشيئة الله النافذة، هذه ترد على أهل البدع والضلالة من القدرية من المعتزلة.

المهم أنك تعتقد بأن مشيئة الله نافذة وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس: (يا غلام إني أعلمك كلمات..... ثم قال: واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد قدره الله عليك). فالغرض المقصود أن تؤمن بالمشيئة. علم فكتابة فمشيئة، ومشيئة الله نافذة، ونحن نقول تؤمن بمشيئة الله وبمشيئة العبد: الأول رد على القدرية، والثاني رد على الجبرية الذين يقولون ألقاه في اليم مكتوف اليدين وقال له إياك إياك أن تبذل بالماء، نعوذ بالله _ أغبياء. أغبياء وقال قائلهم لو كنت مكانه لقلت أنت. يتكلم عن إبليس لما قال الله جل في علاه: (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۖ أَسْتَكْبَرْتَ ۖ أَمْ كُنْتَ مِنْ الْعَالِينَ) [سورة ص 75]. قال لو كنت مكانه لقلت له أنت الذي منعتني، أنا أنفذ إرادتك!!! فانظر الجبرية وصلوا للتبجح على الله جل في علاه.

عندما نقول العبد له مشيئة وله إرادة وله اختيار، هذه المشيئة ليست متكاملة مشيئة ناقصة لأنها تحت مشيئة الجبار، (وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [سورة التكويد 29]. ومن ضلال الجبرية أنهم وصلوا للديانة بسبب هذا الفكر الضال، دخل رجل على زوجته، فوجد رجلاً عليها فأخذته الحمية فأخذ السيف قال يا لكع على امرأتي، قال مهلاً اتق الله، والله ما فعلت ذلك إلا بقدر الله!!!! فنظر فقال ونعم بالله، وترك السيف. المرأة لما رأت ذلك ورأت الرجل قد ضاعت نخوته قالت والله إن هذا

لمذهب سوء يخالف الفطرة. نحن نخالف الجبرية نقول للعبد مشيئة وإرادة، فنقول للعبد له مشيئة نعم لكن مشيئته تحت مشيئة الله جل في علاه.

الرابع وهي المرتبة المهمة الخلق والإيجاد، وهذه نرد بها خاصة على القدرية الذين ينكرون خلق أفعال العبادة، لذلك هم أجريين، يقولون ندخل الجنة بأعمالنا، ومن يعصي يدخل النار وجوباً، يوجبون ذلك على الله، غباء مستحکم وقلة أدب مع الله.

الغرض المقصود أن نقول الآن المرتبة الرابعة الخلق، ومن الخلق أن الله خلق كل شيء. ومن الشيء أفعال العباد رداً على القدرية الذين يقولون: الذي اهتدى، اهتدى من نفسه. لا يحفظون منة الله عليهم، أين هم من قول الله جل في علاه: (يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا^ط قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ^ط بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [سورة الحجرات 17]، قال الله جل وعلا: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) [سورة النحل 53]. وفي الحديث القدسي، حديث عند أهل الشام، قال النبي العدنان صلى الله عليه وسلم قولاً فصلاً: (قال الله تعالى: يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه).

هم يقولون: العبد اهتدى بنفسه. نقول: لا والله، ما كان في قلبك من هداية فقد خلقها الله، قال الله جل وعلا: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [سورة الصافات 96]، (ما) هنا إما مصدرية وإما موصولة: مصدرية يعني والله خلقكم وعملكم، وإن كانت موصولة يعني والله خلقكم والذي تعملون، والراجع الثانية. (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [سورة الصافات 96]، (ما) إما أن تكون مصدرية فيكون والله خلقكم وعملكم كحركات الأيد والنحت. والثانية (ما) هنا موصولة يعني والذي تعملون وهذا أبلغ وهو الأصح.

بعد ما ينحت وجاء بالصنم نقول له الصنم هذا بيدك؟ يقول نعم. نقول الله خلقك وهو خالق الصنم لأن الحجر من خلق الله، وما أنت إلا محوّل من شيء لشيء. هذا الحجر الذي اصطنعته صنماً من خلق الله وفعلك، يدك التي تتحرك، العقل الذي يفكر، القلب الذي يميل ويريد ويفعل من الذي خلقه؟ إذاً خلقك وخلق الذي أنتجت وهذا أبلغ. (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) [سورة الصافات 96]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله خلق كل صانع وصنعه)، فهذا الأمر المهم الجلل الذي نؤمن به في مسائل القدر، الذي مر عليها عابراً وبين أنه دعامة الدين.

من المسائل المهمة أن الله جل في علاه لم يخلق شراً محضاً، وهذه من الأهمية بمكان أن الله جل وعلا خلق شراً نسبياً إضافياً، حتى الشيطان ليس شراً محضاً، الشيطان يأتي منه خير؟ أقرب المسافة لكم: سارق أخذ التمر، فقال: دعني عندي عيال، قال

في المرة الثالثة لأبي هريرة: دعني وأنصحك نصيحة لا تأخذن فراشك حتى تقول: **(اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)** [سورة البقرة 255]، لا تبيت إلا وعليك من الله حافظ. أتى منه الخير، بالإقرار قال النبي صلى الله عليه وسلم: **(صدقك وهو كذوب)**. بالتوسعة لم يخلق الله شراً محضاً، بل الشيطان الرجيم الأكبر منه خير، جعله الله أداة ليميز بها بين الكافر والمؤمن، بين الغث والسمين. واحد زعم قال: وأنا التقي النقي، وأنا الرجل الصالح أنا العابد الزاهد. الله تعالى يسلط عليه امرأة ينظر في رجلها يقول يا أخي التقوى أن أتوب إلى الله جل في علاه، وهو يطاء مات. أين التوبة؟ لكن الله جل وعلا أراد أن يختبره بعد أن زعم زعماً.

فبالشيطان يمايز الله جل في علاه بين الخبيث والطيب، أولم يكن الله جل وعلا قد علم بالخبيث من الطيب؟ نعم علم، لكن هذا إظهار العلم، لأن الله جل في علاه لو حاسب الناس على علمه لتنطعوا وتبجحوا وقالوا لنا الحجة لو تركتنا ما عصينا. يعني لو حاسب الله الرجل على المعصية التي لم يعملها وهو يعلم أنه سيعملها، يقول له لو تركتني ما عصيت. وهذا يفيدك في قول الله جل في علاه: **(وَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ)** [سورة العنكبوت 11]، هذا علم محاسبة ليس عدم علم، علم ليحاسب ليظهر معلوم الله في البشر. فإذا القاعدة لم يخلق الله شراً محضاً قط، الشر نسبي إضافي.

سرق زيد مئة درهم، مئة دينار، سرق زيد مالاً نصاباً. فالحكم عليه بحكم الله، قطع اليد. قطع اليد هو شر على السارق _ نعوذ بالله أن نكون كذلك _ ولكنه خير لكثير من الناس، لخزائن المال. فصار خيراً وهو فيه الشر، شر نسبي إضافي، شر للمقطوع لكن خير لكثير لقبائل الناس، كما قال الله موضحاً ذلك لنا ولكم: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** [سورة البقرة 179]، وهو خير للسارق أيضاً لأنه لا يؤخذ بها يوم القيامة. هناك شر في إزهاق الروح لأن هذه النفس بالنفس، لأنك لو قمت يوم القيامة وأخذ بتلبيك عند ربك لم تقتلني؟ النار النار. فإذا قُتِلت به كانت كفارة لك، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيحين: **(فمن أصاب من هذه القاذورات من شيء فأقيم عليه الحد فهو كفارة له)**. فهذا خير حتى وإن كان ظاهره شر فهو خير لك، وهو خير للجميع، إذاً لم يخلق شراً محضاً، هذه المسألة الأولى.

المسألة الثانية لا يمكن أن يوصف فعل الله بالشر، لا يصح أن تصف قضاء الله بالشر، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم متأدباً مع ربه: **(والشر ليس إليك)**، انظر إلى أدب إبراهيم عليه السلام، من الذي يمرض ويشفي ويحي ويميت ويعطي ويمنع؟ قال: **(وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ)** [سورة الشعراء 80]، الله الذي أمرضك لكن هذا من الأدب. من الأدب لا تصف الشر لله جل في علاه، فالشر ليس للقضاء بحال من الأحوال لأن

القضاء فعل لله، وفعل الله صفة من صفات الله وصفات الله كلها كمال، فلا يمكن أن تقول الشر في قضاء الله، الشر في الأثر، في المقضي.

الشر ليس في الفعل ولكن الشر في المفعولات، الشر ليس في القضاء، الشر في المقضيات، في المقدورات ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (والشر ليس إليك). هذا يفسر لك أو قل يرفع عنك الإشكال بقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه أنه قال: (وإني أعوذ بك من درك الشقاء، وسوء القضاء، وشماتة الأعداء)، لما قال: (وسوء القضاء) يقصد بسوء المقضي، يقصد فعل الله. لما تكلم عن فعل الله قال: (والشر ليس إليك)، (وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) [سورة الشعراء 80]، أدب الأنبياء.

الجن أحسن منا أدباً لما قالوا: (وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشَرَّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) [سورة الجن 10]، لما تكلموا عن الرشد والخير نسبوه لله صراحةً، ولما تكلموا عن الشر مع أن الله مُقَدَّرُه نسبوه للمجهول. يجلسون مجالس تحديث، وعندهم شيعة... الأعمش يقول حضرت عرساً لجني مع أنسية، والأعمش هو سليمان بن مهران المحدث الفحل وإن كان مدلساً، وهو من فحول التابعين. فالأعمش يقول: قد حضرت عرساً لجني على أنسية، قال: فدخلت عليهم فنظرت فوجدت كور الأرز تلقى أمامي ولا أرى أحداً، تذهب تروح. جلس جنب كور الأرز فنظرت فقلت: من أنتم؟ قالوا: نحن الجن، قال: هل فيكم من الصلحاء؟ قالوا: نعم فينا من الاتقياء، فينا من المحدثين، وفينا من الخبثاء. قال الأعمش يسأل الجن: من أخبث الناس فيكم؟ قالوا الشيعة _ الحمد لله يا رب _ حتى في الجن أسوأ البشر هم هؤلاء الخبثاء الشيعة.

نسأل الله جل في علاه أن يحفظنا من هذه المساوي، ونسأل الله جل في علاه أن يرفعنا كما رفع الجن فتأدبوا معه، قالوا: (أَشَرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ)، أدب. فإذا نسبة الشر لا تجوز لله جل في علاه، والله لم يخرج شراً محضاً، والقضاء لا ينسب له الشر، الشر في المفعولات ليس في الأفعال.

المسألة الثانية تتعلق بالقدر، القدر لا يدعو للتقاعس، بل إذا تعلمت القدر فلبد أن تجتهد اجتهاداً عظيماً، (عندما سأل الصحابي الجليل النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم وقال له: هذا الأمر فيما قُضي ومضى أم هو فيما نستقبل؟ قال: بل فيما قُضي ومضى، فقال: ففيمَ العمل؟ فقال: اعملوا فكلٌ ميسر لما خلق له). (اعملوا) أمر ولا بد له من الوجوب، فلا بد أن تعمل ما علمت بالقدر. وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة) في رواية قال لتحل الإشكال: (فيما يبدو للناس، ويكون قد سبق عليه الكتاب فلا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيموت عليه) المقصود بالكتاب: اللوح المحفوظ، (وإن الرجل ليعمل

أهل النار فيما يبدو للناس فيبقى بينه وبينها ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة).

فهنا نرى بأن السعيد من وفقه الله جل وعلا على طريق السعادة، فإن وجدت نفسك أخي الكريم قد وفقك الله جل في علاه ما تسمع من خير ولا من سُنةٍ إلا تطبقها، وما من مجلس من مجالس يذكر فيها الله جل في علاه إلا وأنت أول الداخلين، وما من صلاةٍ إلا وأنت قائم لله جل في علاه، وما من خير تسمع به إلا تسعى إليه، فاعلم أنك قد حظيت بالمنزلة العليا واعلم أن الله جل وعلا قد اختصك في اللوح المحفوظ أنك من السعداء لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (فَكُلُّ مُيسَّرٍ لما خلق له). ترى الرجل يتمنى الخير ويسعى إليه وهو مُغلق عليه، والآخر يسمع الأذان يتوضأ ويصلي بسهولة ويسر، يسر الله عليه الطاعة.

فمن يسر الله عليه الطاعة فليعلم أن نبينا قد قال: (فَكُلُّ مُيسَّرٍ لما خلق له)، كأنك خلقت لهذه الطاعة فاستبشر خيراً وأحسن الظن بربك واجتهد. لذلك أبو بكر قال: (والله ما ازددت اجتهاداً إلا بعد ما تعلمت أبواب القدر)، فالقدر لا يدعو للتقاعس بل يدعو إلى الخير. لذلك عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه قال: (من بورك له في طاعة فليعض عليها بالنواجذ)، اصطفاه الله لها فلا يضيعها، فليعلم بأن الله قد اختاره لمثل هذا، وهذا فضلٌ عظيم، إذاً القدر لا يدعو إلى التقاعس.

المسألة الثالثة أن القدر ليس حجة للعاصي بحال من الأحوال وقد كذبهم الله، (وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِرَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) قال لهم الله جل في علاه: (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) [سورة الأعراف 28] قد رد عليهم بذلك. وعندي إشكال عظيم، معنى ذلك لو احتج عندكم بالقدر في المعصية فلبد أن ننكر عليه، لكن آدم احتج على المعصية بالقدر، (قال له موسى: أنت أبونا آدم، أنت الذي أخرجتنا ونفسك من الجنة، أكلت من الشجرة، فقال له آدم عليه السلام: أنت موسى بني إسرائيل أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه؟ قال: نعم، قال: أتؤمنني على شيء قد كتبه الله علي قبل أن يخلقني)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فحج آدم موسى، فحج آدم موسى)، هل احتج آدم على المعصية بالقدر؟

فيها أربعة أقوال، والصحيح الراجح أن آدم احتج بالقدر على المصيبة لا على المعصية، أول ما صدر الكلام موسى قال: (أنت أخرجتنا ونفسك من الجنة)، إذاً الاحتجاج على المصيبة وليس على المعصية، لأن موسى أكثر أدباً من أن يعير آدم بمعصية قد تاب منها كما قال الله جل في علاه: (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى [سورة طه 121-122]، ومن تاب تاب الله عليه. فالاحتجاج هنا كان على المصيبة، لذلك قلنا القاعدة المقررة عند أهل السنة والجماعة الاحتجاج بالقدر على المصائب لا على المعاييب، وإن كان ابن القيم يقول: (يمكن أن يحتج المرء بالقدر على المعاييب إن تاب منها).

وهذا أيضاً مرفوض لأنه احتجاج بالقدر، الله جل في علاه قال: (وَإِذَا فَعَلُوا فَاجِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [سورة الأعراف 28]، لأنك ما وقعت بذلك إلا بسبب منك، قدره الله عليك لكن بسبب منك. قال الله جل وعلا: (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [سورة الروم 41]، (وَأَمَّا نُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [سورة فصلت 17]، هذه مسألة مهمة جداً.

المسألة الأخيرة مسألة مدافعة الأقدار وهذا فقه الراقي أن تدفع القدر بالدعاء هذا أصل أصيل. أقدار الله على مراتب:

- ◀ مرتبة لا يمكن أن تدفعها ليس لك إلا التسليم التام، وهذه أقدار لا يقدر أحد أن يدفعها بحال من الأحوال، فهي من لوازم الربوبية كالموت وغير ذلك.
- ◀ وأقدار أخرى أنت يجب عليك أن تدفعها: قدر المعصية لابد أن تدفعه بالتوبة وبالإحجام عن المعصية.
- ◀ وأقدار أخرى في المعيشة: قدر الجوع تدفعه بقدر الطعام والشراب.

هذه مدافعة الأقدار، وهذا فقه الراقي لا يعلمه كثير من الناس، لكنني أشرت إشارات عابرة لإخوتي تأصيلاً للمبتدي وتذكيراً للمنتهي. يبقى الكلم على الإيمان، ثم الكلم على مُنكر ونكير في مسألة السؤال إن صح على ما نقول، ثم يختم المصنف بعد ذلك في الحائية ببعض النصائح التي ينصح بها أن تدع بعض آراء الرجال وأنا أمدح جداً هذه الخاتمة:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلف سفاهة بين الرسول وبين قول فقيه

تقول له: قال رسول الله، يقول: شيخنا قال!!! شيخك تقدّمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ راية شيخك تقدمها على راية رسول الله؟ ما هذا الضلل المبين!!! قال الله جل في علاه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [سورة الحشر 7]. عظم نبيك صلى الله عليه وسلم، عظم سنة نبيك صلى الله عليه وسلم، عظم ما جاءك من الوحيين لتفزع. وإلا فالخسارة والعار والشنار وفي الآخرة النار، كيف تقدم رجلاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم!! كيف تقدم فقيهاً مهما علا من إتقانه على رسول الله صلى الله عليه وسلم!!! إذا جاءتك السنن فل يجوز أن تحيد عنها كما قال الإمام الشافعي: (أجمع المسلمون أنه من استبانته له سنة من سنن النبي صلى الله عليه وسلم ألا يدعها لقول أحد كائن من كان). لمّا دخل عليه رجل يسأله فقال من معه: قد قال في هذا رسول الله كذا، فقال له:

يا إمام أتقول بذلك؟ فانظر إلى الشافعي ماذا قال؟ قال: رأيتني خرجت من كنيسة!! رأيت في وسطي زئارة؟ يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لي لا أقول بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولذلك قال: (إن وجدتم قولي عارض وخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط، وخذوا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم).

الأسئلة:

الله يبغض الشر ولا يحبه بحال من الأحوال، ويقدر المعصية ويبغضها ولا يريد لها، قل يقضيه. المشكلة عند الناس أنهم لم يستطيعوا أن يفرقوا بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

قلنا الفخذ عند جمهور العلماء عورة لقوله صلى الله عليه وسلم: (غطي فخذك فإن الفخذ عورة)، وقلنا بعض العلماء قالوا الفخذ ليس بعورة، توسط بعض البلغاء من العلماء فقالوا هناك عورة مغلظة وهناك عورة مخففة، فالقبل والدبر عورة مغلظة، والفخذ عورة مخففة. الحق: الفخذ عورة في الصلاة لكن هو في ذاته ليس بعورة لأنه كما قلنا أنس يقول: (مست ركبتني فخذ النبي)، ففخذ النبي صلى الله عليه وسلم لما تمس الركبة ومس العورة بالإجماع لا يجوز فكيف يقر النبي صلى الله عليه وسلم بمسيب فخذة وهي عورة! وأيضاً تكشف فخذ النبي صلى الله عليه وسلم عندما مر في أزقة خبير، وأيضاً عندما جلس الجلسة التي بينها لكم ودخول عثمان فاستوى النبي صلى الله عليه وسلم وغطي فخذة، لكن لما دخل أبو بكر وعمر لم يفعل ذلك، فلو كان عورة لغطاه من دخول أبي بكر رضي الله عنه وأرضاه. وإن كان الأحوط تغطية الفخذ لأنها فتنة وإن لم يكن عورة، ونحن أمرنا شرعاً بسد أبواب الفتن.

السبب الرئيسي في استمرارك في طلب العلم الإخلاص لله، إن كنت مخلصاً حقاً في الطلب فستستمر وإلا سيسد عنك الباب، هذه الإجابة المفيدة لهذا الباب. إن كنت مخلصاً حق ستوفق، فأهم الأمور أن تعتني بقلبك وأن تنظر إليه هل هو يريد الله جل وعلا في هذا الأمر أم لا، تريد التصدر تريد التأهل تريد أن يشار لك بالبنان تريد المنفعة الدنيوية أم الآخروية، هذه كلها أسباب عظيمة جداً في تمحيص القلب لتثبت أو لترحل. السبب الرئيس في ثبوت الطالب على طلب العلم الإخلاص لله فقط، ما كان لله يبقى وهذا الذي قاله الإمام مالك عندما انتقد الناس عليه أنه صنف الموطأ وهو قليل الحج. أين موطأ مالك من موطأ ابن جريج؟ فقال لهم بإجابة يسيرة: (ما كان لله يبقى) وقد بقي وإلى يوم هذا الناس لا تتكلم إلا عن كتاب مالك، فهذا السبب الرئيس.

السبب الثاني أن تنظر للهدف، أنت إن كنت طالباً للعلم فأنت على درب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنت وكيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والوكيل ينزل منزلة

الأصيل، من يعرف قدر اللؤلؤة يحافظ عليها والذي لا يعرف قدر اللؤلؤة لا يحافظ عليها. لما نزل الإمام الشافعي إلى مصر، بعض المالكية استشاط غيظهم كيف يتكلم والإمام مالك موجود في مصر، بعضهم قام في الصحن وقال اللهم اقبض الشافعي، اللهم أمته، لا يندثر علم مالك. سبحان الله علم مالك منتشر وكذلك علم الشافعي هذا يريد الله وهذا يريد الله. المهم أن الرجل نزل وقال له الربيع: قل كلمة تألف بها الناس، قال: (أو أنثر الدرر وسط سارحة النعم؟). الذي لا يعرف قدر اللؤلؤة فليس له أن يحظى بها، ليس له أن يجتنيها.

لذلك الأعمش كان شديداً على طلبة العلم حتى أنه كان عنده طالبان: طالب كان الأعمش هين لين معه، أما الثاني فيقول له: يا مغفل يا غبي يا سفيه ولا يعطيه الحديث. فقال الأول الثاني: لو قال لي كلمة واحدة مما قال لك لتركت ورحلت. قال له: لذلك أبقي أنا وتكون أنت الأحمق. ليس لغلظ العالم أن أضيع ما معه من اللآلئ. الأعمش مر على السوق وكان له عزة نفس ورفعة في الحديث الذي يحمله، ولما بعث له الوالي وقال له: لك عطايا عندنا انتنا، وهو يحتاج للمال لقضاء حوائجهم لكنه يعتز بدينه ويعلم أن الله يكفيه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى الورقة وعلم أنها من الوالي.....وقام ومشى بين الطلبة وقال: (لولا الحديث لاتخذتموني بقالاً). فهو يعرف قدر الحديث، فمر في السوق فجاء أهل السمك والبيع والتجارة قالوا: من هذا الذي يمشي ووراءه الناس؟ قالوا: هذا الأعمش المحدث، فالتف الناس حوله. حتى العوام يحبون حديث النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا: يا أعمش حدثنا، فقال لهم: أقلد الخنازير اللؤلؤ!! فقال علمائنا: (هذا رجل عرف قدر الحديث فلم يضعه إلا في أهله).

فأنت إن علمت أنك من أهله واصطفاك الله لحمل هذا الخير فاعلم أخي الكريم أنك لن تضيع هذا، لذلك الإمام مالك قال: (يا أهل الحديث لا تضيعوا الحديث)، قالوا: كيف تضيع الحديث؟ قال: (أن تضعه في غير أهله). فإن نظرت بأبعد النظر أنك من أهل الحديث وأهل السنة وتحمل علم النبي فتكون وريثاً للنبي ولا يفرق بينك وبينه إلا الوحي، فأنت الوكيل والوكيل ينزل بمنزلة الأصيل، من يضيع هذه المنزلة؟ أن تكون وريث النبي ووكيل النبي على الناس هل يوجد منزلة بمثل هذا!!! لا والله لا رئاسة ولا وزارة ولا إمارة ولا خلافة. العالم وكيل النبي، وأعظم مخلوق وطأ التراب هو النبي صلى الله عليه وسلم، فأنت إن علمت قدر اللؤلؤة ستسعى إليها ولا تضيعها بحال من الأحوال، وستحترم شيخك ولو كان فيه ما فيه من الغلظة والشدة والسوء حتى تحظى بهذا الخير لله جل وعلاه.

أي أحد يتمنى أن يكون حسن العيش، أي أحد يتمنى أن يكون عالماً نبيلاً يؤخذ منه، هذا ليس برياء وليس بسمعة. لكن حقيقة الإخلاص أن يستديم النظر لله، بأن تفعل كل ذلك من أجل الأجر الذي يعطيك جل وعلا إياه، من أجل نصرة دين الله جل في علاه،

يعني لا تنتظر لنفسك، لذلك ابن القيم قال قولاً عظيماً: (من أظلم الظلم أن يطلب العبد تعظيم نفسه ولم يعظم الله جل في علاه).

حائية ابن أبي داود

الدرس العاشر: إثبات أمور ثلاثة:

عذاب القبر، الحوض والميزان، الشفاعة

(يقصد الشيخ عذاب القبر) قالوا على البدن، فإذا بلي البدن انتهى العذاب. والصحيح الذي ندين الله به وهو قول أهل السنة والجماعة العدول الذين قد حققوا المسألة حقاً، قالوا العذاب يكون على البدن تارة وعلى الروح تارة وعلى البدن والروح تارة. والأدلة كثيرة في ذلك: النبي -صلى الله عليه وسلم- لما رأى رجلاً يسبح في بحر من الدماء وكلما اقترب فغر فاه فلقمه الملك حجراً فرجع مرة ثانية، فلما سأل قالوا هذا أكل الربا. وأيضاً الزواني النساء اللاتي عُلقن من الثدي، وأيضاً الذي كان يُضرب بالسوط أو الذي يخمش وجهه، كل هؤلاء الذين رأهم -صلى الله عليه وسلم- في رحلة المعراج كان العذاب فيها على الروح. وأما البدن فقد ورد عن عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- بأن الحيات تأتي تقرصه من عند رأسه ومن عند قدمه فيجتمعان عند الوسط، فهذه الأدلة تثبت العذاب على البدن. والمرزبة التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يضربه بين عينيه فيصرخ صرخة يسمعها كل أحد إلا الثقلين، فكل هذه أدلة على البدن.

والأدلة الأخرى في المعراج على الروح، وإذا بلي البدن هل يمكن العذاب على البدن والروح؟ نعم، لأن هذه الكيفية لا نعلمها. هذه قدرة الله جل في علاه، لأنه يبقى من البدن عجب الذنب، فإن الروح يمكن أن تلتقي به وتتفق ويأتي العذاب ويكون عذاب على الروح والبدن. فالأغلب على الروح لكن يكون تارة على البدن، تارة على الروح وإن كان الأغلب على الروح، ثم الاجتماع بين الروح والبدن. وهنا لم يبين حكم من أنكر

عذاب القبر، كما قلنا هذا من فعل أهل الضلالة والبدعة وبعضهم يقول إنه يكفر بذلك، هذه المسألة فيها نظر فيها تفصيل ليس هذا المقام التفصيل فيه.

قال: **وَلَا الْحَوْضَ**، ولا تتكر الحوض هذا الحوض لنبينا -صلى الله عليه وسلم-، بل هو ثابت لكل نبي من الأنبياء ليس خاصاً برسولنا. لكن الميزة بأن حوض النبي -صلى الله عليه وسلم- هو أكثر وارداً، لأن الأمة الإسلامية هي أكثر الأمم التي اتبعت نبيها. أعطى الله جلَّ وعلا نهر الكوثر لرسولنا -صلى الله عليه وسلم- يصب على الحوض، يشرب المرء منه شربة هنية لا يظمأ بعدها أبداً. قد وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الحوض وما فيه من الماء هو أبيض من اللبن وأحلى من العسل، وأن الكؤوس أو الأكواب التي يشرب منها المرء كأعداد النجوم، في بعض الروايات قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **كنجوم السماء**. وهذه تستفيد منها فائدتين: الفائدة الأولى النعمان بنعيم البصر، لأن الإنسان ينعم بالتذوق وينعم بالنظر، فتتضرع إلى هذه التي بيد النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها كالبريق لها لمعان يأخذ بالقلب فيتمتع المرء نظراً لها. وأيضاً هي كثيرة جداً لتفي الأمة الإسلامية، وعندما يشرب المرء لا يظمأ بعدها أبداً.

قال: **وَالْمِيزَانَ**. والميزان حقيقةً دون ما قال أهل البدعة والضلالة، ميزان له كفتان توزن به الأعمال. والذي يوزن على الراجح عند أهل التحقيق من أهل السنة والجماعة: العامل والعمل والصحائف، والأدلة على ذلك كثيرة. أما الصحائف فالدلالة حديث البطاقة الطويل، الذي وضعت سيئاته في كفة ووضعت حسناته في كفة، فطاشت صحائف السيئات. فقليل له: لا ظلم اليوم، لك عندنا بطاقة. فقال: ما تفعل هذه البطاقة بهذه السجلات؟ قال: لا ظلم اليوم. فيأخذ البطاقة مكتوباً فيها "لا إله إلا الله"، فتطيش البطاقة بجميع السجلات، لكن هذا دليل على أن الصحائف توزن.

وأيضاً الأعمال توزن، وكيف توزن الأعمال؟ قلت تُجسَّم يوم القيامة. أو تُجسَّم الأعمال؟ نعم تُجسَّم الأعمال والله على كل شيء قدير. والدليل من البرزخ، كما وصف النبي -صلى الله عليه وسلم- يأتي المرء الذي عمل صالحاً رجلاً على أحسن هيئة وأطيب رائحة، فيقول: أنت الوجه الذي يأتي بالخير... إلى آخر الحديث المشهور. وأيضاً قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- مبيناً ذلك جلياً: **كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده**، فدلَّ على أن الأعمال توزن.

وأيضاً العامل، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول بالمتكبر يأتي يوم القيامة كالذر، ولا يزن عند الله مثقال بعوضة. النبي -صلى الله عليه وسلم- مر على الصحابة فوجدهم يضحكون، فسألهم ما سبب الضحك؟ فقالوا: رأيت ابن مسعود ابن أم عبد، فقالوا: نضحك من دقة ساقه، وهو متعلق على الشجرة. فقال: **إنهما في الميزان لأثقل من جبل**

أحد، فالدلالة على أن العامل أيضاً يوزن. فإن سألت ولم؟ قلنا هذه من رحمة الله، ومن إكرام الله جلّ جلاله للمؤمن. حتى يفتضح هذا الفاسق الفاجر بأنه لا يزن عند الله جلّ في علاه شيئاً، وحتى يعطى هذا المرء الذي قدّم العبادة لله جلّ في علاه وشغل نفسه بربه فإنه من لدن آدم إلى آخر الخليقة يكرمه الله بثقل ميزانه يوم القيامة.

ثم بعد ذلك قال: **وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْقَحْمِ تُطْرَحُ**

وهذه المسألة مسألة عظيمة جداً فيها الرد على الخوارج. ولذلك هو اتبع بعد ذلك في الأبيات التي تليها بأنه ينكر عليك، بل ينهاك، بل هنا التحذير الشديد من منهج الخوارج. هؤلاء الذين دخلوا النار، دخلوا النار بأنها غلبت سيئاتهم على حسناتهم. اعتقاد أهل السنة والجماعة في فاعل الكبيرة أو فاعل المعصية بأنه في مشيئة الرحمن جلّ في علاه، لا نجزم له بنار. لكن نقول من غلبت سيئاته على حسناته استحق النار، وهو في مشيئة الرحمن، إن شاء عذب وإن شاء غفر.

ورد موقوفاً ومرفوعاً، عن عائشة -رضي الله عنها وأرضاها- أنها قالت: **الله ثلاثة دواوين: ديوان لا يتركه الله أبداً، وديوان لا يغفره الله أبداً، وديوان هو في مشيئة الرحمن.** أما الديوان الذي لا يتركه الله أبداً (وهذا للمؤمن وللکافر) هو ديوان المظالم (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا**) [يونس:44]، بعد العبور من القنطرة، يقف الناس حتى يعني يتطهر كل مظالمه. لذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- نصح: **من كان له مظلمة عند أخيه فليتحلل، ليس ثمة درهم ولا دينار، إنما هي الحسنات والسيئات.** فهذا لا يتركه الله أبداً، حتى الشاة الجلحاء يعطيها الله حقها من الشاة القرناء، وهذا من عدل الله جلّ في علاه. فلا تفوت المظالم أبداً، فإن مات الظالم أمامك الذي ظلمك فلن تأخذ حقه منه، ولم تشفي غليلك، فاعلم أنه عند الله تجتمع الخصوم ولا يمكن أن تفوت هذه المظلمة. **الله ثلاثة دواوين: ديوان لا يتركه الله أبداً.**

وديوان لا يغفره الله أبداً، ديوان الشرك (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء:48]. **وديوان هو في المشيئة،** أقول إخوتي الكرام من الأدلة المتوافقة المتضافرة المتوافرة بأن ما كان في المشيئة فهو إلى العفو والرحمة أقرب. لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين: **إن الله كتب كتاباً هو عنده فوق العرش، كتب فقال: رحمتي سبقت غضبي.** وهو الذي قال: (**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**) [الأعراف:156]، فهو أقرب إلى المغفرة. ولكن من غلبت سيئاته على حسناته، وأذن الله جلّ في علاه بأن يدخل النار فيطهر فإنه يخرج من النار: إما بشفاعة النبيين والمرسلين، إما بشفاعة الملائكة، إما بشفاعة المؤمنين.

أو يشفع المؤمن؟! نعم، في الصحيحين عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حديث الشفاعة الطويل قال: **يقول المؤمنون: ربنا هؤلاء إخواننا كانوا يصلون معنا، يحجون معنا،**

يزكون معنا. فيقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: يقول الله: اذهبوا فأخرجوا من النار من تعرفون من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان... إلى آخر التناقص المشهور في هذا الحديث بالنسبة للإيمان في القلوب. فيذهبون فيخرجون من النار من يعرفون، تأتي الملائكة فتخرج كل من كان يعبد الله جلّ في علاه بصلاة لأن النار لا تأكل محل السجود، ويشفع الأنبياء. ثم يقول الرحمن سبحانه جلّ في علاه: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون، بقي أرحم الراحمين. أو يشفع الله؟ نعم. كيف؟ ويشفع لمن؟ هو شفاعته الله عند الله، في بعض أدعية النبي -صلى الله عليه وسلم- في النهاية قال: لا أحصي ثناءً عليك. قال: أعود برضائك من سخطك (شفاعة هنا الآن، الصفة والصفة)، وبمعافاتك من عقوبتك. فيخرج الله من النار كل من قال "لا إله إلا الله" ولم يعمل خيراً قط.

ثم وصف أن هؤلاء يخرجون، وهذا اقتباس أيضاً كحق حميل السيل. هذا اقتباس، لأن هذا صريح قول النبي، قالوا كأنك كنت في البادية لما وصف لهم ذلك. يخرجون كما وصفهم الله جلّ وعلا عليهم هذا الطوق، يطلق عليه الجهنميون، فيلقون في نهر الحياة، فيصب عليهم أهل الجبال من ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل. ثم يدخلون في ذلك الجنة برحمة الله جلّ في علاه، فيدعون الله لنزع الطوق، فينزع الطوق ويتمتعون كما يتمتع أهل الجنان. وهذه لا تكون إلا لأهل التوحيد فقط، لأن الله جلّ في علاه كتب الخلود على المشركين.

ثم قال: **وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ**، انتقل إلى مسألة أخرى ترتبط بالمسألة الأولى وهي خروج هؤلاء تكون بالشفاعة، إذا فنثبت الشفاعة. والشفاعة في القرآن جاءت مثبتة، وجاءت منفية. الشفاعة المنفية: **(فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ)** [الشعراء: 100-101]، والله جلّ وعلا قال: **(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ)** [البقرة: 255]، قال: **(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا)** [الزمر: 44]. والشفاعة المثبتة لم تكن مثبتة مطلقة، لكنها مثبتة بشرطين أو قيدين:

- قال الله جلّ وعلا: **(وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى)** [الأنبياء: 29]، هذا الشرط الأول وهو رضا الله عن الشافع وعن المشفوع عنه.

- والثاني: **(مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)** [البقرة: 255]، الإذن للشافع كما سنبين. لأن محمداً يأتي يوم القيامة فيقول: فأخّر تحت العرش، فأحمد الله وأثنى عليه بمحامد علمنيها الله جلّ في علاه (يعني تعلمها الآن وهو ساجد)، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك. بأبي هو وأمي، هو الذي قال قبلها: أنا لها، أنا لها. لكن هذه الشفاعة الكبرى، (أنا استشهد به على الإذن للشافع) فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطى، واشفع تشفع.

عندنا شرطان لصحة الشفاعة: الإذن والرضا. الآية التي تجمع الشرطين: (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) [طه:109]، (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) [النجم:26]، جمع الله بينهم. وهو يتكلم عن الشفاعة العظمى: وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ.

وشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- شفاعات: شفاعة خاصة وشفاعة عامة يشترك معه الأنبياء والملائكة وأيضاً المؤمنون. أما الشفاعات الخاصة هي الشفاعة العظيمة والتي بها المقام المحمود التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-: **هي لا تكون إلا لعبدي أرجو أن أكون أنا هو**، ولذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرنا بعد كل أذان أن نقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتي محمداً الوسيلة والفضيلة. والمقام المحمود، الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه وسلم-: **أنا سيد ولد آدم ولا فخر، بيدي لواء الحمد**، الجميع ينزلون تحت لوائه.

إذا اشتد الكرب وادلهم الخضب ودنت الشمس من الرؤوس وغرق الناس في العرق، فإنهم يذهبون يشعرون بكل آحاد من الأنبياء. يذهبون إلى آدم عليه السلام يقولون: أنت آدم أبو البشر، خلقتك الله ببيديه نفخ فيك من روحه وأدخلك الجنة، ألا ترى ما نحن فيه؟ اشفع لنا عند ربك. فيقول: نفسي نفسي، القول المحفوظ عن الأنبياء "نفسي نفسي". إني قد أكلت من الشجرة، فيعتذر ويقول اذهبوا إلى نوح هو أول رسول إلى البشرية. فيذهبون إلى نوح، فيقول: نفسي نفسي، إني سألت الله سؤالاً ليس لي أن أسأله. بحق وهو في سؤاله (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) [هود:45]، ثم يقول: اذهبوا إلى إبراهيم هو خليل الرحمن وهو أيضاً أبو الأنبياء. يذهبون إلى إبراهيم فيقول: إني كذبت في جنب الله كذبات ثلاث، فيعتذر ويقول: نفسي نفسي. اذهبوا إلى موسى كليم الرحمن. هؤلاء أولوا العزم من الرسل. موسى يقول: نفسي نفسي، قتلت نفساً بغير حق، اذهبوا إلى عيسى.

فيذهبون إلى عيسى، فيقول عيسى: نفسي نفسي، اذهبوا إلى محمد عبداً قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. بهذه يثبت مغفرة الذنب وهو لم يذكر ذنب، قالوا هذه دلالة أفضلية عيسى على محمد، الذي لم يفعل الذنب ليس كمن فعل الذنب فغفر له. عيسى -عليه السلام- لم يذكر ذنباً، وما من نبي إلا وذكر ذنباً. صراحة الإجابة عن هذا الإشكال من وجهين:

- الوجه الأول هو قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **ما من أحدٍ إلا وأخطأ أو هم بخطيئة، إلا يحيى ابن زكريا**. إذا الاستثناء جاء من النبي على يحيى وليس على عيسى. هذا الوجه الأول، في ذنب لكن لم يذكره.

- والأمر الثاني لا نتنزل معه، لم يذنب ذنباً وأنتم تقولون الأفضلية للذي لم يذنب على الذي أذنب وقد غفر الله له. نحن نرفض المقدمة، ونقول من أذنب ثم تاب وأناب إلى ربه أرفع ممن لم يذنب، والدلالة على ذلك واضحة جداً في آدم -عليه السلام- وفي موسى -عليه السلام-. ولذلك قال الله تعالى: (وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) [الشرح:4]، فإذا الذي يتوب من الذنب وهذا وجوباً لا بد أن نعتقد بأن الله لا يُقر النبي على خطأ، فلا بد أن يلهم التوبة والأوبة إلى الله جلّ في علاه، فيكون أرفع منزلة من الذي لم يقع في الذنب.

أنت جربها على نفسك، الله يفتح على المذنب أبواباً عظيمة من أبواب التقرب إليه ومعرفة أسمائه الله الحسنی وصفاته العلى، فيقف منكسراً أمام ربه يسجد القلب سجدة لا يرتفع بعدها، فيرتقي منازل على عند الله بسبب هذا الذنب. (لأنه يكثر مادة العُجب في الإنسان ويجعله دليلاً قاطعاً لربه جلّ في علاه، وهذه مادة النجاح بالنسبة للإنسان).

فيقول: اذهبوا إلى محمد، عبدٍ غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فيقول محمد -صلى الله عليه وسلم-: أنا لها، أنا لها. وفي رواية -بأبي هو وأمي- يقول: أمتي، أمتي. ولذلك قال في الصحيحين: ما من نبي إلا وله دعوة فتعجل بها على قومه، إلا أنا قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، بأبي هو وأمي. أرايت كيف تصديقاً لقوله (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [التوبة:128]، كما وصفه الرحمن الرحيم سبحانه جلّ في علاه. وهذه الشفاعة خاصة بنبينا، ألم؟! لكرامة النبي، لأن ابن عباس قال: والذي نفسي بيده ما زرع الله وما برأ وما خلق أكرم عليه من محمد -صلى الله عليه وسلم-. فلكرامة محمد على الله، من جميع الخلائق يقفون صفاء وينزلون تحت لواء النبي -صلى الله عليه وسلم-، ينتظرون أن يشفع النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه شفاعة خاصة للنبي.

من الشفاعات الخاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- هي الشفاعة المنفية في أهل الكفر، لأن الأصل بأن الكافرين لا تنفعهم شفاعة، قال: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [الشعراء:100-101]. فلا يصح أن يقال بأن للكافر شفاعة، أو المؤمن يشفع في الكافر يخفف عنه الذنب مثلاً. هذا خطأ بَيِّن، لأن الله قال تصريحاً عن أهل النار: (فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) [الشعراء:100-101]، قال الله جلّ في علاه في سورة البقرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ) [البقرة:254].

إذاً الأصل في الكفار أنه لا تقبل فيهم الشفاعة، إلا خاصة في أبي طالب عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهي خاصة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-. حتى إبراهيم الذي وعد أباه لا يمكن أن يشفع له يوم القيامة، رغم أنه كان يزدرية لأنه يعبد أنداداً لله جلّ في علاه، فتبرأ منه إبراهيم -عليه السلام-. إلا محمد، جاء العباس فقال للنبي الأمين: ماذا فعلت لعمرك؟ كان يحوطك وينصرك، فقال: لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من

النار، وفي رواية قال: **هو في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه، يرى أنه أشد الناس عذاباً**. وهو أقل وأخف الناس عذاباً، لكن يشفع له النبي -صلى الله عليه وسلم- وتقبل له الشفاعة في عمه، لما عمل لنصرة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وأيضاً كرامة للنبي -صلى الله عليه وسلم-.

ومن الشفاعات الخاصة برسول الله دخول أهل الجنة الجنة من الأمم، لأن الجنة لا تفتح إلا برسول الله. الكل يقف أمام الباب فيأتي النبي -صلى الله عليه وسلم-، يقول الملك خازن الجنة: من؟ فيقول: محمد، يقول: بك أمرت أن أفتح (لا بغيرك يعني). وقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- في غير ما موضع بأن أهل الجنة يقفون فلا يدخلون الجنة إلا بشفاعته -بأبي هو وأمي-، وهذه خاصة بنبينا -صلى الله عليه وسلم-.

الشفاعات الثلاثة الأخرى شفاعات فيها الشراكة؛ يشترك فيها الأنبياء، الملائكة. وهي الشفاعة في بعض المؤمنين لارتقائهم إلى منزلة فوق المنزلة التي عليها، والشفاعة في بعض الذين يعصون الله جلّ في علاه وتغلب سيئاتهم على حسناتهم، فيشفع لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا يدخلون النار بل يدخلون الجنة بشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم-. والثالثة هي شفاعة النبي في الذين دخلوا النار يطهّرون، فيشفع فيهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فيخرجهم من النار فيدخلون الجنة. والأدلة على ذلك كثيرة، منها بإيجاز قول النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي سلمة في الحديث الصحيح: **اللهم ارفع درجته في المهديين**، هذه شفاعة من النبي أن ترفع درجة المرء، وقد قال الله جلّ وعلا مبيناً ذلك: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ)** [الطور: 21].

وأما الأدلة على أن من استحق النار يمكن أن يدخل الجنة بالشفاعة؛ شفاعته في أهل الكبائر الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم، فيشفع لهم فيدخلون الجنة من غير عذاب. بمعتقد أهل السنة والجماعة، الدلالة يا إخوتي هي صلاة الجنازة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما أثنوا خيراً: **أنتم شفعاء الله في الأرض**. النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: **ما من ميت يصلي عليه أربعون إلا شفعهم الله فيه**.

هناك احتمالات ثلاثة: أن الرجل من أهل الجنة، أن الرجل من أهل النار، أن الرجل من أهل الأعراف. الاحتمالات موجودة، فلما يقول الله سيشفّعهم فيه يعني يقبل شفاعتهم، وهم يشفعوا فيه أنه يدخل الجنة. فلما يقول الله يشفعهم يعني في الاحتمالات الثلاثة يقبلهم شافعين، فيقبل منهم الشفاعة، فيدخلهم إما الجنة برفع الدرجات وإما إن كان من أهل الأعراف فيدخل الجنة وإما كان من الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم فقبل الشفاعة فأدخله الجنة من غير سابقة عذاب. فالدلالة على هذه الشفاعة وهي أن يشفع لمن استحق النار وغلبت سيئاته حسناته، ولكن يدخل الجنة من غير سابقة عذاب.

حائية ابن أبي داود

الدرس الحادي عشر: مسألة الأحكام على الناس:

تارك الصلاة - العاصي الذي يصلي - الخوارج والمرجئة

قال: **وَلَا تُكْفِرُنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا**، هذه مهمة جداً لأنه قيّد وقال: أهل الصلاة. وهذه فيها دلالة على أنهم يصلّون والحمد لله، لأننا نقول بأن الذي لا يصلّي الخلاف فيه قائم. قال الجمهور، بل قل الأئمة الأربعة (الشافعي، مالك، أحمد في رواية، وأبو حنيفة) قالوا: لو تركها تكاسلاً هو عاصي وليس بكافر. وأولوا قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**. قالوا هذا كفرٌ دون كفر، مع أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**، قالوا أيضاً كفرٌ دون كفر.

فقال الأئمة الثلاثة: يوضع السيف عليه، يُقتل حدّاً. هذا الفارق، تارك الصلاة المصّر على الترك تكاسلاً يُقتل حدّاً. وهناك فارق بين أن يُقتل حدّاً ويُقتل ردةً؛ يُقتل ردةً فهو قد أزهدت الروح خسر الدنيا وخسر الآخرة، وهو في نار جهنم خالداً مخلداً فيها. يُقتل حدّاً هذا تكفير له، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من أقيم عليه الحدّ فهو كفارة له**. وأبو حنيفة لا يرى القتل، قال: يحبس ويعزّر ويمنع عنه الطعام والشراب (وهذه لولي الأمر) حتى يصلي. والجانب الآخر ابن خزيمة من الشافعية والرواية الصحيحة عن أحمد (وإسحاق بن راهويه) وبعض من أهل الحديث، قالوا يكفر ويخرج من الملة بترك الصلاة.

أنا أدين الله بذلك، لكن المسألة على التفصيل والمسألة خلافية. والأصل في المسائل الخلافية أنه لا إنكار فيه بل فيه المناصرة، لأن هذا الخلاف خلاف معتبر له أدلة. قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من ترك صلاة فقد كفر**، وهي على بابها ولم تؤوّلها على كفر دون كفر. قالوا عندنا الأدلة التي تحملنا أن نؤوّل الكفر إلى الكفر الأصغر إلى الكفر الأكبر، بقول الله: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** [النساء:48]، هذه عمدة ما يستدلون به. طبعاً أنا في شرحي لمعارض القبول وشرحي

لسنة الرسول عليه الصلاة والسلام والجماعة توسعت جداً في الأدلة، أنا أجتزئ بعض الأدلة وعمدة الأدلة على ذلك.

قالوا نحن نوؤل الكفر، كفر دون كفر لأنه ليس بمشرك، قد قال: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: 48]، وهو ليس بمشرك، هو تارك للصلاة. قلنا أخطأت، لأن تارك الصلاة مشرك، وهذا من عند النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**، فسمّاه شركاً فكان شركاً. فلذلك نحن نقول المسألة وإن كانت خلافية هذه على تارك الصلاة.

لكن من التارك؟ الحق كما قرر ابن تيمية: حقيقة الترك أن يترك الصلاة كليةً. لكن من ترك تارةً وصلى تارةً فهذا غاسق، ليس بتارك لا يسمى تاركاً، الترك الحقيقي هو الترك كليةً. علماء الحجاز (الشيخ ابن باز وغير الشيخ ابن باز) يقولون ترك صلاة واحدة يكفر، وبعضهم يقول خمس صلوات من الحنابلة، تذبذبت الأقوال. والذي أدين الله به، أن الترك هنا الترك كليةً، لا يصلي. ومن قال بعدم كفره هذا قول الأئمة الأربعة، وقد قال بعضهم: الخروج عن الأئمة الأربعة لا يجوز فهو إجماع، وهذا خطأ. لكن الحق بأنه قول وجيه وهو قول الأئمة الأربعة، لكني أظهرت ما أدين الله به، والمسألة خلافية والخلاف فيها معتبر.

أما حديث الشفاعة فعمدة ما فيه بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: **فيقبض قبضة فيخرج منها من قال "لا إله إلا الله" ولم يعمل خيراً قط**. "لم يعمل خيراً قط" ليست على بابها، الدليل في سند أحمد الحديث يقول: الرجل يقول وهو عند الملائكة: **إني لم أعمل خيراً قط**، غير أنني كنت رجلاً ميسوراً أبعث عمالي إلى الناس، فمن كان معسراً أسقطت عنه ومن كان ميسوراً يسرت عليه، فيقول الله: أنا أحق بذلك منك، فيعفو عنه ويدخله الجنة. لكن الرجل قال: لم أعمل خيراً قط، فإنني هي ليست على بابها. والأمر الثاني أنا وأنت نتفق أنها ليست على بابها، لأنك لا تستطيع أن تقول لم يعمل خيراً قط نفي لأعمال الجوارح وأعمال القلوب. لا يمكن، لو قلت ذلك فأنت مرجئ، وأنت أرفع من أن تكون كذلك. فأنت ترى أن أعمال القلوب ركن، الخوف والخشية والإنابة والتوكل، فأنت لم تجعل "لم يعمل خيراً قط" على بابها.

فلما سألتك قلت لي الدليل الجاني إلى ذلك، لأن الله تعالى قال: (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) [المائدة: 23]، هنا أناط الإيمان بالتوكل، فإن لم يتوكل على الله فليس بمؤمن. فلذلك أنا أقول إن الجأك الدليل فقد الجاني أيضاً، لقول النبي: **فمن تركها فقد كفر**. كما وصف النبي -صلى الله عليه وسلم-: **الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة**. فالمسلم هو الذي صلى، فأقول لم يعمل خيراً قط غير أعمال القلوب والصلاة. لا تستطيع أن تعرّضني في ذلك ولا تعارضني لأن عندي الدليل، لكن عندما ترى أنت أنه ليس بكافر

ستقول لا (***) بذلك. لأن في أول الحديث قال المؤمنون بالمحاجة لهم: **ربنا هؤلاء إخواننا، كانوا يصلون معنا، يزكون معنا.** في سياق الحديث السياق يفسر، إذاً كانوا يصلون. وهذه المسألة خلافية والخلاف فيها معتبر، إذاً هذه الشفاعة الرابعة. والشفاعة الخامسة هي الشفاعة في الدرجات كما بينا، والشفاعة السادسة في الذين استحقوا النار فلم يدخلون.

والكلام على أهل الصلاة قال: **وَلَا تُكْفِرَنَّ أَهْلَ الصَّلَاةِ**، فمن قال إنه لا يكفر يقصد به من استقبل قبلتنا يعني يقصد به الإسلام. قال: **وَأِنْ عَصَوْا**، لأن المعصية لا تكفر المرء. المعتزلة هم أفرار الخوارج، هم يتفقان ويفترقان، يتفقان في الحكم النهائي ويفترقان في الدنيا. لأن المعتزلة جبناء يخافون من أهل السنة، فقالوا من يعصي الله لا نقول كافراً ولا نقول مؤمناً، منزلة بينهما. لكن لما نتكلم في الآخرة؟ يقولون في نار جهنم مخلداً فيها. فقد اتفقوا على الخوارج كثيراً لكن من الخوف والرعب من أهل السنة والجماعة ميعوا القضية، يعني هذا نوع من النفاق، لكن الخوارج قالوا من فعل المعصية فهو كافر.

حتى ندخل في الآيات الأخرى للناظم، قال: **وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ**. فندخل هذا الباب، فالخوارج من منهجهم أنهم يكفرون بالمعصية، قالوا وعندنا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة. قالوا الكتاب: قال الله تعالى: **(وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)** [الحشر: 7]، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض.**

نأتي بالأدلة ونرد على دليل واحد وبالقياس الإخوة ترد على الأدلة الباقية للوقت، قالوا قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من غشنا فليس منا**، أيضاً استدلوا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **اثنتان من أمتي وما بهما كفر: النياحة والطعن في الأنساب**، وفي رواية قال: **الفخر بالأنساب والاستسقاء بالنجوم**. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربه وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع إليه المؤمنون أعينهم فيها وهو حين ينتهبها مؤمن، فنفي الإيمان.**

قالوا دلالة على أن العاصي يخرج من الملة، فهذا منهج الخوارج. هذا المنهج المعوج، وهؤلاء من أغلظ خلق الله جلّ وعلا. لذلك اختلف العلماء في تكفيرهم، والراجح الذي ندين الله به بأن الخوارج ليسوا بكفرة، ولم يكفّرهم علي بن أبي طالب. في أول ظهور ونبوء لهم في الرجل الذي جاء للنبي (خذ علامة الخوارج القدح في النوايا، وعلامة الخوارج القدح في الأخيار، لا يعرفون له فضل، هذا من فكر الخوارج)، دخلوا على أعظم مخلوق وطئ التراب، فقدحوا في عدله. دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

وسلم- فقال: ما هذا يا محمد؟ اعدل فإنها قسمة ما أريد فيها وجه الله. فنظر خالد فقال: دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فعلامه الخوارج القدح في هؤلاء الأخيار الأبرار، قدحوا في نبينا -صلى الله عليه وسلم-. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **مهلاً، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، وفي رواية قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: يخرج من ضئضي هذا أقوام يقرؤون القرآن لا يبلغ تراقيهم (الحناجر)، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: لو أدركتهم لقتلتهم قتل عاد (**).** وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **هم كلاب النار، من قتلهم ففيه أجر ومن قتلوه فله الأجر.** ومع ذلك لم يكفرهم العلماء، قال علي بن أبي طالب: **إخواننا، بغوا علينا، لذلك بعث إليهم قال: لكم الفية ما دمت معاً، إن التففت معاً التففت عليكم.** لكنهم أصابوا دماً حراماً لذلك قاتلهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه وأرضاه-، وهذا واجب على ولي الأمر، لو نبتت نبتة سوء بهذا الفكر الضال وكانت لهم شوكة يفسدون في الأرض وجب على ولي الأمر ملاحقة هؤلاء.

فهنا يقول: **فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ.** هنا الآن يستدل بأن الله جلّ وعلا يغفر، لأن الله تعالى قال: **(إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [النساء: 48].** وهو يقول: **فَكُلُّهُمْ يَعْصِي،** أعجبنى جداً هذا الشطر من البيت. "كلهم" رجع لأهل القبلة، ولذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **كل ابن آدم خطاء، "كل" نص في العموم يستدل به علماء الأصول بأن أيضاً قد يقع النبي في المعصية. الجمهور يرون بأن معصية النبي هي حسنات الأبرار سيئات المقربين، فلا يقع في المعصية**

أنا أدين الله لما قاله المحققون بأنه قد يقع النبي في المعصية، لكن بشروط وقيود لا يقع في كبيرة ولا يقع في محقرات الصغائر. ما هي محقرات الصغائر؟! أن (***) مؤمن أو يخطف نظرة للمرأة، هذه محقرات تחדش المروءة والشهامة، هذه لا يكون فيها نبي بحال من الأحوال. قد يقع في خلاف الأولى وقد يقع في المعصية، ما الدليل؟ قلت الدليل صريح قول الله جلّ في علاه: **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ) [طه: 121]، "وَعَصَى" من الذي قال بذلك؟ رب البرية فلا مخالفة. قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.** قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في دعائه: **اللهم إن تغفر تغفر جماً، وأني عبد لك لا أَلَمَّا. "وأني" من صيغ العموم، فكل عبد. يقول: وأني عبد لك لا أَلَمَّا، فهذه فيها دلالة على أن المعصية واردة على الجميع.**

قال: **وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ،** فذكر العرش، والعرش ثابت ونؤمن به خلافاً لأهل الضلالة والبدع. قد قال الله جلّ في علاه: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) [طه: 5]، والعرش يحمله الملائكة، والله فوق العرش لا يحتاج إليه. اعلم أخي الكريم، الله استوى على العرش والعرش يحتاج إلى الله، لذلك نقول لا يشبه الخالق المخلوق. نحن إذا قلنا علا**

زيدٌ على عرشه (كرسي الملك)، فإن زيدا يحتاج إلى الكرسي لأنك لو سحبت الكرسي يسقط. أما العرش يحتاج إلى الرب العلي سبحانه جلّ في علاه.

فإثبات العرش من اعتقاد أهل السنة والجماعة، والعرش أيضاً يفرح كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: **أن عرش الرحمن قد اهتز فرحاً بقدوم سعد**. وقد وصفه الله بأوصاف، ليس هذا مقام التفصيل حتى نمر. فإذا قال: **وَدُو الْعَرْشُ يَصْفَحُ**، دلالة على الصفح والمغفرة، وهذه من أعظم المنن التي من الله بها على عباده، قال: **(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ)** [الأعراف:156]. كتب كتاب عنده قال: **رحمتي سبقت غضبي**، قال: ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي. وقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: **من أتاني يمشي أتيته هرولة، وقال: إن لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً للقيتكم بقرابها مغفرة**. الله جلّ في علاه بلطفه ولطفته ورأفته ورحمته، إنه يصفح ويغفر سبحانه جلّ في علاه. هذا بالنسبة لهذا البيت.

قال: **وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ**، ثم بيّن الفضيحة الكبرى بهذا الاعتقاد، الذي كما قلنا بأنه اعتقاد منحرف. **وَلَا تَكُ مُرْجِيّاً**، إذا الرجل من ذكائه وفطنته قال من باب بضدها تتبين الأشياء. الخوارج يقولون من فعل المعصية فقد كفر، أتينا الشبهة التي تمسكوا بها ورددنا عليهم. وهذا لا يصح، سوء شرح، هذا خطأ في التدريس، لأننا ننكر على من يفعل ذلك. (***) لا ننصح أحداً أن يقرأ كتابه، مع أن الشيخ الشعراوي -رحمة الله عليه- كان كثير النظر في هذا الكتاب طبعاً لمسألة البلاغة واللغة. (***) كان يطيل النفس جداً في نقل كلام أهل البدع، وتأتي لتتنظر إلى الرد تراه أوهن من بيت العنكبوت، فيطمئن أهل البدع. فالصحيح أنك إذا أتيت بشبهة القوم فأنتك تردّها.

أما وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **من غشنا فليس منا**. نقول كما قال ابن عباس: **يُرفع عنه الإيمان كالظلة، فإن تاب نزل**. إذا رفع الإيمان يبقى متعرياً أم هناك مرتبة تحت الإيمان؟ مراتب الدين ثلاثة: إسلام ثم إيمان ثم إحسان. فإن قلنا رُفِعَ الإيمان بقي الإسلام، وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: **لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة**.

الدليل الواضح لما اختفى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن أبي ذر فخشي عليه فجاءه مبتسماً فرحاً، فقال للنبي: يا رسول الله أين كنت؟ قال: **أتاني جبريل فبشرني فقال: من مات من أمتك على "لا إله إلا الله" دخل الجنة**، ثم قال: **وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر**. فاندعش أبو ذر قال: **وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر؟! قال: نعم، وعلى رغم أنف أبي ذر**. وإن كان جعلته من أمته وجعله يدخل الجنة. وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**. وجه الدلالة أنه قال: **وإن زنى**، وجعله

من أمته وجعله يدخل الجنة. وقد قال -صلى الله عليه وسلم-: **لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة**. فهل هو مسلم أم ليس بمسلم؟ مسلم. إذاً لما قال: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**، نزل عنه الإيمان وأبقاه في مرتبة الإسلام، والدلالة في الكتاب موجودة في التفريق بين الإيمان والإسلام: **(قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا)** [الحجرات:14]، فهذه الدالة في هذا الباب.

وأما **من غشنا فليس منا**، يعني ليس على هدينا. وأما الدليل الآخر: **لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض**، نقول في الكتاب الحل، قال الله جلّ وعلا: **(وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا)** [الحجرات:9]، سماهم مؤمنين. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للحسن أخذه فقال: **إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**. والفئتان هما معاوية وعلي، دلالة على أنهم لم يكفرا بذلك.

وبضدها تتبين الأشياء، قال: **وَلَا تَكُ**. فقلنا هذا النهي يلزمك لأنه نهى نابع عن نهى الأعلى للأدنى، عن نهى الله جلّ في علاه. **وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا**، علامة الإرجاء نزع العمل من الإيمان. يقولون إن الإيمان قولٌ فقط واعتقاد، لكن أهل السنة والجماعة يقولون الإيمان قول واعتقاد وعمل كما سيأتي. ويقول المرجئة خلاف ما يقول الخوارج، هؤلاء غلو وجفو. المرجئ يقول بأن إيمان آحاد الأمة كإيمان جبريل، وإن عاث في الأرض فساد. والخوارج يقولون معصية واحدة تخرجه، كالشياطين. فهذا التباين بين المرجئة وبين الخوارج.

لذلك هو قال: **إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالَّذِينَ يَمْرُحُ**، يتلاعب. أن تقول إن إيمان آحاد المسلمين كإيمان جبريل -عليه السلام-، وأن تقول (***) مهما أتى من الكبائر ما دام يقول "لا إله إلا الله" فهو في الجنة. وهذا الذي يتكلم به كثير من العامة من أهل مصر يقول ما دام القلب أبيض والنية طيبة انتهى الموضوع، هذا إرجاء الآن، أنت لا بد أن تظهر إيمانك. فالحق بأن المرجئة مخالفة للخوارج، وأنا أقول الخارجية أخف وطأة من الإرجاء. فكر الخوارج وإن كان من الضلال بمكان، وإن كان من الشر بمكان، لكنه أخف وطأة من الإرجاء. على الأقل عندهم حيطة وورع، ويشتدون في العبادة ويجتهدون في القراءة. إنما هؤلاء لا يعتبرون بالعبادة عبدة، فلذلك نقول الأفسد على الأمة فكر الإرجاء أشد من فكر الخوارج.

شرح حائية ابن أبي داود

المجلس الثاني عشر

عنوان الدرس: ~الإيمان

~اتباع قول النبي صلى الله عليه وسلم

~منزلة هذا الحديث

قال: (وقل إنما الإيمان قول ونية وفعل)، وهذا بالإجماع قول العلماء قاطبةً من علماء السلف أنهم يقولون: (الإيمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالأركان). أيضاً نعبّر المسألة ببعض التفصيل دون التفصيل الذي يدخل في تعقيدات المسألة:

الإيمان لغة: التصديق، وقد يأتي فيتعدى بنفسه وقد يأتي ويتعدى بالباء وقد يأتي ويتعدى باللام. والترابط وثيق في تعريف اللغة في هذه التقسيمات الثلاث، لأن التعدي بالنفس ثمرة التعدي بالباء واللام. ما معنى ذلك؟

نقول يتعدى بنفسه فيكون المعنى أن الإيمان معناه الأمان أو الأمن، وهذا من قول الله جل في علاه: (فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۖ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)، لما تعدى بنفسه كان بمعنى الأمن والأمان.

إذا تعدى بالباء كان بمعنى التصديق والإذعان، تقول آمنت بالله وصدقت بوجود الله وإلهية الله وربوبية الله وبأسماء الله الحسنى وبصفات الله العلى، وأمنت برسول الله يعني صدقت بأنه مرسل من قبل ربه، لذلك قال الله جل وعلا: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ) إلى آخر الآيات.

ويتعدى باللام فيكون المعنى الانقياد التام بعد التصديق ليثمر الانقياد، (فَأَمَنَ لَهُ لُوطٌ)، لماذا آمن له لوط؟ لأنه هو الذي اتبعه لما سافر، سافر مع لوط، الذي انصاع له هو لوط. وأيضاً قد قال الله جل وعلا حاكياً وواصفاً لنا في قول فرعون للسحرة قال في آية: (قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ) وفي الآية الأخرى قال: (قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ). في الأولى بعد ما صدقتم قد اتبعتم، لأنهم لما رأوا العصى قد تحولت إلى حية فابتلعت هذه الألاعيب التي فعلوها وسحروا أعين الناس بها سجدوا، فصدقوا بما

رأوا فلما صدقوا أثمرت الإتياع فسجدوا (أَمَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى) والعلامة أنهم خروا جميعاً سجداً هذه اللفظة في التوصل للأمان. في الأولى قال: (أَمَنْتُمْ بِهِ) وفي الثانية قال: (أَمَنْتُمْ لَهُ)، لأن الأولى موصلة للثانية فإن تكامل هذا الأمر عند المرء بالإيمان به والإيمان له أثمرت له الأمان.

فالإيمان يستجلب لك الأمان في الدنيا وفي الآخرة، (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ)، دلالة واضحة جداً جلية على أن من (آمن به) و(آمن له) يثمر ذلك التأمين من عذاب الله جل في علاه. أمّا في الدنيا الأمان لا يكون متكاملًا، قد لا يكون أمان للبدن، تبتلى ما تبتلى من البلى، لكن الأمان الحق هو الأمان التام المتكامل في عرصات يوم القيامة عندما تدخل الجنة من غير عذاب ولا عناء، هذا بالنسبة لمسألة الكلام على تعريف الإيمان لغةً.

وأما في الاصطلاح قد اتفق علماءنا بأن الإيمان: هو التصديق المقرون بالإذعان والانقياد، والإيمان: قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان وتصديقٌ بالجنان. ورد عن الشافعي أنه نقل الاجماع على أن الإيمان: قولٌ وعملٌ قولٌ باللسان وقولٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح، وتفصيل ذلك أن قول اللسان بأن يشهد بأن لا إله إلا الله، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه)، وأيضاً قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما دخل على عمه: (يا عم قل كلمة أحاج لك بها عند الله). وأيضاً قول القلب وهو التصديق، (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ). وأمّا العمل عمل القلب، قال الله جل وعلا: (وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ). وعمل الجوارح وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: (إن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله).

وهذا كما قلنا عن تفصيل القول قول السلف هو قول وعمل، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة. أما من نزع العمل من الإيمان وقال العمل ليس من الإيمان، فهو الكلام المرجئة، فهم مرجئة الفقهاء أو المرجئة المتكاملة. لكن من قال الإيمان قول وعمل فهذا قول أهل السنة والجماعة.

ثم أظهر بأن هذا الإيمان يزيد وينقص، وعندنا طبعاً أصناف الناس في الإيمان: منهم من ءامن ظاهراً، ومنهم من ءامن ظاهراً وباطناً، ومنهم من كفر ظاهراً وباطناً. وليس لنا أن نفصل به لأن الوقت لا يسعنا في ذلك، لكننا نقول: والإيمان يزيد وينقص وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، خلافاً للمرجئة لا يقولون بأن الإيمان يزيد وينقص.

والأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص كثيرة من الكتاب، قال الله جل وعلا: **(لِيَزِدُّوا** **إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)**. طبعاً هناك أقوال ثلاثة؛ الإمام مالك هنا أخطأ وقال ورد عنه كذا وورد عنه قولاً يوافق قول أهل السنة والجماعة، ورد عنه أنه قال: الإيمان يزيد ولا ينقص. هذا قول الخوارج، لأن عندهم نقصان الإيمان معناه كفر. مالك يوافق الخوارج؟؟ استغفر الله، أولاً التوجيه في هذا الباب من أمرين:

🕒 الأمر الأول أنه صح عن مالك أنه قال: الإيمان يزيد ولا ينقص. ونحن نلغي هذا القول ووافق أهل السنة والجماعة (أنه يزيد وينقص).

🕒 لو قلنا ما ورد عن مالك أنه قد يزيد ولا ينقص، فنهاية الأمر أن إمام دار الهجرة إمام أهل السنة والجماعة الإمام الفحل الإمام مالك اجتهد في مسألة فأخطأ، فلا ينقص قدره وله التبجيل والرفعة فوق الرؤوس، لأنه لا معصوم إلا النبي صلى الله عليه وسلم. وهو نفسه مالك الذي قال: **(كُلُّ يُوْخَذُ بِالْقَوْلِ وَيُرَدُّ)**.

حتى لا ندخل في الخلافات، قول أهل السنة والجماعة قالوا: (الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي)، حتى المرجئة قالوا في الثمرة ووافقوا أهل السنة، قالوا: وإن قلنا لا يزيد ولا ينقص لكنه المعاصي تؤثر. فعامّة قول أهل السنة والجماعة: (يزيد الإيمان بالطاعات وينقص بالمعاصي)، قال الله جل وعلا: **(لِيَزِدُّوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ)**. أيضاً في قول الله جل وعلا: **(وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا)**، وقال الله جل في علاه: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)**، وأيضاً قول الله جل وعلا: **(الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)**.

الذي جعل الإمام مالك يقول: الإيمان يزيد ولا ينقص. قال: ما رأيت بكتاب الله آية تثبت النقصان كل الآيات تتحدث عن الزيادة. قلنا لا، لو انتبهنا لوجدنا الآية التي تثبت النقصان **(فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ)**، هذه هي الآية. لأن الرجس كفر، والكفر رجس وقال: **(فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا)** في سورة التوبة، فهذا دلالة على النقصان. ومن العجيب الأحاديث التي جاءت في النقصان: (ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب بلب الراشد منهن)، وجه الدلالة هو (ناقصات). النبي ذكر النقصان ولم يذكر الزيادة فكيف نجيب عن هذا؟ قلنا ما قبل النقصان قد يقبل زيادة، لما ذكر النقصان فالذي قبل النقصان يقبل الزيادة.

وأيضاً قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعير) وفي رواية قال: (مثقلاً ذرة) وأيضاً (وزن شعير)، فالتناقض هذا يدل على مسألة نقص الإيمان. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) وهذا الكمال يكون بالتزايد. وقد قال أيضاً ابن أبي مليكة: (أدركت

ثلاثين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كلهم يخشى على نفسه من النفاق)، والدلالة فيها أنه إذا خشي على نفسه النفاق وهو مؤمن إيماناً عالياً، فإنه يخشى من التناقص إلى أن يصل إلى النفاق، هذه دلالة على النقصان.

الأسود بن هلال قال: (قال لي معاذ: (اجلس معي نؤمن ساعة))، هذا من (.) الصحابة رضوان الله عليهم. وقد ورد أيضاً عن أبي هريرة قال: (ما نقصت أمانة عبد قط إلا وقد نقص إيمانه)، هذا مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا إيمان لمن لا أمانة له). حتى التعدي على الغير ينقص الإيمان، كما (قال النبي صلى الله عليه وسلم: والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: من يا رسول الله؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)، هذا نقصان في الإيمان أيضاً. وهذا الذي يصرح به الآن بأنه للرجال فقط دون النساء: (والله لا تؤمن، والله لا تؤمن، والله لا تؤمن التي لا ترضى بالتعدد) خاف من خاف وقوي من قوي، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه). وأنا قلت إن هذا الحديث نص في أن هذه كبيرة لمن تحجب الخير على غيرها قال: (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه).

مسألة فرعية في هذا الباب إن أهل الإيمان يتفاضلون فيما بينهم وهذه أيضاً فيها دلالات على الزيادة والنقصان، (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) يعني الأمن التام، وقول الله جل وعلا: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

قال المصنف رحمه الله:

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرح

(ودع عنك آراء الرجال)، هذه تحتاج إلى التفصيل الحق أننا لسنا نقول ودع عنك آراء الرجال في كل الأحوال، (ودع عنك آراء الرجال) هو الحق في هذا التفصيل بأن تدع آراء الرجال عند معارضة أقوال النبي صلى الله عليه وسلم بآراء الرجال، هذا نص في الحث واستنهاض الهمم إلى أن تتمسك وتعض بالنواجذ على قول النبي صلى الله عليه وسلم كما قال الناظم:

العلم قال الله قال رسوله قال الصحابة ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة بين الرسول وبين قول فلان

قال الإمام الشافعي: (أجمع المسلمون أنه من استبانت له سنة من سنة النبي صلى الله عليه وسلم ألا يدعها لقول أحد كائناً من كان). إسحاق ابن راهويه والإمام أحمد عندما سافرا إلى مكة، قال لإسحاق: تعال لأريك ما لم ترى عينك. فنظر إلى الشافعي، قال:

أنظر إلى هذا، هذا ملئ علم. فقال له: أنا أجلس لهذا الشاب الحدث وأترك ابن عيينة الفحل يقول حدثنا وحدثنا؟ فقال له الفقيه أحمد: (إن فاتك العلم من هذا لا تستطيع أن تتركه، وإن فاتك الحديث من ابن عيينة بعلو خذه منه بنزول).

ما الذي سيفوتك؟ هو يقول حدثنا فلان عن فلان عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنت لو جالس وتكتب في مجلس التحديث فأنت عندما تحدث ستقول حدثني ابن عيينة، هنا الآن أنت يمكن أن تفوت هذا المجلس وتأتي إلى طالب من طلاب ابن عيينة قد سمع الحديث وكتبه فيقول حدثنا ابن عيينة كذا، فأنت تحدث عن الطالب، ويكون هناك واسطة بينك وبين ابن عيينة، لكن في النهاية قد حدثت أنت بالحديث، ما فاتك. لكن لما يقول لك: (العام يبقى على عمومته ما لم يأتي مخصص يخصه)، لن تعرف كيف تفسر هذا إلا به، ولن تضرب المثل إلا به. فذلك قال: (لو فاتك العلم من هذا الرجل لا تتركه عند غيره).

طبعاً ما زالت الأنفة موجودة عند إمامنا المبجل الإمام إسحاق، فجلس فلما جلس قام الشافعي يتكلم عن رباع مكة (دور مكة) تؤجر أو لا تؤجر؟ فقال: هي تمتلك وتؤجر. فقام كالوحش الثائر إن صح التعبير، فقال له: ماذا تقول؟ قال: من أنت؟ قال: أنا إسحاق، قال: أنت فقيه خراسان؟ قال: يزعمون ذلك. ثم شتم الشافعي بالفارسية، والشافعي كان فارساً نبيلاً ذكياً فطناً علم أنه يتكلم عليه، فالشافعي يقسم الظهور. العلم أقوى ما يكون، هذه هي قوة طالب العلم المتقن، يقول لهم انتوني بعالم يكلمني في هذه المسألة ساحة العلم موجودة هل من مبارز؟ فالشافعي قال له: تناظر؟ وقع طبعاً إسحاق في هذا الباب.

أقول لكم إخوتي الكرام هي فائدة من باب الشيء بالشيء يذكر، ما ناظر الشافعي أحداً إلا غلبه، ليس بالفطنة ولا بالذكاء ولا بقوة العلم، لا والله. ما ناظر أحداً إلا دعا الله من داخله أن يكون الحق مع صاحبه لأنه ما يريد إلا الحق، لا يريد الهوى والقتال المرير لنصرة شخص أو نصرة قول، يريد الدين. لذلك ما ناظر أحداً إلا غلبه، وما كان الله يبقى. فالشافعي ناظره، فقال له إسحاق: حدثني فلان عن فلان عن فلان عن الزبير أنه ما كان يرى ذلك، حدثني فلان عن فلان عن عائشة أنها ما كانت ترى ذلك. وذكر ستة من الصحابة، فابتسم الشافعي وقال: أنت إسحاق ابن راهويه؟ قال: نعم. قال: أنت فقيه خراسان؟ قال: نعم، قال: ليتني بك طفلاً صغيراً أعرف أذكك، أقول لك قال رسول الله وتقول لي قال فلان وفلان؟

لأن الشافعي سبق وأن قال له قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (هل ترك لنا عقيل من رباع؟) يعني عقيل كان كافراً فورث أباه فامتلك فباع، فهذه إقرار من النبي بالامتلاك، فيصح التأجير ويصح البيع. لكن الشاهد أنه قال: (أقول لك قال رسول الله وتقول قال

فلان وفلان وفلان؟)، لذلك قد قال الشافعي: (إذا وجدتم قولي قد خالف قول النبي صلى الله عليه وسلم فاضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم).

العجب كل العجب قد رأيت بعيني وسمعت أذني رجل لما دخل يصلي فركع مع الإمام فقام فسلم مع الإمام، فقام رجل قال له: قم عليك ركعة انت بها أنت لم تقرأ الفاتحة. فقال له: أنا أرى بأني إذا أدركت الإمام راكعاً أنها ركعة تحسب، وقد استدل بحديث (من أدرك الركوع فقد أدرك الركعة) سواء ضعّفه أم لم يضعّفه، الرجل استدل. فقال له الرجل: قال الشيخ الفلاني أن هذه الركعة لا تحسب. قال: ما دام قال الرجل الفلاني والشيخ الفلاني، قد قال الشافعي تدرك وقال مالك تدرك وقال أبو حنيفة تدرك وقال أحمد تدرك، بمن نأخذ؟ إن كان رجال فعندي السابقين الأولين، لكن المسألة ليست دائرة على الرجال المسألة دائرة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ولذلك أنت ترى الكبير الذي يفتي صاحب كتاب كذا وكذا، الكبير الذي يفتي وتسمع له الفتوى، البيان من البيان وإن من البيان لسحر. كلما تجد ابحت عنه، كل ما تجد قول يقعد يتبناه وينشره بين الناس، قال الشافعي قال المزني، عمره ما قال: قال رسول الله. قل له الآن إذا كانت الساحة ساحة رجال سأتيك بالرجال والنساء، لكن الساحة ساحة قال الرسول، لذلك قلنا العلم قال الله قال الرسول. ومالك يقول: (كل يؤخذ من قول ويرد إلا صاحب هذا القبر). أحمد يقول: (لا تأخذ مني ولا تأخذ من الشافعي ولا من ابن عيينة، خذ من حيث أخذنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم).

طبعاً هذه المسألة فيها تفصيل لأن ليس أي أحد يقول أنا أخذت من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيكون هناك جمود في الفقه وعدم الفهم وعدم الفقه، ويستدل لك بأعاجيب. كما قال الإمام أحمد شاكر قال: (لا بد للفقهاء أن يتعلم على أصول المذهب ثم يتفقه على المذهب ثم بعد ذلك ينتقل إلى الحديث)، أما أن يبتدئ بالمرحلة المنتهية هذا الذي لن ترجو منه الخير بحال من الأحوال. لكن في النهاية أننا نقول الدائرة ستأتي على أن نقول قال رسول الله، ولا نقدم قولاً على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قد الله تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ)، وهذا الذي حدا بكثير بجمع من المصريين يقولون قول صاحب ليس بحجة، وانظر حتى في قول صاحب. لأنه أعجبنى جداً قول ابن عبد البر عندما نقل النقول على قول ابن عباس في الربا، أنه كان يقول الربا الفضل الصحيح أن تباع الدرهم بدرهمين والدينار بدينارين، قال به. فنقل بعض النقول عن رجوع ابن عباس، وطبعاً رجع بذلك ابن مسعود وابن عمر وزيد، رجعوا عن ذلك.

لكن ابن عباس نقل نقولات أنه رجع ونقولات أنه لم يرجع، فماذا قال ابن عبد البر؟ قال: (رجع ابن عباس أو لم يرجع لا حجة لاحد كائناً من كان مع قول النبي، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تبيعوا الدرهم بدرهمين ولا الدينار بالدينارين)، وقال: (الذهب بالذهب ربا إلا يداً بيد، سواءً بسواء) في رواية قال: (فمن زاد أو استزاد فقد أربا))، فقول النبي صلى الله عليه وسلم حجة. لذلك لما ابن عباس قال لهم بالمتعة أي متعة الحج، ابن عباس أمر الحجيج بمتعة الحج، فقالوا: أبو بكر ينهى عن ذلك، عمر ينهى عن ذلك. فقال ابن عباس: (أوشكت السماء أن تمطر عليكم حجارة أقول لكم قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر).

أنا قد اوضحت في شريط في طريق الإسلام اسمعوه، إن شاء الله مفيد في الباب، وهو توحيد الاتباع. ضربت أمثلة كثيرة جداً على هذا الباب، من الصحابة ومن التابعين والائمة الأربعة على العض بالنواجذ على سنة النبي صلى الله عليه وسلم، اسمه توحيد الاتباع. فهو مهم جداً في هذا الباب، الإخوة ترجع له لأننا لسنا بصدد التفصيل في هذا الباب.

قال:

ولا تكن من قوم تلهوا بدينهم فتقطعن في أهل الحديث وتقدح

وهنا هذا الذين يلعبون، نعوذ بالله من اللعب. والذين يمكرون ويقدحون في الأفاضل وهم أهل الحديث. أهل الحديث هم الطائفة المنصورة، هم الطائفة الناجية، أهل الحديث هم أهل إرث النبي صلى الله عليه وسلم، هم أشرف الناس على الإطلاق، هم أقرب الناس إلى شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، هم أحظى الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، هم الذين يكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كتابتهم للحديث وتحديثهم لحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أشرف ما يصل إليه المرء، أشرف الناس على الإطلاق رجلٌ قد عقد مجلساً يحدث به عن النبي صلى الله عليه وسلم. هارون الرشيد قال ليحيى بن أكرم: من أشرف الناس؟ قال: أنت يا أمير المؤمنين، أنت ابن عم رسول الله وأنت خليفة المسلمين، من أشرف منك؟ قال: لا، وإني لأعلم من هو أشرف مني، رجل عقد مجلساً يقول حدثني فلان عن فلان عن النبي العدنان، ربط اسمه باسم النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم الدين. هذا أشرف الناس على الإطلاق.

لذلك يزجر وينهى الناظم أن تكون ممن تلهى بدينه بأن يقدح في أهل الحديث، وطبعاً المسألة ليست خاصة بأهل الحديث، لكن هو كأنه قال لا يجوز القدح في العلماء قاطبةً

لا سيما أهل الحديث، لأنهم أهل إرث النبي صلى الله عليه وسلم. (إنما العلماء هم ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر). ونحن نقول الغيبة مطلقاً حرام، الغيبة كبيرة من الكبائر وهذا يتشهى بها الناس ولا يدرون ما هم فيه من وعكة عظيمة. الغيبة مسقطة للعدالة في آحاد الناس فكيف بالعلماء؟ فلحوم العلماء مسمومة، وآية الله في منتقصيهم معلومة، نعوذ بالله من الجرأة على الأفاضل والأخيار.

قد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا يعرف لأهل الفضل فضلهم إلا أهل الفضل)، وإن كان النص جاء في سياق أبي بكرٍ عندما دخل علي بن أبي طالب لم يجد شيئاً ولا مكاناً فأفسح له المجال، وكان أبو بكر بجانب النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ها هنا يا أبا الحسن. بجانب النبي ترك له مكانه، فابتسم النبي، وإن كان كما قلنا يتسامح في مثل هذه الأسانيد في هذا الباب. فابتسم فقال له: (يا أبا بكر، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل). لذلك في مقدمة صحيح مسلم قالت عائشة: (أمرنا أن ننزل الناس منازلهم)، (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ).

فاعلم أخي الكريم الذي يتجراً على أعراض الأخيار لا يوفق بحال، ينشغل بهذا ثم يشغله الله بنفسه ثم يضيع. لكن الذي يقدح في المبتدعة الذين ظهرت بدعتهم حقاً وثبتوا في الكتاب والسنة هذه قرينة أيما قرينة عند الله، لأنها حفاظ ومدافعة عن أهل السنة. لكن القدح في الأخيار لا يجوز بحال من الأحوال، قد قدحوا في البخاري وماذا فعل؟ خفض الله أنوارهم وكان البخاري إلى يوم الناس هذا يترضى عنه الناس، قد قدحوا في الشافعي وذهبوا وراحوا، وقدحوا قبل ذلك في أبي بكرٍ وعمر. فالقدح في الأخيار حفرة من حفر النار، أعراض الناس حفرة من حفر النيران.

فعلى المرء أن يقف في التبجيل والتعظيم لأهل العلم الذين ورثوا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما وأن ابن حزم قد تكلم ولا يقصد التتقيص، قد تكلم في الترمذي وجهله قال: مجهول. فماذا قال الحافظ بعد ما نقل ذلك؟ قال: قد نادى ابن حزم على نفسه بالجهل عندما جهل الترمذي. لذلك الإمام ابن تيمية يقول: (قد نادى على نفسه بالنقصان من لم يعرف لأهل الفضل فضلهم)، وهذا أصل أصيل أن تنزل الناس منازلهم.

ثم قال ختاماً:

إذا ما اعتقدت الدهر يا صاح هذه فأنت على خيرٍ تبين وتصبح

نعم فأنت على خيرٍ عظيم إن كنت تحترم وتبجل أهل العلم، فهذا أصل أصيل من اعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كنت تعتقد معتقد أهل السنة والجماعة فأنت على الدرب تسير وأنت إلى النجاة قريب وأنت من الرحمن أيضاً قريب. نسأل الله جل في علاه أن

يشكر لكم صبركم على الطلب، وأن يشكر لكم حسن صنيعكم معنا. ونسأل الله أن يغفر لنا أن اتعبناكم وأسهرنا ليلكم وأيضاً قد شققنا عليكم. لكن صدقوني لا بد أن أردد: من جد وجد، والعرب يقولون: من أراد شيئاً جد في طلبه ومن أدام الطرق ولج ومن طلب العلاسهر الليالي.

لا تحسبن المجد تماًراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لمن يطعن بالعلماء

أنا قلت الأصل أننا لا بد أن نعرف الفضل لأهل الفضل، من باع نفسه دهنراً وأمدأ بعيداً يعمل لدين الله جلّ في علاه، نهدر ذلك! الإمام النووي كان فيه لوثة أشعرية، الحافظ ابن حجر ثبتت لوثته الأشعرية، الخطابي كان فيه لوثة أشعرية، البيهقي كان فيه لوثة أشعرية. ومع ذلك هؤلاء الفحول الأخيار الأبرار هم أئمة أهل السنة والجماعة. ومن قال في ابن حجر أو النووي بأنه مبتدع فهو الضال المبتدع، فهؤلاء أخيار أبرار وزلت الأقدام في بعض الأمور، وهذا قد قرره أئمتنا حتى الكبار. تعرفون الشيخ عبد المحسن العباد، من بركات المدينة، محدّث فقيه، رجل بلغ من العمر مبلغاً يعمل لدين الله جلّ في علاه، وقد صدّق رسالة عظيمة جداً هي رسالة تسمى رفقاء أهل السنة بأهل السنة.

أنا قاعدتي ومنهجي الذي أعيش به لا نسّمّي أحداً، وإذا تكلمنا، تكلمنا عن قضية عامة. ومع ذلك أقول بأننا بالنسبة لهذه الأبواب، أن الأصل في الباب أن تعرف الفضل لأهل الفضل، من باع نفسه يعيش دهنراً وأمدأ بعيداً يعمل لربه جلّ في علاه فكيف القدح فيه؟! فكيف تأثير الناس فيه؟! كيف إسقاطه؟! لأن إسقاط العالم الذي يعمل لدين الله جلّ في علاه وإن زلت قدمه إسقاط لكل الشريعة، لا يجوز التجراً على هذا في حال من الأحوال. فإن كان كما وصف الأخ، أن في الخطب تأتي المسألة على أعراض الأخيار، أكيد إن شاء الله نرجو الخير لهذا الخطيب فنذهب ننصحه ونرفق به ونحسن إليه، ونقول أنت إن نزلت منزلة هؤلاء فلك أيضاً التعظيم والتبجيل والتوقير فلما يحدث منك ذلك وأنت تعلم أنهم عاشوا دهنراً لدين الله، ولو زلت أقدامهم. لم لا ترحل إليهم فتناصحهم؟! فتستفيد ويستفيدون وتفوز يفوزون إن ثبت أنك زعمت أنهم وقعوا في البدع أو الضلالة.

والأصل عندنا أهل السنة والجماعة ثبت العرش ثم في انقش. فتبّت المسألة وبيّن بالدليل أنها بدعة وبيّن أنك أقمت عليهم الحجة وأزلت عنهم الشبهة، لأن هذا واجب عليك وإلا

فأنت لا بد أن تناصح هؤلاء الأخيار الذين تقع فيهم. أنا أتكلم عن العموم، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل.

قد قال الله تعالى: **(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)** [المطففين:1]، ولذلك أنا أقول النووي الآن يعجّ كتاب صحيح مسلم بتأويل الصفات، وإن كان فضيلة الشيخ مشهور بن حسن (تعرفونه من إخواننا الأفاضل من مشايخ الكرام) قد أثبت تاريخياً رجوع النووي هذا المعتقد، وإن كان المسألة فيها بعض الشك، لكن أثبت أن النووي رجع. وإن لم يرجع النووي، الآن يغمر في بحر حسناته أم لا يغمر؟! يغمر لأنه الآن ثبت تأويل الصفات.

فأنت الآن لا بد أن تنتظر بعينين جميلتين. أنا أعتذر للأخ الذي له حمية لحفظ السنة، أعتذر له بذلك وأقول هذا جميل. لكن لك ضوابط أن تتضبط بها عند الله جلّ في علاه، لأنك ستسأل عن هذا في كل دقيقٍ وجليلٍ وصغيرٍ وكبير. وسيؤتى بالآخرين أمامك، إما أن يخرجوا من حسناتك وإما أن تكون محقاً فتتجو. فلا بد تقف وقفة طويلة مع هذا الباب، وترحل إلى هؤلاء وتجلس معهم وتقول: سمعت منك كذا، وهذا قد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - خلاف لما قلت، وقال العالم الفلاني كذا، وأجمعت الأمة على كذا، فأنت بهذا تخالف السنة.

فإن فعلت ذلك قد فزت والله، وقد أحسنت والله لأنك ستكون سبباً في هذه الشبهة الموجودة في هذا الرجل أن ينجو منها. وأيضاً تكون سبباً في هدايته وسبب في نشر الخير بين الناس، بدل ما تسقط الرجل إسقاطاً كاملاً تجعله يسدّ هذه الخلّة وينتفع الناس بها. فالضابط العام أننا لا نتجرأ على أعراض الأخيار لأن التجراً على أعراض الأخيار عاقبته وخيمة، مرتعه وخيم، (***) معلومة حفرة من حفر النيران.

فلا بد أن نحافظ على عرض الأخيار، لا بد أن نحافظ على هؤلاء العلماء، لأن إسقاط العلماء إسقاط للشرعية. إلا إن زلت الأقدام، فوجباً عليك أن تثبت الزلّة وأن تذهب لتدفن الزلّة لأنك مأمور شرعاً أن تكون رحمة على المخطئ والعاصي. هل أنت يرضيك أن المبتدع يعيش مبتدعاً ويختم له بالبدع فيدخل النار؟ وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **وليختلجن في الجنة أقوام من بين يدي فأقول: ربي ربي، أمتي أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما أحدثوا من بعدك.** المنهج الصحيح ما قاله الله إلى النبي الأمين: **(لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)** [الشعراء:3].

فأنا أدعو الأخ الكريم الذي هو السائل أن يقول للأخ الخطيب: نحن نحفظ لك ونحمد لك حميتك على السنة، لكن نقول لك انضبط بضابط الشرع. واعلم أخي الكريم أن الأفاضل أعراضهم مسمومة، ولا بد أن تكون ناصحاً أميناً حتى يكون انتقادك انتقاداً بناءً ليس فيه الهدم بحال من الأحوال.

وارجع وأقول إخوتي الكرام حذار حذار من القرب في أعراض الأخيار. قد كان رجلٌ من دأبه أن يُلخ في أعراض الأخيار، صار في مؤخرة عمره الآن يقول يا رب احشرنى مع يسرا. أنا أقول الشاهد رجل كان يجلس على منبر النبي ويخطب بكلام النبي ويتحدث بحديث النبي، يقول يا رب احشرنى مع يسرا!! المصيبة الأخرى أنه يدلل على السفاكة وسوء الأدب والخلاعة في الأفلام بالقرآن، يقول ما فيها شيء الخلاعة في التمثيل. (الأصل في التمثيل الكلام فيه خلاف هو التمثيل المنضبط بعدم وجود النساء والكلام هذا، يعني هذا المعاصرون قد اختلفوا). لكن تعال في الطامة الكبرى قال لو واحد يقبل واحدة ما في مشاكل!!! لو خلعت ثيابها ما في مشاكل!!! ما هو القرآن صور لنا ذلك!!! والشيطان يلعب في رأسه يقول بأن الله قال: (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا) [يوسف:24] قبلها الآية (وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) [يوسف:23] بعضهم فسرها تعال جامعني، قال ما هو القرآن، الخلاعة ظهرت من امرأة العزيز. الشيطان يستحي أنه يستدل بما استدل، والله الشيطان يستحي على غالب ظني أنه يستدل بمثل هذا.

ما الذي حدث لهذا الرجل أن يسقط هذا السقوط المروع؟! والله ما أرى سبباً أعظم من أنه قد أباح لنفسه الولوغ في أعراض الأخيار، هذه حفر من حفر النيران. إِيَّاكَ ثم إِيَّاكَ، علينا أن نقف نحترم أنفسنا. لنا أن نقول حمية السنة أن نضرب بيدٍ من حديد على البدع، وأن نحاربها ما حيينا أبداً. ونأتي إلى الأشخاص فننظر إن انطبق عليه الوصف قلنا بالحكم واتخذنا معه أساليب الحق، وإن لم ينطبق فلا نظلم فالظلم ظلمات يوم القيامة.

الاحترام والتمجيد للأخيار الذين باعوا أنفسهم لله لا بد أن يكون، علّم خطوا رحالهم في الجنة، علّم كذلك. ونحن إن كنا نتكلم عن قضية، لا يعنينا الكلام بهذا التفهق على الأشخاص لأن الحساب على الله جلّ في علاه، وكُل الأمر إلى الله. فحفاظاً عليكم وحفاظاً على هذا الاخ الخطيب وحفاظاً على أعراض الأفاضل الأماجد، فلا بد من النصح هنا، وتكون النصيحة بصدق وإخلاص بإرادة الإصلاح، لا بالتشفي والمحاربة. إن كان الذي أساء، أقابل الإساءة بالإحسان، وإن كان أحسن فقابل الإحسان بما فوق الإحسان، وهذا دأب الصالحين. وأرجع وأقول لا يعرف لأهل الفضل فضلهم إلا أهل الفضل.